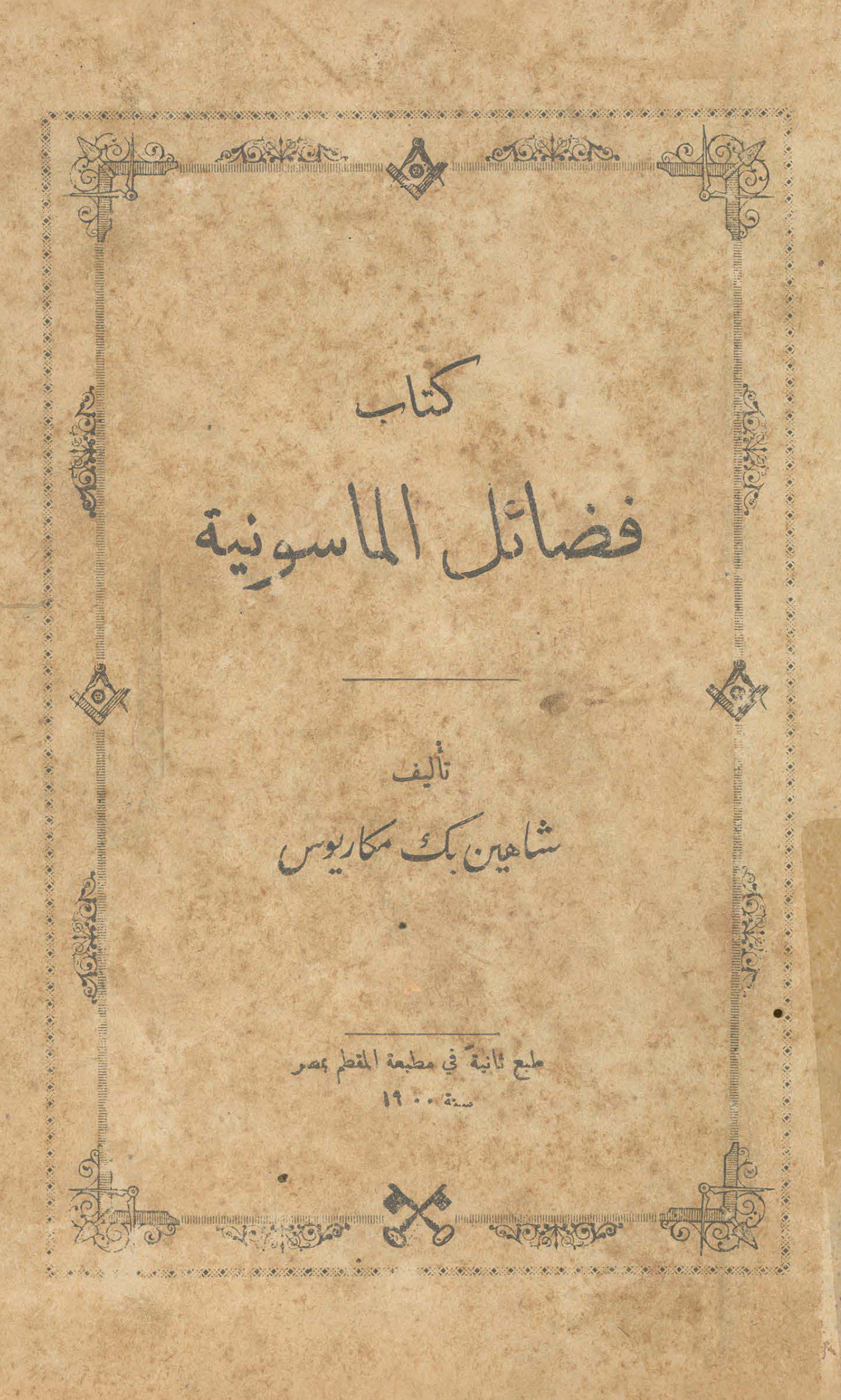


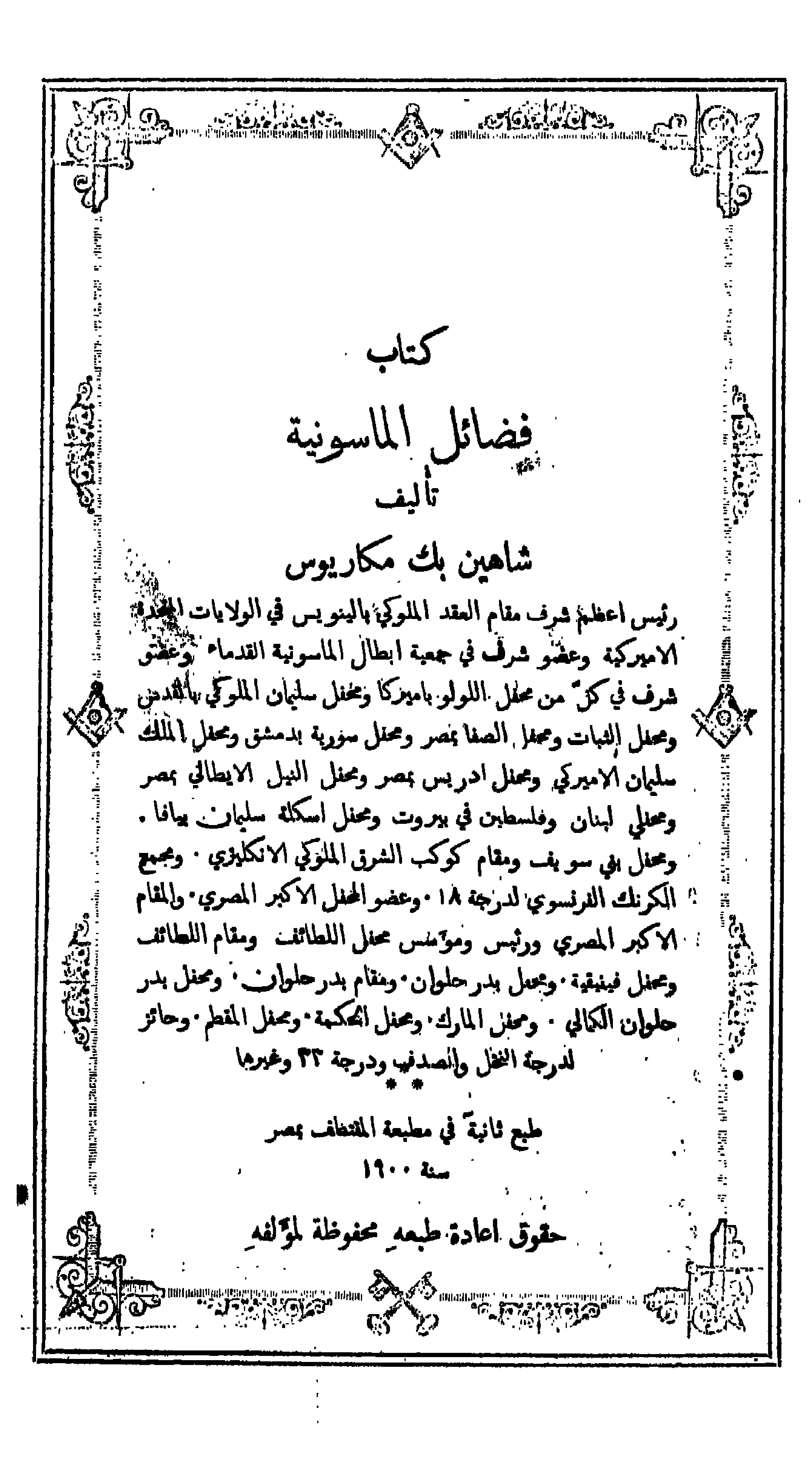
كتاب

فضائل الماسونية

تأليف

شاهين بك مكاريوس

طبع ثانيةً في مطبعة المقطم بمصر
سنة ١٩٠٠



كتاب

فضائل الماسونية

تأليف

شاهين بك مكاريوس

رئيس اعظم شرف مقام العقد الملوكي بالينويس في الولايات المتحدة الاميركية وعضو شرف في جمعية ابطال الماسونية القدماء وعضو شرف في كلّ من محفل اللولو باميركا ومحفل سليمان الملوكي بالقدس ومحفل الثبات ومحفل الصفا بمصر ومحفل سورية بدمشق ومحفل الملك سليمان الاميركي ومحفل ادريس بمصر ومحفل النيل الايطالي بمصر ومحفلي لبنان وفلسطين في بيروت ومحفل اسكلة سليمان بيافا . ومحفل بني سويف ومقام كوكب الشرق الملوكي الانكليزي · ومجمع الكرنك الفرنسوي لدرجة ١٨ · وعضو المحفل الاكبر المصري · والمقام الاكبر المصري ورئيس ومؤسس محفل اللطائف ومقام اللطائف ومحفل فينيقية · ومحفل بدر حلوان · ومقام بدر حلوان · ومحفل بدر حلوان الكمالي · ومحفل المارك · ومحفل الحكمة · ومحفل المقطم · وحائز لدرجة النخل والصدف ودرجة ٣٣ وغيرها

* *

طبع ثانية في مطبعة المقتطف بمصر

سنة ١٩٠٠



باسم مهندس الكون الاعظم

مقدمة الكتاب

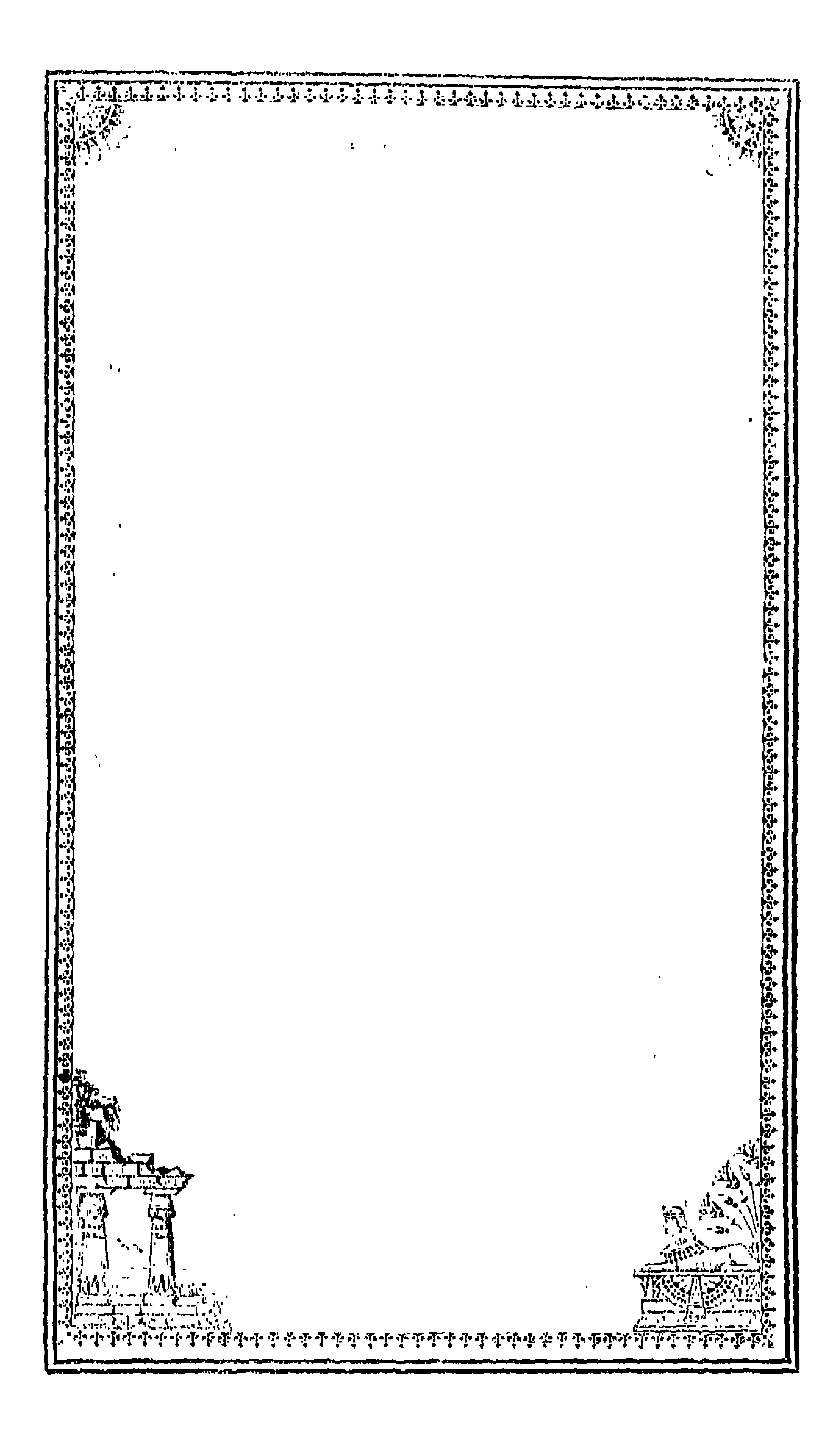
يزعمون ان الشرق منبتُ أسلة الماسونية ونتيجةُ اعمال رجالهِ ويقيمون على ذلك الادلة العديدة ويستشهدون بما بقي من آثارها مثل هيكل الملك سليمان في القدس الشريف والاهرام في مصر وقلعتي بعلبكَّ وتدمر في سورية وغيرها من الآثار القديمة التي لم يعفها توالي الاحقاب على ان لي اكثر من عشرين سنة وانا انقب وابحث لعلي اعثر بكتابٍ او مؤلفٍ عربيٍ يؤكد هذا الزعم او يثبتهُ فلم اقف على شيءٍ . ولما لم اجد ما يشفي الغليل من هذا القبيل عكفتُ على مطالعة الكتب والجرائد الاجنبية التي تبحث في مثل هذه المواضيع فعثرتُ على ضالتي المنشودة وانشأتُ جريدة اللطائف ونشرتُ فيها المقالات الضافية عن الماسونية ثم طبعتُ كتابي في الآداب الماسونية ولم يكد ينجز طبعهُ حتى بيع معظم نسخهِ. ولما رأيتُ ما كان من سرعة انتشارهِ وشهادة الافاضل بنفعهِ عزمتُ على طبع تاريخٍ مطولٍ في الماسونية منذ نشأتها فطبعتُ

الجزء الاول منهُ وخصصتهُ لتاريخ الماسونية العملية وساشفعهُ بغيرهِ فاجعلهُ تاريخاً لها منذ صارت رمزية الى الآن في كل الممالك والبلدان مبتدئاً من مصر الى ما سواها وسأطبع كتاباً دعوتهُ الجوهر المصون في مشاهير الماسون وهو الذي اشرتُ اليهِ مراراً في مواضع مختلفة من كتبي

ولقد وقفتُ في اثناء مطالعاتي على حقائق كثيرة عن فضائل الماسونية فقوي عزمي واشتدَّ ساعدي على جمعها فوضعتها في هذا الكتاب راجياً من قرَّائهِ الكرام غض النظر على ما جاء بهِ من الهفوات و بالله التوفيق

شاهين

مكاريوس



رئيس جمهورية المكسيك الوطني

خمسون الف ريال جزاءً لمن يحضرهُ ميتاً كان او حيًّا — كيف سلمت حياتهُ بواسطة اخ ماسوني

روى هذه الحادثة الماجور ادون شرمن « درجة ٣٣ » وكاتب اسرار جمعية ابطال الماسونية في السواحل الباسيفيكية قال :

كان في مدينة نيويورك سنة ١٨٧٥ شاب في الثامنة والعشرين من عمرهِ نال الدرجات الماسونية في محفلٍ هناك . وكان حينئذٍ محاسبًا في الباخرة المسماة « مدينة هفانا » التي كانت تمخر بين نيويورك وهفانا ونيواورليان وتنبيكو وفيرا كروز

ففي شهر يوليو « تموز » سنة ١٨٧٦ وصلت الباخرة الى نيواورليان فنزل محاسبها الى المدينة . وبينما كان سائرًا في احد الشوارع رأى رجلاً قد علّق بصدرهِ اشارة الاستغاثة الماسونية لعلهُ يجد اخاً يغيثهُ . واتفق ان المحاسب كان اول من رآهُ فعزم على مساعدتهِ مهما كلفهُ الامر

وكان هذا الاخ المسكين ضابطًا من ضباط الجيش المكسيكي اتُّهم بانهُ ساعد على اضرام الثورة ضد حكومة « ليردو دي تيخادا » رئيس جمهورية المكسيك . ففرَّ هاربًا الى نيواورليان واقام بها . ثم تاق الى وطنهِ فاراد الرجوع متنكرًا ليجمع ثروتهُ المشتتة ولكن كان دون ذلك العقبات والاهوال الجسام لان رئيس جمهورية المكسيك عزم على قتلهِ وعيَّن خمسين الف ريال لمن يحضرهُ اليهِ ميتاً كان او حيًّا

وكان المحاسب قد رقي الى درجة استاذٍ ماسوني من عهد قريب فرأى

ان الواجب عليهِ ان يقوم بما تعهد بهِ وان الشرف والنخوة والامانة تدفعهُ الى مساعدة اخيهِ ومدّ يد المعونة اليهِ فعزم ان يفرغ ما في وسعهِ لانجادهِ ولو آل الامر الى تلف حياتهِ

فاخذهُ الى الباخرة واعطاهُ غرفة حسنة واعتنى بهِ كل الاعتناء مدة سفرهِ حتى رست الباخرة في مياه تنبيكو فصعدت اورطة من الجنود المكسيكية الى الباخرة لتفتش عن الضابط المذكور وكانوا يتكلمون الاسبانية فسمع الضابط كلامهم من غرفتهِ وعرف اكثرهم من اصواتهم فتاكد انهم كلهم يرغبون في امساكهِ طمعاً بالجائزة الموعودة فعزم على الفرار بان يلقي نفسهُ في الماء ويسبح الى الشاطئ لئلاً يقع غنيمة باردة في يد اعدائهِ فاغتنم الفرصة وخرج من غرفتهِ والقى بنفسهِ الى الماء وكان المحاسب مراقباً حركاتهِ فانزل قارباً وانتشلهُ ولف رأسهُ بغطاء حتى لا يعرفهُ احد واصعدهُ الى الباخرة مدعياً انهُ مجنون اراد ان ينتحر غرقاً فعاد الجنود يحرسون غرف الباخرة . وعند المساء هطلت الامطار مدرارة فاضطرّ الجنود ان يذهبوا الى مؤخر السفينة للالتجاء فاغتنم المحاسب هذه الفرصة واصعد الضابط الى غرفتهِ فلم يرهُ احد ووضعهُ في خزانة ملابسهِ واقفل الباب عليهِ

وكانت اورطة اخرى معسكرة عند الشاطئ منعاً للضابط من الفرار وصدرت الاوامر الى الاورطة التي في الباخرة بان تشدد المراقبة لان الحكومة اشتبهت ان الرجل الذي تطلبهُ على ظهر الباخرة . ولسوء حظ المحاسب استؤجرت الباخرة لنقل الاورطة التي عليها الى فيراكروز فوقع المحاسب في حيرة عظيمة خشية ان يفتضح الامر . فكان هذا الضابط المسكين محاطاً بالاخطار ومسجوناً في الخزانة طول النهار

وكان المحاسب يدخل في المساء الى غرفتهِ ويقفل بابها ثم يفتح الخزانة ويعطي الضابط المسكين قطعاً من الخبز كان يخبئها لهُ سراً في جيوبهِ ثم يضجعهُ في فراشهِ ويسهر الليل كلهُ على حراستهِ

وقبل ان وصلت الباخرة الى مياه فيرا كروز كتب الضابط المسكين سنداً بخمسين الف ريال تدفع حين الطلب الى المحاسب وطلب منهُ ان يقبلها هدية لهُ لما ابداهُ نحوهُ من الغيرة على حفظ حياتهِ . فاخذ المحاسب السند ومزقهُ قائلاً للضابط اني لا اريد جزاء على عملي لانهُ من واجباتي وواجبات كل اخ ماسوني واعدُّ عملك هذا اهانة لي فشكرهُ الضابط على عواطفهِ الشريفة وهمتهِ الكبيرة

ثم اخذ المحاسب في الاستعداد لاخراج الضابط من السفينة بغير ان يشعر احد بهِ فاحضر لهُ بدلة قديمة كانت لوقاد من وقادي الفحم في الباخرة والبسهُ اياها ولما جنَّ الليل نزل الضابط الى الماء وسبح مسافة ميلين حتى وصل الى ساقية هناك فصعد الى الشاطىء ولجأ الى شجرة فنام تحتها

ولما بزغ الصباح عاد فسبح ثانيةً الى الساقية حتى وصل الى غوطة فلم يمشِ قليلاً حتى سمع جلبةً من بعيد وكانت جلبة قافلة مسافرة الى مدينة المكسيك فاختفى قليلاً حتى رأى المسافرين وعرف انهم ليسوا من اعدائهِ فتوجه اليهم وكان الجوع قد اضناهُ فاطعموهُ وبقي سائراً معهم حتى دخلوا البلد فعرف ان قسماً كبيراً من السكان يميل الى قلب الحكومة الحاضرة فجاهر بالثورة وجنَّد الجيوش وحارب اعداءهُ فغلبهم وطرد الغرباء ومن جملتهم اليسوعيون وجدَّد المحافل الماسونية التي كانت قد أُهملت لشدة التضييق عليها ونشر راية الحرية والمساواة والاخاء وبنى المدارس وبذل كل ما في وسعهِ حتى انتظمت الاحوال واستتبت امور البلاد .

اما هذا الضابط والاخ الماسوني الذي كان هارباً ومضطهداً فهو القائد بورفيارو دياز محرر الجمهورية المكسيكية ورئيسها

ولنعد الآن الى المحاسب الماسوني الامين الذي خلَّص حياة اخيهِ وابى قبول الالوف من الريالات جزاء لما فعل على فقرهِ واجرتهِ القليلة لئلاَّ يقال انهُ قبلها طمعاً بالمال لا غيرةً على الانسانية . فانهُ بعد مضي عدة

سنوات سافر الى المكسيك لمشاهدة تلك الجمهورية ولما وصل اليها دخل الى فندق هنالك فاستأجر غرفة وخلع ثيابهُ لينام واذا بالباب يطرق فعجب من هذا الامر لانهُ لم يكن يعرف احدًا في المكسيك فنهض وفتح الباب فرأى عددًا من الضباط بملابسهم الرسمية وامامهم قائدهم فقال القائد "ايها الاخوان ان هذا الرجل الذي يقف امامكم هو الذي خلّص حياتي وجعلني واياكم في المناصب العالية التي نتولاَّها الآن". وكان هذا القائد هو الرئيس دياز والرجال هم الضباط حاشيتهُ فاخذت الدهشة المحاسب ولم يكد يصدق ان ذلك الاخ الماسوني الذي البسهُ ثياب الوقّاد الرثة اصبح رئيس الجمهورية المكسيكية

وفي اليوم التالي نزل المحاسب ضيفًا كريمًا على الرئيس دياز في قصرهِ فطلب منهُ ان يقبل وظيفة قنصل المكسيك في سان نازار (بفرنسا) فبقي فيها عدة سنوات ثم عين قنصلاً جنرالاً للمكسيك في مدينة باريس ثم طلب ان ينتقل الى سان فرنسيسكو (في الولايات المتحدة) فاجيب الى طلبهِ ولا يزال قنصلاً جنرالاً فيها الى الآن

واسمهُ "اسكندر كوني" وهو اميركي الاصل وُلد في غرة ابريل سنة ١٨٤٧ في ولاية لوزيانا واقترن بسيدة مكسيكية ولم يزل الى الآن استاذًا ماسونيًا وعضوًا في محافل عديدة

" ان اجابة الاستاذ الماسوني لصوت الاستغاثة ظهرت كل نتائجها في هذه الحادثة"

يجب على كل محفل ماسوني ان ينيب لجنةً عنه في اداء واجبات العزاء والهناء الى الآخرين ومشاركتهم في احزانهم وافراحهم ولاسيما العائلات الماسونية

العفو عند المقدرة

كيف ان كولونيلاً ساعد ضابطاً من اسرائهِ لانهُ ابن ارملة وخلى سبيلهُ

بعد ان انتهت موقعة بول رون العظيمة في حرب الولايات المتحدة الاهلية وفاز فيها اهل الجنوب ركب كولونيل الجيش الجنوبي حصانهُ في ضوء القمر وجال في ساحة القتال بين جثث الجرحي والقتلى وكانت الاصوات المحزنة تعلو من كل الجهات هذا يستغيث وهذا يصعد الزفرات من عمق قلبهِ وهذا يسلم روحهُ وما من سميع ولا مجيب لصوت اولئك التعساء

فالتفت الكولونيل بغتةً اثر صوت استغاثةٍ ماسونية سمعها بالقرب منهُ فترجل عن ظهر حصانهِ ودنا من المستغيث فاذا بهِ ضابط من ضباط جيش الشمال ملقىً علي الارض يتألم من الجراح العديدة التي اصابتهُ وقد اسند راسهُ الى سرجٍ ملقىً هناك . فسألهُ الكولونيل عن جروحهِ فقال هي ثلاثة بالغة واشار براسهِ الى مواضعها فقال لهُ الكولونيل ما هو اسمك ومن اي فرقة انت فقال انا ابن ارملة واسمي حيرام من فرقة بنسلفانيا وقد مضى عليَّ ثلاثة ايام لم اذق فيها طعاماً ولا شراباً

فانهضهُ الكولونيل برفقٍ وحنوٍّ واركبهُ حصانهُ وسار بجانبهِ ساندًا ظهرهُ بيدهِ الى ان وصل الى بيتٍ قريب فانزلهُ فيهِ وامر اصحابهُ ان يعتنوا بهِ ثم ودعهُ ووعدهُ بزيارتهِ

وبعد مضي عدة اسابيع عاد الكولونيل ذلك الضابط وكان قد شفي تماماً فنهض الضابط وقال ايها الكولونيل انني اسيرك لانني وقعت في يدك ايام الحرب وها انا مستعد لان اسير معك اينما شئت فقال الكولونيل هيا بنا اذًا فركبا وسار الكولونيل في طريقٍ غير مألوفة والضابط سائر معهُ حتى وصلا

الى آخر حدود عساكر الجنوب فالتفت الكولونيل الى الضابط وقال لهُ قد اصبحت الآن حرًّا فسر الى والدتك الارملة فترجل الضابط وشكر للكولونيل على معروفهِ وعلوّ همتهِ وسألهُ ان يسترجع الحصان فابى الكولونيل ذلك ووهبهُ اياهُ

فعانق الضابط الكولونيل قائلاً ارجو ان لا نلتقي ثانيةً في الحرب بل اودّ ان تُتيح لي الظروف لاقابلك على معروفك الذي لولاهُ لكانت والدتي تلك الارملة المسكينة لحقت بي الى القبر ثم ودّع كلٌّ صاحبهُ وافترقا

اجابة الاستغاثة

قال مؤلف هذا الكتاب . كنت سنة ١٨٧٤ مقيمًا في مدينة بيروت بسورية فذهبت لوداع احد اقاربي في الباخرة الفرنسوية ومكثت معهُ الى ان سافرت الباخرة وما شعرت بسفرها الاَّ بعد ما ابعدت عن الميناءِ ولم يكن مرفأُ بيروت قد بني فكانت البواخر ترسو بعيدةً عن الميناء . ولم يكن في عزمي السفر ولا كنت مستعدًّا لهُ فلو سافرت لخسرت كثيرًا ولم القَ من اشكو اليهِ همي سوى احد معارفي وهو الخواجه اسكندر غريب شقيق الدكتور الفاضل قيصر غريب من قرية عبيه بجبل لبنان فسألتهُ عما اذا كان يعرف احد الماسون في الباخرة فقال لي سمعت ان القبطان ماسوني فذهبت اليهِ وانا اكاد اتميز غيظًا من نفسي وتأخري عن العودة الى بيروت وعلامات الكدر ظاهرة على وجهي فحالما نظرني سألني بالفرنسوية عما المَّ بي ولما كنت اجهلها اشرت اليهِ بعلامة الاستغاثة المعلومة عند الماسون فاستحضر ترجمانًا بيني وبينهُ بالسرعة فاخبرتهُ اني تأخرت عن ترك الباخرة فسافرت وانا لا انوي السفر وشرحت لهُ حالتي تمامًا فامر على الفور ستة من البحارة فانزلوني في قارب وجذفوا بي حتى اوصلوني الى الشاطىء بامانٍ وسلامة ثم ودعوني فشكرت فضلهم بالاشارة واقسمت ان اعيش طول عمري خادمًا للماسونية بالامانة وبررت في قسمي كما يشهد كل من يعرفني الى الآن

غاية الماسونية

ذكر هذه الحادثة بوّر كاتب اسرار محفل ميسيسبي الاعظم قال : تفشت الحمى الصفراء في ولاية ميسيسبي فمات منها كثيرون ومن جملتهم الاخ بوند المنبه الاول لمحفل « رَيزن غلوري » نمرة ٢١٥ ثم ولدت امرأتهُ ابنة وتوفيت بعد اربعة ايام فاصبحت الابنة المسكينة لطيمةً لا اب ولا ام لها

فذهبت واشتريت على اسمها اوراقًا مالية بقيمة خمسمائة ريال وفائدة ثمانية في المئة ثم توجهت الى منزل جدتها واخبرتها بان محفل ميسيسبي يتبنى هذه الابنة ويعتني بتربيتها ويقوم بلوازمها ثم نقدتها مئة ريال للاعتناء بها ووعدتها بارسال فائدة الخمسمائة ريال مرَّةً كل نصف سنة

وبعد مضيّ عدة ايام وصلتني صرَّةٌ فيها ٦٠٠ ريال كان قد اهتمَّ بجمعها الاخ جون كولدويل[1] كاتب اسرار محفل اوهايو لتنفق على الاولاد الذين تيتموا بوفاة والديهم بالحمى الصفراء ولما كانت تلك الفتاة المسكينة هي اليتيمة الوحيدة طلبتُ من المحفل ان يقرر اضافة الستمائة ريال الى ما عينتهُ لها فأُجيب طلبي

ودَعوتُ الابنة « ماري كولدويل » ذكرًا لماري امرأة الاخ كننغهام الرئيس الاعظم لمحفل اوهايو ولكولدويل كاتب اسرار المحفل المذكور فسرَّهما ذلك وقرَّر محفل اوهايو الاعتناء بهذه الابنة في سنيها المقبلة

• ولكن تلك المسكينة التي اهتمَّ محفلان عظيمان بتربيتها ومستقبلها توفيت بعد مدة قصيرة قبل ان تتم غاية المحفلين فكان لوفاتها تأثيرٌ عظيم فيَّ ولكن كانت تعزيتي اعتقادي بان غاية الماسونية توفير الراحة والسعادة لبني الانسان واقصاء الاحزان والشرور عنهم

---

(١) انظر رسمهُ وملخص ترجمتهِ في كتابنا الجوهر المصون في مشاهير الماسون

تاثير الزاوية والبيكار
على لاعب القمار

قال الاخ روبرت موريس سافرت من مدة سنوات على باخرة لم ترَ عيني ابطأ منها ولا اقذر ولسوء الحظ لم اجد من يسليني لان معظم المسافرين كانوا مهتمين بالمقامرة من شروق الشمس الى منتصف الليل. وكان بين اللاعبين شابٌ عليهِ هيئة الظرف والادب ودلائل الوداعة والسكينة كمن ربي في عائلة نقية وبعناية والدين كريمين . فلم ادرِ كيف جلس على طاولة المقامرين ولا كيف تلطخ بهذا العار . وبينما كنت نائماً ذات ليلة تراكمت عليَّ براغيث تلك الباخرة فقلقت قبل منتصف الليل فوجدت الشاب سكران وعلى وجههِ هيئة المقامر الغضوب وهو جالس بين زمرةٍ من مهرة المقامرين وقد سلبوهُ اكثر نقودهِ وظهر لي انهم خدعوهُ وانهُ لا يحسن لعب الورق فدنوت منهُ وجلست بجانبهِ وانا انظر الى دراهمهِ وهي تنقص شيئاً فشيئاً من امامهِ وتزداد امام خصمهِ وكان بجانبهِ على الطاولة قطعة دخان للمضغ وسكين فظننتهما لهُ فاخذت قطعة الدخان وجعلت احفر عليها صورة زاوية وبيكار بلا انتباه وبينما كان الشاب يجمع ورق اللعب مدَّ يدهُ نحوي فلحظت زرًّا في كم قميصهِ وعليهِ علامة الزاوية والبيكار فعلمت حالاً ان الشاب ماسوني واعتمدت على انقاذهِ من الخطر المحيق بهِ . فتممت حفر العلامة على قطعة الدخان ووضعتها امامهُ لظني انها لهُ وذهبت الى محلٍّ ارقبهُ منهُ فالتفت الى العلامة التي على قطعة الدخان وتبصر فيها قليلاً كأنهُ فهم قصدي

ثم لحظت انهُ اخذ يتأثر مما جرى فلعب دورًا من الورق بتمعنٍ كثير لان دراهمهُ كادت تنفد ولحسن حظهِ ربح فقام وتمشى قليلاً ثم عاد ولعب دورًا ثانياً فربح ايضاً فقام وشرب ماء وتمشى مدةً اطول من الاولى ثم لعب

دورًا ثالثًا فربح . وحينئذٍ كأنَّ قوَّةً عظيمة هبطت عليهِ فطرح الورق من يديهِ وجثا على ركبتيهِ ورفع يديهِ نحو السماء واقسم ان لا يعود الى المقامرة ايضًا

وبعد ذلك اعترتهُ حمى شديدة من تاثير المشروبات الروحية فيهِ ومما نالهُ من الخسارة فجلست الى جانب سريرهِ وكنت اغسل راسهُ بالماء البارد الى ان اصبح الصباح وفارقتهُ الحمى . فبعملي هذا خلصتهُ من القمار وخلصت حياتهُ من الموت. وخدم الماسونية التي كانت سببًا لحياتهِ خدمًا جليلة بعدذلك

وبينما كنت جالسًا امام فراشهِ دخل رجل آخر وهو صاحب قطعة التبغ والسكين وكان قد رأى العلامة وعلم كل ما فعلتهُ فأكد لي انهُ لم يعلم ان الشاب ماسوني ولو علم ذلك لما لعب معهُ ابدًا .وكان هذا الرجل ماسونيًا ايضًا فجلس معي في غرفة المريض الى الصباح ثم قام واسترجع من المقامرين الدراهم التي ربحوها من ذلك الشاب وردها اليهِ ولم يعد الى لعب القمار البتة بل دخل في مصاف التجار فربح الارباح الطائلة وتقدم تقدمًا سريعًا وكان مثالـــ الامانة والاستقامة . وقد انتخب حاكمًا على احدى الولايات وتذكارًا لهذه الحادثة اخذت منهُ قطعة التبغ التي كانت سببًا في خلاص نفسين من المقامرة بعلامة الزاوية والبيكار المحفورة عليها ولاتزال عندي الى اليوم

اعداءٌ في الحرب اخوانٌ في الماسونية

حدث للاخ جيرارد احد قواد الجيش الفرنسوي حادثة ذكرها في تاريخ حياتهِ الماسونية قال :

استأذنت انا وضابط آخر البرنس مورات[1] في الذهاب الى مدريد وكانت حينئذٍ تحت سيطرة الفرنسويين والجيوش محتلة لها فوصلناها في غرة مايو

---

(١) انظر ترجمتهُ في كتابنا الجوهر المصون في مشاهير الماسون

سنة ١٨٠٥ وفي صباح اليوم التالي توجهت مع صديقي الضابط الى مطعم فرنسوي وبينما كنا نتناول الطعام سمعنا جلبةً عظيمة واذا بالاسبانيين قد ثاروا وتفرقوا في انحاء المدينة متسلحين ببنادقهم ليطردوا الفرنسويين من مدريد فعمدنا الى الهرب ووصلنا الى شارع ضيقٍ فنظرنا رجلٌ هناك فاطلق بندقيتهُ علينا فاصابت رصاصة صديقي الضابط فوقع قتيلاً . اما انا فاستولى عليَّ الخوف لاني اصبحت وحدي وليس معي سلاح ادافع بهِ عن نفسي فابديت الاستغاثة الماسونية فرآني رجلٌ لابس لباس عسكري فتقدم اليَّ وكلمني بالفرنسوية وكان قد رأى حادثة رفيقي الضابط فاخذني الى اصطبلٍ قريب واعطاني قليلاً من الوسكي لتنبيه اعصابي واشار اليَّ ان انتظرهُ قليلاً وخرج ثم عاد ومعهُ قبعة اسبانية وثوب اسباني فالبسني اياهُ وسرنا سويةً كأننا اسبانيان وما زلنا نجدُّ حتى وصلنا الى خارج البلد فاراني الطريق المؤدية الى الخيم التي يعسكر فيها الجيش الفرنسوي وقبل ان ودَّعني قال لي ايها الاخ انا ضابط انكليزي واسمي هنري سيتن ولم تزل الحرب قائمة بيننا وبين فرنسا على قدمٍ وساق فاذا قدرت على مساعدة ابناء وطني فارجو منك ان لا تتأخر عن ذلك واذكر اسم اخيك هنري سيتن

فشكرتهُ على همتهِ وشرف نفسهِ لانه كان قادرًا ان يقتلني بادنى اشارةٍ منهُ ووعدتهُ بان اقابلهُ على جميلهِ بالمثل اذا سنحت لي فرصة

ومضى بعد ذلك زمن لم اسمع فيه شيئًا عن هذا الاخ ولم اعلم محل اقامتهِ وكان ذكرهُ يتردد دائمًا في خاطري وفي ليلة واقعة واترلو الشهيرة قدَّم اليَّ الضباط ضابطًا انكليزيًّا اسيرًا فاختليت بهِ وسألتهُ عن الاخ هنري سيتن فقال لي انهُ توفي في راس الرجاء الصالح سنة ١٨١٢ وكان قد ارتقى الى وظيفة قائد في الجيش الانكليزي فحزنت عليهِ حزنًا شديدًا واخبرت الضابط الاسير بما جرى لي مع هنري سيتن ثم اطلقتهُ الى فرقتهِ مكرمًا معززًا وفاءً بالوعد

المساواة واتضاع الملوك

كان الدوق اوف كَنْت والد ملكة انكلترا رئيساً اعظم لمحفل كندا الاكبر وثبت في ٢٢ يونيو سنة ١٧٩٢ فاهدى الى المحفل المذكور اشياء كثيرة ثمينة تدل على تعلقهِ بالماسونية تذكاراً لتثبيتهِ وهذه الهدايا محفوظة الى الآن عند كاتب السرّ الاعظم

واتفق يوماً ان الدوق اوف كنت كان يلقي خطبةً في المحفل على مسامع الاخوان فقال فيها " انزعوا من بينكم بذور الشقاق ولا يقل احدٌ منكم هذا من انصار الملك القدماء وهذا من الاجدَّاء بل كلكم رعية واحدة " . فوقف احد الاخوان ليتكلم فاشار الى الملك قائلاً " ان ذاتكم الملوكية " فقاطعهُ الدوق قائلاً " ايها الاخ المحترم ليس بيننا ذات ملوكية هنا بل كلنا اخوة "

ان لفظة المساواة في الماسونية تجعل الملك العظيم كاصغر الاخوة الماسون

العناية بارامل الماسون واولادهم

كان والدي ساكناً في احدى مدن ولاية نيويورك وعضواً في محفل ماسوني هناك وكان يتعاطى التجارة ولكنهُ لم يصر غنياً بها كما كان يتوهم اكثر الاخوان الماسونيين في المحفل لانهُ كان ذا غيرة عظيمة على الاعمال الخيرية والمبرات وتقلب في وظائف ذلك المحفل وبعد ان مرض مرضاً عضالاً اشار عليه اكثر اصدقائهِ ان يترك اشغالهُ اراحةً لجسمهِ ومراعاةً لصحتهِ الاَّ انهُ اضطرَّ اخيراً ان يبيع كل موجودات المحل اذ لم يكن عندهُ دراهم كافية تقوم باودنا ولم يخبر احداً من اخوانهِ الماسون باحتياجهِ الى المال

وكانت والدتي تبغض الماسونية بغضاً شديداً وكثيراً ما عنفت والدي على انتظامه في سلكها وكانت تنسب اليها كل شنيعة وقبيحة اما والدي فكان يتبسم لذلك ولا يجيبها على كلامها ولما قربت ساعة اجله دعا والدتي واوصاها ان تدع المحفل الماسوني يهتم بجنازته

وبعد وفاته حضر وفد من المحفل الى والدتي وعزّوها عن فقد والدي وطلبوا منها ان تسمح لهم بتشييع جنازته نظراً للخدمات التي خدم المحفل بها فقالت لهم انني كنت معارضة لزوجي مدة حياته كلها لانتظامه في سلك الماسونية اما الآن فلا تحسن المعارضة لانهُ اوصاني قبل وفاته ان اطلب اليكم ان تهتموا بجنازته غير اني اؤمل ان لاتبالغ النفقة مبلغاً كبيراً اذ ليس عندي دراهم وسابيع قسماً من امتعة البيت لهذه الغاية . فتعجب الوفد من كلامها وقالوا لها ألم يكن عند زوجكِ دراهم قالت لا . وفي هذين اليومين تصدّق علينا الجيران بما ناكل ولو اعلمت زوجي بذلك لكان قد مات قبل اليوم بزمن طويل فقالوا لها هل عندكِ ما يكفي لثياب الحداد فقالت لا . فطيبوا خاطرها وذهبوا الى المحفل وعرضوا الحادثة على الرئيس المحترم فتاثر الاخوان من ذلك ومن شهامة الاخ المتوفى الذي لم يخبر المحفل بحالته لئلاً يحمّل اخوانهُ اثقالهُ فقرر الرئيس المحترم جمع اكتتاب من الاعضاء لوالدتي فبلغ ما جمعوهُ ثلاثمائة ريال فوضعت في البنك الاقتصادي تحت طلبها

ثم عاد الوفد واخبروا والدتي بما فعلوا وفي ثاني يوم شيعت جنازة والدي على نفقة المحفل وسار وراء النعش كل الاعضاء بالملابس الرسمية . وبعد ايام قليلة اتى اليّ اخ من الوفد الماسوني فاخذني ووضعني عند تاجر مجوهرات وكان عمري عشر سنوات نخدمت مصلحتي بكل امانة ثم وضع اخي في المدرسة وكان الاخوان يهتمون بنا غاية الاهتمام ويقدمون لنا شيئاً معيناً كل شهر

ولما رأت والدتي اعمال هذه الجمعية التي طالما عنفت والدي على الانضمام اليها جثت على ركبتيها وتمنت لو كان والدي حياً ليغفر لها ماضي ذنوبها .

اما اليوم فقد اصبحت شريكاً لتاجر الجوهرات واتسعت ثروتنا وسيتمم اخي دروسهُ وينال الشهادة العلمية ولم تزل والدتنا بالصحة التامة تشكر الجمعية على عملها الشريف الى آخر نسمةٍ من حياتها

الذكر الخالد

لما توفي الجنرال جورج وشنطن اول رئيس للولايات المتحدة عين محفل ماستشوستس الاعظم في شهر يناير سنة ١٨٠٠ لجنةً لتكتب جواب تعزيةٍ لامرأة الجنرال وكان من اعضاء تلك اللجنة الدكتور جون وَارين والكولونيل بول ريفر والدكتور يشوع بارتلات وكلهم رؤساء عظام قدماء لمحفل ماستشوستس فاظهروا في تحريرهم الى امرأة وشنطن عظم الخطب الذي ألمّ بها وبالاخوان وعزوها عن مصابها ثم طلبوا منها ان ترسل اليهم خصلة من شعر الجنرال وشنطن لتحفظ في ذخيرة ذهبية وتبقى بين آثار المحفل الاعظم

فارسل المستر طوبيا لير كاتم اسرار مسز وشنطن كتاباً الى اللجنة بيّن فيهِ عواطف امرأة الجنرال فقال :

"جواباً على طلبكم ترون في هذا التحرير خصلة من شعر الجنرال وشنطن وقد اثرت عواطفكم الشريفة في قلب مسز وشنطن اي تأثير لمشاركتكم اياها في حزنها ولطلبكم اثراً من زوجها المتوفى فاقبلوا منها مزيد الشكر"

فوضعت تلك الخصلة في ذخيرة من ذهب وهي باقية الى الآن كدرَّة ثمينة وكلما نصب رئيس اعظم يسلمهُ الرئيس السابق الذخيرة ليحافظ عليها ثم يسلمها هذا الى خلفهِ فيبقى اعاظم الرجال في محفل ماستشوستس يتداولونها كأنها كنزٌ اثمن من الجواهر واغلى من الفضة والذهب

الصدقة القليلة تاتي بالخير الكثير

كيف ان اخاً ماسونيًّا عِيلَ وطُبِّب ودُفن على نفقة الاخوان الماسون

اشتهرت مدينة باتل مونتن في ولاية نيفادا من الولايات المتحدة الاميركية بكثرة معادنها المتنوّعة فتقاطر الناس اليها افواجاً فمنهم من توفّق حالاً الى وجود المعادن ومنهم من خاب سعيهُ فولى راجعاً ومنهم من بذل مالهُ وحرم نفسهُ كل الطيبات اقتصادًا واملاً باكتشاف كنزٍ فبات في حالة الفقر المدقع من كثرة النفقات حتى لم يعد لهُ منزل يأوي اليهِ ولا طعام يقتاتهُ

ومن جملة هؤلاء المنكودي الحظ رجلٌ يدعى جورج جيفورد لم يكن يعرفهُ سوى اشخاص قليلي العدد كانوا اسوأ منهُ حالاً فكانت معرفتهم لهُ وعدمها على حدٍّ سوى لانهُ لم يرتجِ منهم نفعاً

فضاقت يد جورج المذكور عن القيام باودهِ حتى افضى الامر بهِ الى انحلال جسمهِ لشدة الجوع فمرض مرضاً عضالاً وهو ملقىً على التراب في غرفة حقيرة لم يكن فيها شيء من المتاع . فشاع خبر مرضهِ في تلك الجهة وتقوّل الناس الاقاويل في ما اذا كان ماسونيًّا او لا

فبلغ هذا الخبر بعض الاخوة الماسونيين فذهب واحدٌ اليهِ ولما دخل غرفتهُ وجد اخاً ثانياً لم يعرفهُ قبلاً وقد اتى للاستعلام عن امر جورج المسكين فرأيا انهُ استاذ ماسوني فاسرع احدهما حالاً واستدعى لهُ طبيباً فباشر علاجهُ ووكل امر العناية بهِ الى امرأةٍ هنالك ولكن لم تكن دلائل الصحة بادية علي وجه المريض فرجح الطبيب وفاتهُ في مدة قريبة

ولم يكن محفل حينئذٍ في باتل مونتن لان المكان كان لم يزل جديد الاستعمار فقام احد الاخوين وكتب اعلانًا ولصقهُ على جدران المدينة مفادهُ

ان استاذاً ماسونياً مريضاً يرجو من كل الاخوان الماسونيين الذين يحبون الاستعلام عنهُ ان يتوجهوا الى محل احد الاخوين ويتعرفوا بعضهم البعض

وفي اليوم الثاني اجتمع اثنان وعشرون اخاً وكلهم غرباء ومن محافل مختلفة ولم يكن الواحد يعرف الآخر قبلاً فألفوا لجنة خصوصية للنظر والاعتناء بالاخ جورج جيفورد مدة مرضهِ حتى اذا توفي ابلغت اللجنة جميع الاخوان ذلك ليشيعوا جنازتهُ بالاحتفال الواجب على نفقتهم

ولم يعش الاخ جورج بعد ان عرف بهِ الاخوان الماسون الاَّ بضعة ايام ولما مات اجتمعوا وشيعوا جنازتهُ بالاحتفال الواجب ومشى خلف النعش العدد الكبير من الماسون ثم اقاموا لهُ نصباً ليكون شاهداً في مستقبل الايام على العمل المبرور الذي فعلهُ هؤلاء الاخوان مع اخيهم المسكين وبرهاناً على قيامهم بواجباتهم الاخوية

ثم اجتمعوا ثانيةً وقدمت اللجنة حساب النفقات فبلغت مبلغاً وافراً فتقرر ان تفرض بالمساواة على كل واحد منهم فلم يلحق الفرد سوى الشيء القليل وهكذا سُدّدت نفقات اللجنة ·

لغة الماسونية

اخبرني الاخ الخواجه نقولا منسى احد تجار مدينة بيروت المشهورين انهُ ذهب الى مدينة باريس للنزهة ومشترى ما يلزمهُ من البضائع ونزل في فندق هنالك وكان معهُ ترجمان وجماعة من عارفي اللغة الفرنسوية يترجمون لهُ ما يروم ترجمتهُ لانهُ يجهل تلك اللغة . فنزل مرةً من غرفتهِ الى الشارع وعزم ان يتمشى قليلاً ثم يعود لمقابلة بعض اصدقائهِ وما ابعد حتى ضلَّ السبيل وبقي مدةً يفتش عن الفندق فلم يهتدِ اليهِ ومكث برهةً وهو حائر في امرهِ فراى ان يلجأ الى الماسونية فجعل يدخل الى المخازن ويشير بالاشارات

الماسونية فتعرّف ببعض الاخوان ولما لم يكن بينهم من يعرف العربية اخذهُ بعضهم الى شارع المغاربة حيث يقطن بعض الاخوان الذين يعرفون العربية والفرنسوية وهناك استفهموا منهُ عما يلزمهُ واخذوهُ الى الفندق وزاروهُ مرارًا وخدموهُ في مصالحهِ ودعوهُ الى محفلهم واكرموهُ كل الاكرام

الاخ الماسوني وقاطع الطريق

كان احد الاخوة الماسونيين مسافرًا في احدى الولايات المتحدة في ليلة شديدة المطر كثيرة الزوابع وبينما كان يجسّ طريقهُ والظلام كالح والرعد قاصف سمع صوتًا يناديهِ قائلاً قف فاما مالك واما روحك فالتفت واذا برجل طويل القامة قبيح المنظر عليهِ سمات الفظاظة والقساوة وبيدهِ بندقية مصوبة اليهِ وهو يدنو منهُ . فلما وصل اللص اليهِ كرّر السؤال عليهِ فاخذ الاخ يلاطفهُ ليتركهُ فلم يرعوِ اللص عن غيهِ بل اطبق عليهِ وامسك بعنقهِ قاصدًا سلبهُ . فلما يئس من النجاة خرج مستنجدًا وتلفظ بكلمة الاستغاثة المعروفة عند الاخوان الماسون وللحال سقطت البندقية من يد اللص وضمَّ الاخ الماسوني الى ذراعيهِ قائلاً ايها الاخ اغفر ذنبي وعاد تاركًا اخاهُ الماسوني ولم يمسهُ بضرّ

ولا ريب ان هذا اللص كان قد انضمَّ الى الماسونية منذ شبوبيتهِ واطلع على اسرارها ثم عاشر بعض الاشقياء فافسدوا اخلاقهُ وآدابهُ فصار لصًّا ومع كل ما كان عليهِ من الشقاء لم يمس اخاهُ بضرّ لانهُ انتبه في تلك الساعة المدلهمة من الليل عند سماع لفظة الاستغاثة الى تلك اليمين المعظمة التي حلفها وهي انهُ يساعد اخوانهُ وقت الشدة فابى ان يحنث بيمينهِ

المبادئ الماسونية

تهذّب الاخلاق وتمدّن المتوحشين

بعد ان رجع الاخ پورت الطبيعي الفرنسوي الشهير من سفرتهِ في البرازيل احضر معهُ رجلاً هنديًّا وامرأتهُ من قبيلة بوليكيدوس ليعرضهما على الجمعية العلمية في باريس . وكان الاخ پورت يميل الى الماسونية كل الميل ويود الانضمام اليها . فاتاهُ يومًا احد الاخوان ليكلمهُ بهذا الشأن ولما رأى الهنديّ الذي احضرهُ معهُ اخذ يسعى في ضمهِ الى الماسونية لانهُ توسم فيهِ دلائل النجابة والذكاء وتاكد انهُ يكون عونًا للسياح والتائهين من الماسون في غابات البرازيل المخيفة

ولما كان الهندي يجهل اللغة الفرنسوية كان الاخ پورت يوضح لهُ بلغتهِ اهمية الواجبات المتطلبة منهُ والقسَم العظيم الذي لا يجوز لهُ ان يحنث بهِ فاظهر الهندي رغبتهُ في ذلك وانهُ على استعداد تام للقيام بواجباتهِ .

فعرضت اوراق الطلب على الرئيس المحترم الاخ ديلاندسي وبعد المداولات والتحقيقات اللازمة انضمّ الهندي واسمهُ عمانوئيل كونك والاخ پورت الى الماسونية وفي ٢١ يونيو سنة ١٨٤٥ رُقيا الى الدرجة الثالثة في محفل كليمنت اميتي

وحضر عمانوئيل كونك مأدبة شائقة في باريس كان فيها مثال الادب والترتيب حتى اعجب منهُ كل المدعوين وقبل مغادرتهِ باريس مع الاخ پورت قدم لهُ محفل كليمنت اميتي صحيفة من المعدن منقوشًا عليها اسمهُ واسم المحفل وتاريخ انضمامهِ الى الماسونية فوعد ان يحملها في الغابات عند عودتهِ الى وطنهِ وخلع الثياب الاوربية التي كانت تضايقهُ جدًّا .

ولما امتحن عمانوئيل كونك ظهر انهُ يعرف الاسرار الماسونية ومبادئها ايضًا

وواجبات الاخوان نحو بعضهم البعض ومساعدتهم عند الحاجة والرأفة بالمساكين ومعاملة الاعداء باللطف الى غير ذلك من المبادئِ الحسنة التي لم تكن من طبع ذلك الهندي فكانت الماسونيَّة سبباً لذلك

ثم عاد الاخ عمانوئيل كونك مع الاخ پورت الى البرازيل وهناك اخذ يقص على الهنود ما نظر من المشاهد الغريبة ويشرح لهم المدهشات التي رآها والمتاحف التي زارها وسرَّ سروراً خصوصياً بعرض الصحيفة المعدنية التي اهداها لهُ المحفل والتي جعلتهُ عضواً في اعلى مجتمعات العالم المتمدن

ولقي الاخ عمانوئيل كونك كثيرين من الاخوان الماسونيين في البرازيل وتعرَّف بهم وكانوا يحترمونهُ احتراماً عظيماً واخذ يعلم الهنود المبادئ الحسنة ويشرح لهم ما انطوت عليهِ الجمعية الماسونية من المزايا التي يقدرها قدرها العارفون بحقيقتها

ولكن لم يسمح مهندس الكون الاعظم بان يطيل عمر الاخ عمانوئيل لتظهر افعالهُ الحميدة بين الهنود بل ابتلاهُ بمرضٍ عضالٍ الزمهُ الفراش فأرسل رسولاً الى الاخ پورت يخبرهُ بالامر فاتى اليهِ من مكان يبعد مئاتٍ من الاميال ولما دخل رأى بجانبهِ اخاً ماسونياً من البرازيل كان قد عرف الاخ عمانوئيل فاتى لتسليتهِ في ساعة مرضهِ وكانت الصحيفة المعدنية على صدرهِ فاخذها وقبلها ثم أمسك يد كلٍّ من الاخوين وضمهما الى صدرهِ وقبلهما واوصاها بدفن تلك الصحيفة معهُ ثم اسلم الروح

وكانت وفاتهُ سنة ١٨٤٧ فاحتفل الاخ پورت بجنازتهِ ووضع الصحيفة المعدنية في نعشهِ حسب وصيتهِ لهُ ليصحبها معهُ الى عالم الارواح

على كل محفل ماسوني منتظم ان يجمع مبلغاً من المال لانشاء مدارس خيرية وادبية لتعليم الايتام الماسون وغيرهم والفقراء من كل الطوائف والنحل

هنري كِلَر

المشعوذ الاميركي الشهير

كيف ردّت اليهِ امتعتهُ المسروقة بواسطة استاذ ماسوني

روى هذه الحادثة هنري كلَر نفسهُ ونشرتها اكثر الجرائد وتناقلتها المحافل الماسونية ولم يزل هنري كلَر حيًّا يقصُّ الحادثة على من يشاء قال :

سافرت سنة ١٨٨٥ الى الصين فوصلت هنغ كنغ ومثلت فيها اشياء كثيرة من الشعوذات القديمة والحديثة حتى سحرتُ كل من رآها

ثم قصدت السفر الى سنقافورة وهي تبعد مسافة ١٥٠٠ ميل من جنوبي بحر الصين فركبت الباخرة مع مساعدي الخصوصي وكان يكره خوض البحار جدًّا اما انا فقد اعتدتهُ لان هذه السفرة لم تكن اول سفراتي ولكني دهشت اول مرة في حياتي لحادثة عجيبة جرت فيها

فسارت بنا الباخرة اليوم الاول فاصاب مساعدي دوارٌ ألزمني البقاء في غرفتهِ النهار والليل بطولها . ولما استيقظت في اليوم الثاني اخذتني الدهشة اذ لم ارَ شيئًا من امتعتي في الغرفة فمددت يدي الى جيبي فاذا بها خالية من الدراهم وفقدت ايضًا ساعتي وسلسلتها الذهبية وسُرِقت ايضًا محفظتي الكبيرة وفيها كل ادواتي الضرورية التي اعتمد عليها في طلب الرزق فاصبحت في حيرةٍ عظيمة من فعل السارق وصرت ابحث في كيفية تمثيل العابي التي تعهدت بتمثيلها في سنقافورة بعد ان سُرِقت مني كل الادوات اللازمة لذلك

فذهبت حالاً الى ربان السفينة واعلمتهُ بالحادثة فافرغ جهدهُ في البحث ولكنهُ لم يقف على السارق ولم يكن على ظهر الباخرة غير ثلاثين شخصًا اوروبيًّا ومئة من الصينيين فشككت ان واحدًا من الصينيين سرق امتعتي

وكان وكيل خرج الباخرة رجلاً صينيًّا عليهِ هيئة الوقار فوكل اليهِ

الربان امر التفتيش عن امتعتي ودراهمي والسعي في اكتشاف السارق ولكن لسوء الحظ ذهب سعيهُ سدًى ثم وصلنا الى سنقافورة وانا في يأس شديد كأن قد أُصبت بمسٍّ من الجنون فذهبت الى نزلٍ ومعي مساعدي وهناك أعملت الفكرة في ما اقدر ان امثلهُ من الالعاب بلا ادواتي فكان شيئًا زهيدًا لا يفي بالمطلوب ومعظمهُ معروف عند اهالي سنقافورة ثم جاء وقت العشاء فأمرت الخادم ان يأتيني بالاكل الى غرفتي لاني لم استطع النزول الى المائدة

ولم انتهِ من الاكل حتى سمعت قرع الباب فاذا بالخادم يقول لي ان في قاعة الاستقبال رجلاً يريد مواجهتك فارسلت مساعدي الخصوصي ليأتي بهِ اليَّ ولما دخل رأيتهُ رجلاً صينيًّا كنت قد رأيتهُ قبلاً غير اني لم اذكر اين رأيتهُ فقال لي انت هنري كار . فاجبتهُ نعم . فقال فقدت دراهمك وساعتك وادوات شغلك . قلت نعم وهل تعرف اين هي . قال نعم . فكدت اطير من الفرح لجوابهِ ثم مدَّ يدهُ الى داخل ردائهِ واخرج ما فقدلي وسلمهُ اليَّ فناولتهُ مبلغًا وافرًا جزاءً لهُ فابى قبولهُ فزاد تعجبي منهُ

فسألتهُ من هو فقال اتذكر محفل تيسين صن في شنغاي وهل تعرف الاخ تنغ ليمر الذي رقاك الى درجة استاذ ماسوني . فعرفتهُ حالاً وكان هو وكيل خرج الباخرة الذي وكل اليهِ الربان التفتيش عن السارق فوجدهُ واحضر الامتعة كلها اليَّ فشكرتهُ على غيرتهِ واهتمامهِ بامري ولولاهُ لكنت قد وقعت في ورطة لا مخلص لي منها

المحفل الماسوني الذي لا جريدة ماسونية فيهِ لا يكون طالعهُ سعيدًا ولا يعرف شيئًا عن انتشار الماسونية في العالم وفضائل الاخوان على وجه البسيطة

النخوة الماسونية

قصَّ عليَّ احد الاخوان الماسون من محفلي فلسطين ولبنان في بيروت قصة عن يوسف افندي الشلفون صاحب جريدة التقدم والمطبعة العمومية في بيروت وكان ايضاً من اعضاء المحفل الماسوني فقال انهُ حُبس مرةً في بيت الدين مركز متصرفية جبل لبنان وكان المتصرف الذي حبسهُ ماسونيًّا ففي ليلة من ليالي الشتاء القارسة حين كان القمر بدرًا والمطر يهطل مدرارًا اجتمع محفل لبنان في بيروت وقبل بعض الطالبين وبعد انتهاء الجلسة جلس الاخوان امام المائدة فاكلوا مريئًا وشربوا هنيئًا وفي اثناء الشرب قال الاخ المحترم سليم افندي الريس والمرحوم اسكندر افندي طراد نحن ناكل ونشرب ونُسرّ واخونا يوسف الشلفون في الحبس يقاسي العذاب وآلام البرد وكلنا نعلم ان ذنبهُ طفيف ولو عرف الاخ المتصرف بامرهِ لاطلقهُ فثارت المروءة في صدر احد الاخوان الحاضرين وكان من الاغنياء الوجهاء فوقف وقال لا نشرب هذه الكاس الاَّ غداً مساءً وبيننا الاخ يوسف الشلفون ثم قام لساعتهِ واسرج حصانهُ ولبس مشمعهُ وسار تحت المطر والزوابع والثلوج الى بيت الدين وهي تبعد عن بيروت نحو عشر ساعات فوصلها في سبع ساعات وطلب مقابلة المتصرف واقنعهُ باطلاق سراح يوسف افندي الشلفون فاطلقهُ ثم احضر الاخ لهُ دابة فركبا حتى جاءا الى محفل لبنان حيث كان الاخوان ينتظرونهما ولا تسل عن فرح الاخوان خصوصاً بهذا العمل الشريف وتأثيرهِ في سائر الناس عموماً فليحيَ كل اخ غيور وكل صاحب نخوة ومروءة

كل اخ ماسوني لا يزور المحافل القانونية يُعدُّ مقصرًا في واجباتهِ ومن لا يمارس الفروض الماسونية ويحافظ على مبادئها يندم ساعة لا تنفع الندامة

الشرف الاعظم

انَّ اخاكَ الحقَّ مَنْ كانَ معَكْ ومن يضرُّ نفسهُ لينفعَكْ
ومَنْ اذا رَيْبُ الزَّمانِ صَدَعَكْ شتَّتَ فيهِ شملهُ ليجمعَكْ

هذه حادثة يجب ان تكتب بماء الذهب ليس في تواريخ الماسونية فقط بل في سائر تواريخ العالم المتمدن لتُظهر بعض واجبات الاخ الى اخيهِ اذا أَلمت بهِ ملمة

في الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٩١ خرجت مفاخرة الرجال من القوة الى الفعل وتجلت المحبة الماسونية برداء الشجاعة والاقدام واظهر الفرسان[1] الهيكليون انهم في الحقيقة فرسان

فتقدم منهم عدد كبير ليكونوا غرضًا لمدية الجراح ليقطع جزءًا من لحم ذراعهم فيلصقهُ على فخذ احد اخوانهم وقايةً لحياتهِ وضمانًا لراحتهِ

ذلك ان الفارس[1] جون ديكرسن كاتب قيود محفل الفرسان الهيكليين تحت قيادة سن برنرد في شيكاغو أُصيب بسرطان في فخذهِ الايمن وامتدَّ مقدار قدمٍ وكان الدكتور فنجر الجراح الشهير يعتني بالمصاب فرأَى ان خير الامور ان يجرد اللحم الفاسد من مكانهِ ويضع مكانهُ لحمًا آخر يسهل التحامهُ بالفخذ

فذبح الدكتور فنجر لهذه الغاية جديًا كان في دار المستشفى لتسلية المرضى وعالج المريض مدة عشرة اسابيع ولكن لسوء الحظ لم يلتصق لحم الجدي بفخذ الفارس المسكين فاضطرَّ الدكتور فنجر ان ينزع لحم الجدي ويجرب لحم الانسان ولكن من اين لهُ بانسان يجود من لحمهِ بقطعة تلصق

---

(١) هذه الدرجة في الماسونية يلقب العضو فيها فارس (جمع فرسان)

على نحذ انسان آخر ويحتمل عذاب القطع والسلخ والشفاء . وهل في الكون من دافعٍ يدفع قلب الانسان الى تضحية جسدهِ مساعدةً لغيرهِ

نعم ان عزَّ وجود تلك الوسائط في سائر العالم فلا يعزُّ وجودها في الماسونية فان فيها ذلك الدافع القوي والسرّ العظيم الذي يقضي على الاخ ان يبذل كل ما في وسعهِ لينقذ اخاهُ ويساعدهُ في السرّاء والضرّاء لان في مساعدتهِ اياهُ خيرًا يعود على ذلك الاخ ومنفعةً لهُ

ولما علم محفل الفرسان الهيكليين ما حلَّ باخيهم وما يلزم لشفائهِ عقدوا جلسةً في مدينة شيكاغو وتداولوا في شأن مساعدة الفارس ديكرسن فاكتتب ثلاثمائة فارس منهم وقدموا اجسادهم لمدية الجراح ليقطع منها ما يشاء اكرامًا لاخيهم المريض وطمعًا في شفائهِ فضرب الدكتور فنجر ميعادًا لذلك اليوم الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٩١ .

وفي الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم المعهود ابتدأ الاخوان يتقاطرون الى قاعة سن برنرد الواقعة في شارع كنزي بالقرب من شارع كلارك Kenzie Near Clark وفي الساعة التاسعة اكتمل عددهم فلما رأى الاطباء كثرتهم ارتأوا ان ينتخبوا ١٧٥ فارسًا منهم و يذهبوا بهم الى المستشفى حيث كان الفارس ديكرسن

فقسم الفرسان الى ثلاث فرق وتقدمت الفرقة الاولى الى المستشفى بقيادة السر جورج ورد وفي مقدمتها عدد من اطباء المحفل الذين حضروا لمساعدة الدكتور فنجر في عمليتهِ الجراحية

وكان الدكتور فنجر قد سبق الجميع الى المستشفى نخدَّر الفارس ديكرسن بالمخدرات وغسل المحل المصاب بالمحلولات اللازمة وجهز الادوية والرباطات ثم افاق ديكرسن من غيبوبتهِ ليرى بعينيهِ اخوانهُ الفرسان الذين قدموا ليشاطروهُ الالم و يعاونوهُ على الشفاء من مرضهِ

فامر الدكتور فنجر بان تبدأ العملية والسلخ حالاً حرصًا على فوات

الوقت فتقدمت الفرقة الاولى وتهيأ فرسانها فشمروا عن سواعدهم

اما كيفية قطع اللحم وسلخهِ فكانت هكذا : يأتي الفارس كاشفاً ساعدهُ الايسر فيفركهُ احد الاطباء فركاً شديداً ثم يغسل المحل المطلوب سلخهُ بالماء الحار والصابون ثم بالكحول حتى ينظف الجلد جيداً ثم يتقدم طبيب آخر فيقطع المقدار المعين من الجلد ويسلمهُ على راس سكينهِ الى الدكتور فنجر وهذا يضعهُ على فخذ المريض وللحال يتقدم طبيب آخر ويرش على الذراع المسلوخة مسحوقاً معدّاً من المخدرات لتخفيف الهيجان ثم يضع قطناً مبتلاً بالمراهم والسوائل ويربط الذراع ربطاً متقناً ثم يتقدم الثاني وهكذا الى آخر العملية

وفي مدة ساعة ونصف انتهت الفرقة الاولى وتقدمت الفرقة الثانية يرأسها فرنك روندي فجرى بفرسانها مثلما جرى بالفرقة الاولى وكانوا كلهم يتقدمون بجراءة عظيمة غير مبالين بالجراح الاَّ اثنين من هذه الفرقة فانهما غطّيا وجهيهما بمنديلٍ عند مسّ ذراعيهما

وعند الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ تقدمت الفرقة الثالثة يرأسها القائد الجنرال جورج إدي ولم يقطع من لحم فرسانها بقدر ما قطع من الفرقتين السابقتين لان الدكتور فنجر اكتفى بما قطع فبلغ عدد الذين سلخت سواعدهم مئة وستة واربعين فارساً ومعدل ما قطع من ذراع الواحد مقدار قيراط مربع فاستقلّ الاخوان الفرسان هذا القدر لانهم كانوا مستعدين ان يقدموا ما ينيف عن قدم وزيادة

وكان القسم الاكبر من هؤلاء الفرسان من محفل سن برنرد والبقية من سائر المحافل المختلفة وكان بينهم من اتى من مسافة بعيدة ليقدم ذراعهُ ضحيةً لاخيهِ ولم تستمر هذه العملية اكثر من ثلاث ساعات ونصف

اما الفارس ديكرسن فكان ملقىً على جانبهِ الايسر وكان كلما دخل عليهِ فارس يتبسم تبسماً ينوب عن الكلام في اظهار شكرهِ وامتنانهِ فكان

الاخوان الفرسان يشجعونهُ و يعزونهُ في مصابهِ برقيق الكلام

وكان بين هؤلاء الفرسان الشيخ الجليل الفارس جلبار برنرد كاتب السر الاعظم فتقدم اليهِ بلحيتهِ البيضاء وكشف عن ذراعهِ وسلَّم المدية بيدهِ الى الطبيب قائلاً خذ ما تريد من هذا الساعد اذا كان يصلح لشفاء اخي فنظر اليهِ الفارس ديكرسن نظرة الشاكر واحنى لهُ راسهُ

واشترك في هذه الفعال جميع الفرسان على اختلاف اعمارهم ودرجاتهم فمنهم الشيخ الكبير والرجل الحازم والشاب النشيط الذي لم يخطُّ عارضاهُ بعدُ والذي لم يمضِ على انضمامهِ الى المحفل الاَّ عدة شهور

وكان من جملة الفرسان اثنان اعسران فاخذ اللحم من ذراعيهما اليمنيان واعمى واحد وهو الفارس لاين . وغضب كثيرون من الذين رفض الاطباء قبولهم لان لحمهم لم يصلح صحيًّا والذين خاب املهم حينما أعلن الدكتور فنجر انهُ ليس في حاجة بعد الى اللحم

واكثر الذين اكتتبوا في هذا العمل هم من محبي الفارس ديكرسن ولهُ عليهم فضلٌ عظيم ليس لانهُ ضمَّ اكثرهم الى مقام المحفل الازرق ومحفل سن برنرد بل لان مرضهُ هذا كان سببًا لاظهار غيرتهم ومحبتهم الاخوية واعلاء شأن الماسونية التي لولا حسن مبادئها وما تبثهُ في قلوب ابنائها من خالص المودة وثابت الاخاء لما ظهر ما نسمعهُ يوميًّا من الاعمال الخيرية والمبرات والحسنات ومساعدة المحتاجين من بني الانسان

وهذه المحبة التي لا توصف كانت سببًا لشفاء الاخ الفارس ديكرسن الذي ما برح حيًّا يرزق و يشكر فعل اولئك الفرسان بكل شفةٍ ولسان الى آخر نسمةٍ من حياتهِ

المكاتب الماسونية ضرورية في المحافل لتنوير اذهان الاخوان الذين لا تمكنهم احوالهم من جمع كتبٍ شتى للافادة والاستفادة

جنازة حافلة

نشر محفل ماستشوستس الاعظم سنة ١٨٠٠ بعد وفاة جورج وشنطن منشورًا على جميع المحافل التابعة لهُ لحضور الاحتفال بجنازة الاخ المحترم جورج وشنطن رئيس الولايات المتحدة الاول

واليك نص المنشور المذكور بالحرف الواحد

يعلن محفل ماستشوستس الاعظم بانهُ سيقيم يوم السبت الواقع في ٢٢ فبراير جنازًا حافلاً تذكارًا للاخ المحترم جورج وشنطن الذي كان قدوةً للاخوان وعضدًا للمحفل

ويبتدئ الجناز في الساعة العاشرة صباحًا فنستدعي حضور كل الاخوان الماسون المقبولين الاحرار في الوقت المعين للاشتراك معنا

ويلزم ان يلبس الاخوان جميعًا مآزر بيضاء وكفوفًا بيضاء

ويبتدئ الاحتفال العظيم في الساعة الحادية عشرة ونصف فيمشي فيهِ الاخوان من دار الحكومة في مدينة بوسطن الى قاعة المحفل حيث يلقي الاخ الشريف تيموثاوس بيجالو خطبةً يعدد فيها مناقب الاخ الفقيد ثم توضع آثارهُ تحت حجر الكنيسة بالاكرام الواجب

وعلى الموظفين العظام ان يلبسوا نياشينهم الماسونية المعتبرة بشرائط سوداء

بامر الكلي الاحترام	كاتب السر
رئيس محفل ماستشوستس الاعظم	الاعظم
صموئيل ضُن	دانيال اوليفر

تحريرًا في ١٥ يناير سنة ٥٨٠٠ للنور الحقيقي

فحضر الاخوان الماسون من جميع اطراف ولاية ماستشوستس والولايات المجاورة لها وكان الاحتفال عظيمًا جدًّا مشى فيهِ الاخوان بكل احترام ووقار حتى وصلوا الى قاعة المحفل

الماسونيَّة بين المتوحشين

للماسونية اخبار وحوادث غريبة في بابها يعسر على غير الماسوني تصديقها وتعميماً للفائدة اجتهدت ان اسند اكثر الحوادث الى رواتها او اشخاصها الحقيقيين والعدد الوافر منهم من المشاهير واعاظم الرجال حتى لا يبقى من ثمَّ ريب في صحة ما اكتبهُ وانقلهُ عنهم

والحادثة التالية جرت للاخ الربان وليم برونزفيل انقلها هنا بالحرف الواحد قال :

سافرت يوماً على سفينة الى جزائر صندويج (المعروفة بهوايي) وفيها كثير من الجلود وبعد ان افرغت شحني فيها قصدت الرجوع الى سواحل الباسفيك غير اني وجدت شحناً كبيراً يريد اصحابهُ نقلهُ الى زيلاندا الجديدة فطمعت في الارباح فنقلتهُ الى سفينتي واطلقت لها الريح حتى وصلت الى زيلندا وكانت السفينة في احتياج الى الماء ولم يمكنا الرجوع الى هواي ما لم نذخر ما يكفينا منهُ فامرت بعض رجالي ان يركبوا القوارب وينزلوا الى البرّ ويأخذوا معهم القُرَب ويبحثوا عن الماء في الجزيرة ويملأُوا القرَب منها . وفي صباح اليوم الثاني نزل عشرة من رجالي وساروا الى البرّ وانا اتبعهم بنظارتي من السفينة حتى اختفوا عن العيان . وكنت انتظر رجوعهم قرب الظهر فمضت ساعة بعدهُ ولم يرجع احد منهم فقلقت لهذا الامر لاسيما واني شاهدت بنظارتي ان عدداً من سكان الجزيرة تسلحوا بعصيهم وتوجهوا الى الطريق التي سار رجالي فيها فعزمت ان اذهب بنفسي لافتش عنهم فاخذت معي عشرة آخرين من رجالي وذهبنا الى الشاطئ فرأيت اثنين من الذين ذهبوا صباحاً يحرسان القارب وهما حائران في امر غياب الآخرين فتركت اثنين في قاربي وذهبت مع البقية نتتبع اثر رجالنا خوفاً من وقوعهم

في ايدي سكان الجزيرة المتوحشين فمشينا على الطريق المؤدية الى ينابيع المياه ثم ملنا عنها الى طريق اقصر منها رغبة في الوصول الى الماء حالاً

ولم نكد نشرف على ينابيع الماء حتى رأيت القتال دائرًا بين رجالي ومئة من سكان الجزيرة وهم يدافعون عن انفسهم دفاع الابطال بما تيسر لهم من السلاح الذي كان معهم . فكدت اتميز من شدة الغيظ وصحت برجالي لينجدوا رفاقهم ووددت لو كنت قادرًا ان امنع إهراق الدماء واخماد القتال بين الفريقين. ولما وصلنا اليهم اشرت الى اولئك المتوحشين اشارة تفيد منع اهراق الدم والكف عن القتال. واتفق ان تلك الاشارة كانت كالاشارة الماسونية فللحال تقدم اليَّ رجلٌ كبير يظهر انهُ زعيم اولئك المتوحشين والقى بعصاهُ الى الارض وضمني اليهِ نخفت منهُ وظننت انهُ اراد ان يبتلعني ولكن اخذني العجب والدهشة لما رأيت الرجل عرَّفني بنفسهِ كاستاذٍ ماسوني وامر رجالهُ بالكف عن القتال واشار اليهم بالتقدم فوقفوا كلهم امامي وحيوني التحية الماسونية التي كانت سببًا لخلاصي وخلاص رجالي

ولم تنتهِ المسألة عند هذا الحد بل ترك اولئك البرابرة سلاحهم وتقدموا الى رجالي واخذوا منهم القِرَب فملأوها ماء واوصلوها الى الشاطئ ولم تغرب الشمس حتى كانت سفينتنا قد اقلعت وضربت في عرض البحر

وكنت اكلم اولئك البرابرة بالاشارة فقط لجهلي لغتهم فكانوا يفهمون مني جيدًا كلَّ ما يتعلق بالماسونية واشاراتها معروفة عندهم كما هي معروفة عندي ويظهر من هذه الحادثة انهم لا يعرفون من الماسونية الاشارات فقط بل الغاية الشريفة التي وُضعت الماسونية لاجلها

اما وصول الماسونية اليهم فلا ادري لهُ طريقًا والارجح انهم عرفوها من السفن التي طرقت الشواطئ قبل سفينتي ومهما يكن من ذلك فالنتيجة ان الماسونية خلصتني وخلصت رجالي من ايدي البرابرة الذين كانوا مزمعين ان يدعوا سائر سكان الجزيرة الى وليمة فاخرة من لحومنا

السلام من صفات الماسونية الشريفة

كيف اجتهدت الماسونيّة في بث روح السلام ومنع الحرب الاهليّة في ولايات اميركا المتحدة

لما شهرت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة بين ولايات الشمال وولايات الجنوب قلق لها الشعب قلقاً عظيماً وصار يود الاهلون لو امكنهم التخلص منها

واول من سعى في اخماد نار الحرب المحافل الماسونية العظمى في جميع الولايات المتحدة وذلك ان محفل تنسي الاعظم بعث منشوراً الى سائر محافل الماسون المقبولين الاحرار يحضهم فيهِ على اتخاذ الوسائط اللازمة لمنع الحرب وحقن الدماء وبث روح السلم في قلوب الشعب . وعدد العواقب الوخيمة التي تجلبها الحرب وتؤول اليها حالة البلاد من الخراب والدمار فاستصوب سائر المحافل العظام مضمون ذلك المنشور ولكن ابت التقادير الاَّ ان تنشب الحرب رغماً عن سعي المحافل الماسونية في اطفاء نارها

وفي ١٣ يونيو سنة ٥٨٦١ للنور الحقيقي اصدرت المحافل العظمى تقريراً مفادهُ انهُ يجب على الاخوان الماسون اجراء ما في وسعهم لمساعدة اخوانهم من الاعداء اذا وقعوا تحت قبضة يدهم والسعي في تسهيل امورهم وضمد جروحهم الى غير ذلك مما تقتضيهِ المحبة الاخوية والغيرة والحمية

وما كادت تلك الحرب المشؤومة تنتهي حتى ظهر من الماسونية افعال عظيمة كالسعي في تخفيف مصاب بني الانسان وتوفير السعادة بين البشر وكلها دليل قاطع على وحدة الرابطة الماسونية وغايتها الشريفة كما سترى من الحوادث العديدة التي نذكرها في كتابنا هذا

الماسون في دمشق

في اوائل سبتمبر سنة ١٨٨١[1] استغاث بي احد الاخوان الماسون في حاصبيا (بولاية سورية) من تحامل يوسف افندي ضيا عليهِ وكان قائم مقام ذلك القضاء حينئذٍ فنهضت لمساعدتهِ وكشف ظلامتهِ وكنت كاتب سر محفل لبنان في بيروت فركبت مركبة الخيل (الداليجنس) من بيروت قاصدًا دمشق الشام واتفق ان اخًا ماسونيًّا كان بجانبي واسمهُ الخواجه ا.ش. وكان متزوجًا حديثًا ومعهُ امرأتهُ وكنت احسب ان الاخوان يراعون العهد الماسوني على السواء فعرَّفتهُ بنفسي بالاشارة الماسونية فلم يردَّ عليَّ فكررت الاشارة فلم القَ سميعًا وكنت اذا كلمتهُ لا يجاوبني الاَّ متكلفًا وقبل وصولنا الى دمشق بساعة قابلهُ بعض اقاربهِ فنزل من المركبة هو وامرأتهُ ولم يكلمني بكلمة ولما كنت لم ازُرْ دمشق قبلاً لمت نفسي لاني لم اكتب الى احد اصدقائي او اخواني فيها ليقابلني لاسيما وان دخولي اليها سيكون مساء واستأت من سلوك اخي الماسوني معي وما ابعدت قليلاً عن المحل الذي نزل فيهِ واسمهُ «الهامة» حتى نظرتُ جمهورًا غفيرًا مقبلاً من دمشق فاوقفوا المركبة فتفرَّستُ فيهم فاذا هم اخواني عزتلو مصطفى افندي السباعي وكيل اوقاف الحرمين الشريفين والميرالاي الدكتور تمبل بك حكيمباشي العسكر وعبده بك القدسي قنصل اليونان والدنمرك الخ وسليم افندي مشاقه ترجمان قنصلاتو انكلترا ويوسف افندي ملوك وامين افندي الاسطواني ومحمد بك البارودي وصالح افندي وميخائيل افندي نعمه وجبران افندي لويس وملحم افندي ابو حمد ومصطفى افندي مدير مطبعة الولاية وغيرهم من نحو خمسين نفسًا واكثر فانزلوني من المركبة وجلسنا تحت شجرة تجري من تحتها الانهار

---

(١) انظر المقتطف السنة السادسة الصفحة ٢٩١ و٣٧٢

الى دمشق فشربنا نخب بعضنا البعض وسلمت على الاخوان معانقةً وشكرتهم على معروفهم واستغربت كيف عرفوا بقدومي مع اني لم اكتب الى احد منهم فعلمت ان احد الاخوان الغيورين في بيروت اخبرهم بقدومي على البرق فقابلوني تلك المقابلة الاخوية وركبنا جميعًا الى منزل جناب مصطفى افندي سباعي حيث اولم للجميع وليمة فاخرة ومكثت في دمشق ١٥ يومًا ساعدني الاخوان في خلالها على اتمام شغل الاخ الذي استغاث بي طبق المرغوب ولم اشعر باقل تعب وقابلت في تلك المدة المغفور لهُ الاخ الامير عبد القادر الحسني الجزائري فرحب بي هو وسعادة نجليهِ الاخوين محمد باشا ومحي الدين باشا وغيرهم ودعوني الى منزلهم العامر وقد كتبت عن كل ذلك في المقتطف واللطائف وفي ترجمة الامير عبد القادر في كتاب الجوهر المصون في مشاهير الماسون ولقيت من لطف الدمشقيين وكرم اخلاقهم ما لا انساه عمري

وفي تلك الاثناء حضرت جلسة بمحفل سورية حيث انتخبت عضو شرف وكان الامير محمد الجزائري حاضرًا وقبل في تلك الليلة المغفور لهُ الشريف اسعد حمزه واولم لي اخوان المحفل وليمة شائقة كثرت فيها الفاكهة الدمشقية الفاخرة ولم تدر كؤوس الحان

وبينما كنت مع الفاضلين مصطفى افندي السباعي وخليل بك القدسي في الحمام الكبير شاهدنا رجلاً عاريًا من اللباس يسلّم علينا بالاشارة الماسونية فاجبتهُ حسب عادتي وهي ان لا اخفي نفسي على اخٍ كما تعهدت وسألني مصطفى افندي السباعي وخليل بك القدسي عنهُ فاخبرتهما بالقصة من اولها الى آخرها . ولما خرجنا سلّمتُ عليهِ فهنأني بالحفاوة التي اظهرها اعيان دمشق لي والاكرام الذي لقيتهُ من الاخوان الماسون . ثم انبرى لهُ مصطفى افندي السباعي فقال يا اخ بلغنا من اخينا انك كنت واياهُ كتفًا لكتف في المركبة ولكنك كنت طول المدة مبتعدًا عنهُ حتى انك لما نزلت من المركبة لم تودّعهُ فهل انت محتاجٌ الى مساعدة فنعطيك او متكدر من امرٍ

فنرضيك او او فاجابهُ كلاَّ فقال اذًا عارٌ عليك ان يعرفك اخ استاذ ماسوني بنفسهِ وانت تبتعد عنهُ فما هذا شأن الكرام ولما عرفت باكرامنا لاخينا العزيز جئت تعرّفهُ بنفسك وانت عارٍ من الثياب فاحذر ان تعود الى مثل هذا الامر القبيح . قال الراوي وصار ذلك الاخ يطارحني السلام كلما رأيتهُ من بعيد

ما جزاء الاحسان الاَّ الاحسان

كان احد الاميركيين سائحًا في جهات سورية وفلسطين سنة ١٨٧٦ ايام الهواء الاصفر (الكوليرا) فيها فانفق كل ما معهُ من الدراهم ولم يبقَ في جيبهِ ما يردهُ الى بلادهِ ولاسيما لان الكورنتينا كانت تقتضي نفقات باهظة فشعر بالضيق ولما كان من اعضاء الجمعية الماسونية وكان لا يعرف احدًا في سورية تعرّف بالخواجه صموئيل هلك[1] الذي كان مديرًا لمطبعة الاميركان في بيروت وفيس قنصل دولة اميركا وهو ايضًا من اعضاء الجمعية الماسونية واستغاث بهِ في ضيقتهِ فاغاثهُ ودفع لهُ نفقات سفرهِ وكل ما طلب منهُ من مالهِ الخصوصي ولما عاد الرجل الى بلادهِ واجتمع باعضاء محفلهِ قصَّ عليهم ما جرى لهُ وما عملهُ الاخ هلك من المعروف معهُ فاهدى المحفل للاخ هلك نيشانًا ذهبيًّا كبيرًا ورقاهُ الى الدرجة الثامنة عشرة وارسل اليهِ دبلوماها مع كتاب غاية في التلطف والاكرام وردَّ لهُ المبلغ الذي دفعهُ لاخيهِ المحتاج مع الشكر على معروفهِ

فازرع جميلاً ولو في غير موضعهِ   فلا يضيعُ جميلٌ اينما زُرِعا

---

(١) الخواجه صموئيل هلك كان رئيس مؤلف هذا الكتاب في المطبعة الاميركية في مدينة بيروت وهو اول من عرّفهُ بالمحترم الفاضل المستر رامبو وغيرهِ من مشاهير الماسون الاميركيين وهو الآن في الولايات المتحدة الاميركية

آثار جورج وشنطن

في محفل ماستشوستس الاعظم

اشتهر هذا المحفل بالآثار العديدة التي يحفظها فيهِ رجالهُ العظام واشهر آثارهِ ما تركهُ ذلك الرجل العظيم بطل الماسونية وناشر راية الحرية وعضد الانسانية جورج وشنطن رئيس الولايات المتحدة الاول

ومن جملة آثارهِ المالج الفضي الذي ملّق بهِ حجر زاوية البيت الابيض في مدينة وشنطن حيث احتفل احتفالاً ماسونيًّا في ١٨ سبتمبر سنة ١٧٩٣ والمالج المذكور مصوغ من الفضة الخالصة وقبضتهُ من عرق اللؤلوء النقي وحجمها ستة قراريط تقريبًا

وفي جدار المحفل صندوق معلق وفيهِ وزرة الاخ المحترم جورج وشنطن ومنطقتهُ وتاريخ هذه الوزرة مكتوب في رقعة وموضوع في الصندوق وها هو بنصهِ :

"هذه الوزرة والمنطقة صنعتهما امرأة الجنرال لافايت بيدها واهداهما الجنرال لافايت بنفسهِ لجورج وشنطن يوم زارهُ في بيتهِ في جبل فرنان سنة ١٧٨٤

ثم اهداهما الماجور لورانس لويس ابن اخت جورج وشنطن الى محفل نمرة ٢٢ اكرامًا لولدهِ لورنزو لويس الذي كان رئيس المحفل المذكور وذلك في ١٣ يونيو سنة ١٨١٢ والصندوق الذي يحويهما صنع في فرنسا

ولبس هذه الوزرة الاخ المحترم بنطون كولس رئيس اعظم محفل فرجينيا يوم وضع حجر الزاوية لمحفل يوركتون

ثم في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٥ لبسها الكلي الاحترام فرنك كوريت رئيس محفل ماستشوستس الاعظم يوم الاحتفال بحجرة جورج وشنطن

وهذه الوزرة من الحرير الابيض النقي مرصعة بالحجارة الكريمة كالماس والياقوت وعلامات الرئيس المحترم مطرزة عليها

ومن جملة آثار جورج وشنطن كفوفهُ البيضاء التي لبسها يوم اقترانهِ ومهماز فرسهِ وشرائط حذائهِ وكفوفهُ التي لبسها يوم وفاة والدتهِ وسكين كان يقلّم بها اظافرهُ وقطعة من الخشب الذي صنع منهُ نعشهُ وقطعة من غطاء النعش وقطعة من خيمتهِ التي سكنها في قمم دوشنستر سنة ١٧٥٥ يوم ردَّ اللورد كورنوالس على عقبهِ سنة ١٧٨١ وبيكار كان يستعملهُ في حقلهِ وقطعة من ردائهِ الذي لبسهُ يوم نصرة برادوك وسكين قدمتها لهُ والدتهُ يوم كان عمرهُ اثنتي عشرة سنة فاستعملها ستًّا وخمسين سنةً ثم اعطاها لابن اخيهِ . وآخر قطعة من الشمع الاحمر الذي كان يختم بهِ تحاريرهُ قبل وفاتهِ وزرّ عليهِ اسمهُ صنع يوم الاحتفال بتثبيتهِ سنة ١٧٧٩ وفي زاوية من زوايا المحفل الساعة المشهورة التي كانت في دار جورج وشنطن في جبل فرنان حيث توفي وهذه الساعة تشير الى الساعة والدقيقة اللتين توفي فيهما لان الدكتور اليشع كولن ديك طبيبهُ الخاص اسرع حالاً الى الساعة وعند ما لفظ المريض روحهُ رفع ثقل الساعة فوقفت حركتها ولم تزل الى الآن تشير الى تلك الدقيقة المفجعة التي ألبست الولايات المتحدة جميعها ثوب الحداد

وقد سعى كثيرون في عرض هذه الآثار في المعارض الشهيرة ولكن ابى المحفل الاعظم ان يسمح بذلك وقد طلب ابرع المصورين ان يصوّرها فقرر المحفل منع ذلك ولم يرخص لاحد ان يصور شيئًا منها

وفي سنة ١٨٧١ لعبت النار في بناية المحفل فاحرقت قسمًا عظيمًا من آثارهِ وسُرق بعضها ومن جملة ما حرق نعش جورج وشنطن الذي نقلت فيهِ عظامهُ من جبل فرنان وسرجهُ العسكري وطاولة كان يلعب عليها بالورق مصنوعة من الخشب الاسود وعليها عروق محفورة متقنة الصنعة وكثير من تحاريرهِ المحفوظة في براويز وصورتهُ مع امرأتهِ واشياء كثيرة غيرها

والصور التي قدمها جورج وشنطن للمحفل ثمينة جداً وكلها مأخوذة عن شخصهِ الحقيقي وفي جهة الشرق حيث يجلس الرئيس المحترم وحيث كان يجلس جورج وشنطن نفسهُ صورتان من صورهِ بالالوان الزيتية الاولى صنعها المصور الشهير وليمس من فيلادلفيا سنة ١٧٩٤ تمثّل جورج وشنطن في الرابعة والستين من عمرهِ مرتديًا ملابسهُ ونياشينهُ الماسونية . وهذه الصورة صنعت لتوضع في المحفل حينما كان جورج وشنطن رئيساً للولايات المتحدة . وقد طلب احد الاخوان مشتراها ودفع عشرة آلاف ريال فرُدَّ خائبًا

والصورة الثانية تمثل جورج وشنطن بثيابهِ العسكرية في التاسعة عشرة من عمرهِ وهذه الصورة ايضًا أُخذت عن شخصهِ الحقيقي .

وهناك ايضًا صورة اخرى منقولة عن رسم للمصوّر الشهير ستيوارت . ورسوم لهُ محفورة على خشب . وغير ذلك من الآثار التي تشير الى ما كان لهذا الرجل من الاحترام عند اخوانهِ والمنزلة الرفيعة في الدرجات الماسونية

مات قرير العين لانهُ شاهد اخوانهُ امامهُ

لما كانت جنود الشمال تطارد جنود الجنوب في موقعة غاتيسبرغ الشهيرة في حرب الولايات المتحدة الاهلية وذلك في ٣ يوليو سنة ١٨٦٣ هجم الكولونيل ارميتج بحصانهِ وسط جنود الشمال فصوَّبوا نحوهُ بنادقهم فخرَّ صريعًا . وقبل وقوعهِ عن ظهر الجواد اعطى اشارة الاستغاثة الماسونية فلم تكد جثتهُ تمسّ الارض حتى هرع اليهِ عددٌ من اعدائهِ جنود الشمال الذين رأوا اشارة الاستغاثة وانهضوهُ عن الارض واعطوهُ قليلاً من الماء لعلهُ يفيق من غيبتهِ ولكنهُ لفظ روحهُ قائلاً اموت قرير العين بمشاهدة اخواني الماسون يقضون واجباتهم الاخوية فأسف عليهِ اولئك الاخوان الذين لم ينسهم هزيم المدافع وصلصلة السلاح تلك الآية الماسونية الشريفة وهي "مدّ يد المساعدة لاخيك حين عثرتهِ"

الثبات على العهود

كان الاضطهاد على الماسون عظيماً جداً في بداءة امرهم فكانوا يسامون العذاب انواعاً بآلات العذاب في اماكن خصوصية جهنمية واشهرها الوكالة المقدسة في مدينة لسبن في البرتوغال

وقد ذكرت "المجلة الماسونية" التي تطبع في مدينة نيويورك حادثة غريبة وصفت فيها ما لقيهُ احد الاخوان الماسون من انواع العذاب في الوكالة المقدسة بمدينة لسبن قالت :

كان الاخ جون كوستس صاحب هذه الحادثة ابن رجل جوهري وتاجر بالاحجار الكريمة قدم والدهُ من سويسرة الى لندن واقام فيها يتعاطى اشغالهُ ثم تجنس بالجنسية الانكليزية وولد ابنهُ جون حينئذٍ فعدَّ انكليزيًّا نظرًا الى ولادتهِ هناك

وتعاطى جون تجارة الاحجار الكريمة كوالدهِ ثم دخل الماسونية وكان عضوًا ذا غيرة شديدة على مصالحها وفي سنة ١٧٣٧ سافر الى باريس وبقي فيها اربع سنوات تأخرت فيها اشغالهُ تأخرًا عظيماً حتى عزم على المهاجرة الى البرازيل وكانت اوانئذٍ تحت سلطة البرتوغال

فسافر الى لسبن قاصداً ركوب احدى البواخر منها الى البرازيل ولكن لسوء الحظ لم تسمح لهُ الحكومة البرتغالية بالسفر لانها كانت تمنع الاجانب من السفر وخصوصاً تجار الحجارة الكريمة لاعتقادها ان تلك الحجارة سبب غناها وغنى اكثر رعاياها

فاضطر ان يبقى في لسبن وعقد شركة مع جوهري هناك فنمت اشغالهُ ونجح نجاحاً عظيماً وتعرَّف بكثيرين من الوجهاء والاغنياء فأسس محفلاً وكان هو رئيسهُ مدة طويلة . وكانت الاحتفالات والجلسات تعقد في منازل احد الاخوان حيث يقضون اشغالهم واعمالهم السرية . ولما انست حكومة

البرتوغال نجاح الماسونية وسرعة انتشارها شددت المراقبة على مدينة لسبن خصوصاً وصارت تقبض على كل من عرفت انهُ ماسوني او يميل الى الماسونية وتعاليمها وتعذبهُ في مكان دعتهُ "الوكالة المقدسة" اعدت فيها كل انواع العذاب والقساوة

وفي ٥ مارس سنة ١٧٤٣ هجم تسعة من الضابطة في منتصف الليل على منزل الاخ جون كوستس وقادوهُ اسيراً الى السجن . وبعد اسبوع احضروهُ امام لجنة التحقيق وكان لا يعرف الذنب الذي اقترفهُ ولا السبب الذي من اجلهِ سيق الى السجن وبعد ان تحققوا اسمهُ وسنهُ ومهنتهُ سألهُ رئيس التحقيق عما اذا كان ماسونياً . فاجاب بالايجاب ظناً منهُ ان كونهُ ماسونياً وعضواً لهذه الجمعية العظيمة التي انتظم فيها كثيرون من الامراء والاكابر والعظماء يخفف عنهُ نوع العقاب

فسألهُ رئيس التحقيق ان يصف لهم مبادئ الماسونية واعمالها ويبين لهم بعض اسرارها ورموزها . فاجاب عن كل ما يسمح لهُ القانون باذاعتهِ فلم يصدقوهُ ودعوهُ كاذباً وقال لهُ الرئيس ان كانت الماسونية مشيدة على مبادئ شريفة وادبية وخيرية كهذه فلماذا لا تذيعون اسرارها حتى يصدقكم الناس وان كان اساسها البرّ والفضيلة فلماذا تمنعون النساء من الانضمام اليها ولكن يظهر لي انك مخادع ماكر فاما ان تبوح لنا بالاسرار واما ان نطرحك في السجن ونعذّبك اشد العذاب حتى تقرّ مكرهاً فاختر لنفسك ما يحلو

فابى الاخ جون ان يبوح بشيء من الاسرار واستعدّ لمقابلة العذاب بقلب اشد من الصخر . ولما راى الرئيس اصرار الاخ جون كوستس على الكتمان اصدر فيهِ القرار الآتي وهذا هو بنصهِ

"بما ان جون كوستس اذنب بمخالفتهِ اوامر الحضرة الباباوية وانضمّ الى الجمعية الماسونية الامر الذي نعدهُ خطيئة مميتة وكفراً وجريمة من اعظم الجرائم لاسيما وان هذه الجمعية السرية ترفض قبول النساء وهذا مما

يدل على وجود شيء فيها مخالف للشرائع حكمنا بالنظر الى هذه الظروف ان الجمعية على غير المبادىء القويمة ووجودها اهانة للمملكة عموماً"

"وبما ان جون كوستس ابى ان يبوح امام اللجنة بالاسرار الماسونية وبما يفعلونهُ في جلساتهم واجتهد ان يقنعنا بكلام فارغ ان الماسونية شريفة المبادىء وحسنة الغاية واكد لنا انها خيرية وضرورية لبني الانسان فقد ظهر لنا كذبهُ وتمويههُ على اعيننا . وعليهِ تطلب لجنة التحقيق بان يساق السجين الى المحاكمة العلنية امام القضاة العادلين لفحص الدعوى والحكم على هذا المجرم وارسالهِ الى الوكالة المقدسة ليعذب اقسى العذاب لعلهُ يضطر اخيرًا الى الاقرار بشيء عن الجمعية التي سجن بسببها"

ثم طلب منهُ الرئيس امضاء هذا القرار فرفض ذلك ولما حضر امام القاضي في المحكمة العلنية سألهُ ان يخبرهم بشيء عن الماسونية وقوانينها فقال

"أن المحبة هي الفضيلة الرئيسة التي تمارسها الجمعية الماسونية وهذه المحبة الاخوية هي الرابط الوحيد الذي يربط كل الاعضاء بميثاقٍ عظيم بلا تمييز بين الملل والنحل واللغات والاوطان

وان وجود اعاظم الرجال من ملوكٍ وامراء في عضوية هذه الجمعية التي يعزّزها كبار رجال الدين في جميع الانحاء لاقوى دليل واعظم برهان على حسن غايتها وشريف مبدإها

وان الماسونية تخضع وتخدم الملك الذي هي تحت سلطتهِ وتسير بموجب منطوق قوانينهِ ولا تخالفها وتحترم عمال الملك كشخصهِ المقدس

وتحاكم الماسونية كل من يأتي منكرًا من اعضائها حكمًا قاسيًا بموجب ما يستحق ولا تصرح لاحد من اعضائها بان يتشاجر مع اخيهِ الماسوني ولا ان يبحث ويجادل لاثبات مذهبهِ الديني بل تجمعهم المحبة الاخوية التي لا نقوى على حلها الفواعل العظيمة. فهذه ايها السادة اسرارنا الحقيقية الاصلية"

ولما رفض ان يبوح باسماء الاخوان الماسون الذين يعرفهم في لسبن

حكمت عليهِ المحكمة العلنية حكمها النهائي بارسالهِ الى الوكالة المقدسة

فسيق الاخ كوستس الى محل العذاب فربطوا حجرًا ثقيلاً على ظهرهِ ولفوا خمسة حبال من القنَّب على جسدهِ وشدُّوها شدًّا طويلاً حتى غرزت في لحمهِ وسال دمهُ على بدنهِ كلهِ ثم رفعوا عنهُ العذاب ليستريح برهةً وارجعوهُ الى السجن

وبعد ستة اسابيع اعادوهُ الى غرفة العذاب وتفننوا في اساليب العقاب حتى ازاحوا كتفهُ عن مركزها الاصلي ومع ذلك كلهِ لم تخرج من فيهِ كلمةٌ

ثم طرحوهُ في السجن وبعد مضي شهرين اخذوهُ الى غرفة العذاب وكان قد شفي قليلاً فصبوا عليهِ كل انواع البلاء فتشوَّه تركيب اعضاء جسمهِ ومال بعضها عن مراكزهِ الطبيعية وتاثر تأثرًا شديدًا من الالتهابات التي اصابتهُ بسبب الجروح فاخذوهُ على آخر رمقٍ وطرحوهُ في سجنهِ

ولما لم يمكنهم ان يعلموا منهُ شيئًا عن الماسونية غير ما قال حكموا عليهِ بالاشغال الشاقة فكان هذا الحكم شديدًا عليهِ جدًّا لانهُ كان رغمًا عن انهزال جسمهِ وتشوُّه اعضائهِ يحمل وعاء يسع نحو اربعين كيلو من الماء وينقلهُ الى المسجونين

ثم مرض مرضًا عضالاً فنقلوهُ الى المستشفى فتعرَّف بصديقٍ هناك وتوسل اليهِ سرًّا ان يبلّغ امرهُ ارل اوف هرنتن سفير بريطانيا فحالما عرف السفير بامرهِ خلصهُ من ظلم البرتوغال بدعوى انهُ انكليزي التبعة وارسلهُ الى لندن فوصلها في ١٥ ديسمبر سنة ١٧٤٤ وهناك اخبر بما جرى

وصار هذا الاخ الشريف بعد ذلك الاضطهاد من اشهر رجال الماسونية في امانتهِ وقدوتهِ ولهُ في التاريخ الماسوني الذكر الحسن لما ابداهُ من الشرف والاستقامة والمحافظة على يمينهِ بكتمان الاسرار المقدسة

الرابطة الماسونية

ذكرت الصحف الماسونية الاميركية والانكليزية شيئًا عن موءلف هذا الكتاب وخدمتهُ للعشيرة في الشرق فتواعد جماعة من مشاهير الماسونية ان يزوروهُ في منزلهِ بمصر وبينهم الاستاذ الاعظم في ولاية بنسلفانيا المرحوم كليفورد مكله والشهير البار الجنرال يوحنا سميث الاستاذ الاعظم في ولاية الينويس وحاكم مدينة شيكاغو سابقًا ولما وصلا الى مدينة لندن اصابت النزلة الوافدة الجنرال سميث فمكث فيها وسبقهُ الى مصر المرحوم مكله وزار موءلف هذا الكتاب في منزلهِ في ١٧ مارس سنة ١٨٩٢ وفي محفلهِ (اللطائف) ومكثنا معهُ نحوًا من ثلاثة ايام رأينا في خلالها شخص الكمال والشهامة على حين لم تسبق لنا معرفة بهِ ثم ودّعنا وسافر في يوم السبت ٢١ مارس سنة ١٨٩٢ قاصدًا جهات سورية فتوجه الى يافا والقدس الشريف ودمشق وبيروت وغيرها وقوبل في كل الجهات التي زارها بمزيد الاحترام والاكرام واحتفل بهِ الاخوان الماسون خصوصًا.

وكان جلُّ قصدهِ من هذه السياحة تدوين ما يراهُ في سفرهِ وكتابة ما يفيد في جريدتهِ الشهيرة المسماة الكيستون التي كان قد مضى عليهِ نحو خمس وعشرين سنة وهو ينشئها ويحررها . ثم ان يجمع اقوالهُ واقوال غيرهِ في مجلد واحد يبحث فيهِ بحثًا مفيدًا عن احوال الشرق .

وفيما هو عائدٌ الى بلادهِ على الباخرة الفرنسوية اصابتهُ حمّى مع احتقان في الرئتين فنزل في بورت سعيد ودخل هناك المستشفى الانكليزي . ثم طلب الى جناب قنصل دولة اميركا في بورت سعيد ان يكتب الى نجلهِ في فيلادلفيا ويخبرهُ بمرضهِ وان يكتب الينا ايضًا بذلك فكتب الينا جناب القنصل ما ترجمتهُ

بورت سعيد في ٢٢ ابريل (نيسان) ١٨٩٢

حضرة الفاضل الخ ....

انني بمزيد الاسف اخبرك ان صديقكم المستر كليفورد مكله وصل على الباخرة الفرنسوية القادمة من سورية الى هنا مريضاً وأُخذ راساً الى الاسبتالية الانكليزية . وقد زرتهُ اليوم بعد الظهر فرأيتهُ مريضاً لا يستطيع ان يخبر بشيءٍ عن مرضهِ ولكنَّ الطبيب استنتج من كلامهِ انهُ قد مضى عليهِ بنحو ثلاثة ايام مريضاً و يقول انهُ مريض جدًّا وحالتهُ تنذر بالخطر وتنفسهُ يشير الى ذلك

اما المستر مكله فقد اعطاني عنوانك وعنوان ابنهِ في فيلادلفيا لاكتب اليكما في اول بوستة وان ارسل اليكما الرسائل البرقية اذا كان ثمة داعٍ الى ذلك وسانتظر الى الغد وارى ما يقول الطبيب واخبركم

وسينال المستر مكله عناية الطبيب والممرضات الانكليزيات في الاسبيتالية ويهتمون بهِ كل الاهتمام وارجو ان لايمضي الاَّ القليل حتى أُبشرك بانهُ متجهٌ الى الصحة .... (برودبنت)

فقلقتُ لدى تلاوة هذه الرسالة وقمت من ساعتي فكتبت الى حضرة قنصل دولة اميركا في بورت سعيد ما مفادهُ :

وبعدُ فقد وصلني كتابكم وحزنتُ كثيرًا لمرض صديقي الفاضل المستر مكله اذ لم يدُر ذلك في خلدي ولم يكن في حسباني وقد كتبت الى اصدقائي في بورت سعيد بان يزوروهُ و يبذلوا جهد طاقتهم في خدمتهِ . والتمس منكم ان تخبروني عنهُ من وقت الى آخر لاني سأبقى في اضطراب واشتغال بال ريثما يصلني كتابكم الكريم على جناح السرعة . ثم اني مستعدٌّ ان اخدم المستر مكله بما يصل اليهِ جهد طاقتي واذا كان لابدَّ من حضوري فانني اسافر حالاً الى بورت سعيد الخ

وارسلنا رسائل اخرى الى بعض الاصدقاء والاخوان الماسون في

بورت سعيد وسألناهم ان يهتموا عظيم الاهتمام بامر هذا الرئيس العظيم ·
ولما بزغ الصباح ورد علينا التلغراف الآتي من فيلادلفيا وهو بنصهِ

المستر مكله مريض في بورت سعيد بالاسبتالية الانكليزية . زره
واسأل عن مرضهِ واحوالهِ واخبرنا تلغرافيًّا الرئيس الاعظم
للماسون في بنسلفانيا (باميركا) (الامضا)

وكان القطار الذي يذهب الى الاسمعيلية قد سافر ساعتئذٍ ولم يبقَ لنا سبيل سوى مخاطبة جناب القنصل تلغرافيًّا فارسلنا اليهِ تلغرافًا قلت فيهِ انني لا ازال قلقًا مضطرب الافكار على المريض العزيز وانهُ ورد عليَّ تلغراف من جناب الرئيس الاعظم للماسون في بنسلفانيا باميركا يسألني عن صحتهِ ويطلب الجواب تلغرافيًّا وسألتهُ ان يسرع في الجواب تلغرافيًّا ولم يمضِ الاَّ القليل حتى ورد عليَّ الجواب الآتي

المستر مكله مصاب بالحمى الملارية والهيبوبركسيا واحتقان الرئتين وهو في حالة النزع وانا ذاهبٌ الآن لاراهُ واخبرك تلغرافيًّا (برودبنت)

وزارنا في اثناء ذلك اثنان من اعضاء محفل اللطائف في مصر فقصصنا عليهما النبأ المشوم فاخذتهما النخوة الاخوية وعزما على السفر الى بورت سعيد ثم رأينا ان نخبر بذلك سعادة ادريس بك راغب الرئيس الاعظم للمحافل الوطنية المصرية فذهب الاخوان المشار اليهما وابلغا سعادتهُ الامر فساءَهُ ذلك كثيرًا ووعد بان يحضر في تلك الليلة الى محفل اللطائف لينظر في المسالة وسأل ان نخبرهُ عن جواب جناب القنصل ونواصل السؤال والاستفهام عن صحة المستر مكله واشار بارسال لجنة للاهتمام بامرهِ

ثم ورد علينا تلغراف من جناب القنصل في بورتسعيد وليتهُ لم يرد وهذا نصهُ

توفي المستر مكله الى رحمة الله عند الظهر وقد اخبرت ابنهُ تلغرافيًّا في فيلادلفيا وسيحتفل بدفنهِ يوم الاثنين صباحًا ....

فبادرنا وارسلنا تلغرافات الى الاخوة الماسون في بورت سعيد للاحتفال

بدفن الفقيد العزيز وكتبت تلغرافًا الى جناب الرئيس الاعظم للماسون في بنسلفانيا

وذهبنا في المساء الى محفل اللطائف لحضر جناب الكلي الاحترام الرئيس الاعظم ادريس بك راغب وكان قد بلغهُ خبر وفاة المستر مكله وما فعلناهُ فاسف شديدًا وبادر الى ارسال رسائل التعزية الى الرئيس الاعظم باميركا والى اهلهِ . ولما انتظم عقد الجلسة وقف اعضاء المحفل بالاحترام فابن رئيس المحفل الاخ المتوفى ورحم الحاضرون عليهِ وطلب الاعضاء الينا ان نكتب رسائل التعزية الواجبة الى انجال الفقيد والى جناب الرئيس الاعظم في فيلادلفيا

وقد كتب الينا اخواننا في بورت سعيد بما كان من احتفالهم بجنازة الفقيد ودفنهِ فشكرنا غيرتهم الاخوية ومحبتهم الخالصة وهذا ما كتب في المقطم تلغرافيًّا

بورت سعيد في ٢٥ ابريل الساعة ١٢ والدقيقة ٣٣

احتفل بدفن الرئيس الاعظم الكلي الاحترام المستر كليفورد مكله احتفالاً يليق بمقامهِ ومشى في الجنازة اعضاء الجمعية الماسونية بالملابس الرسمية

ثم كتب حضرة مكاتبهِ في تلك المدينة رسالة نشرت في العدد ٩٥٤ بتاريخ ٢٥ ابريل سنة ١٨٩٢ وهذا بعض ما فيها

انبأتكم امس تلغرافيًّا بوفاة المستر كليفورد مكله الرئيس الاعظم السابق للماسون في ولاية بنسلفانيا عن اربع وخمسين سنةً من العمر اثر داء عياء اعيا نطس الاطباء وكان عائدًا من القطر السوري بقصد الرجوع الى اميركا فاشتدت الحمى عليهِ واضطرَّ الى النزول في بورت سعيد حيث استأثرت بهِ رحمة الله تعالى في مستشفى الانكليز بعد ثلاثة ايام من وصولهِ وقد مشى امام نعشهِ حضرة المستر برودبنت قنصل دولة اميركا الفخيمة في بورت سعيد وسار المشهد في سوادٍ من نخبة الاعيان في بورت سعيد وجميع الماسون من الرئيس والاعضاء لمحفل مجمع البحرين الموقر وسائر الاعضاء التابعين للمحافل الاخرى وكلهم بالهيئة الماسونية الرسمية اجلالاً لقدر الفقيد . وقد ابدوا

مزيد الغيرة والحمية الاخوية واهتموا بعظيم الاهتمام بالفقيد في اثناء مرضهِ وبعد وفاتهِ واروهُ التراب مترحمين عليهِ عداد حسناتهِ سائلين لآلهِ وذويهِ الصبر والسلوى . ثم وردت الرسائل البرقية على قنصل دولة اميركا الفخيمة هنا من حضرة الرئيس الاعظم الماسوني لولاية بنسلفانيا وكلها تظهر ما للفقيد من سموّ المنزلة والشأن الخطير بين قومهِ . اما الهمة التي ابداها حضرة القنصل فيستحق عليها عظيم الشكران . وبلغني ان بكر اولاد الفقيد ارسل رسالةً برقية بان تحنط جثة ابيهِ وترسل الى اميركا حيث يحتفل بدفنها كما يليق بقدر الفقيد من التكريم والتعظيم . انتهت رسالة المكاتب

ثم أُرسل تلغراف هذه صورتهُ

بورت سعيد في ٢٦ ابريل الساعة ٨ والدقيقة ٣٥ مساء

أُخرجت من القبر جثة المغفور لهُ المستر كليفورد مكله الرئيس الاعظم السابق للماسون في ولاية بنسلفانيا والهمة مبذولة لتحنيطها وارسالها الى فيلادلفيا باميركا وذلك على اثر ما ورد من الرسائل البرقية على جناب المستر برودبنت قنصل دولة اميركا في بورت سعيد من الحكومة الاميركية ومن جناب الرئيس الاعظم الماسوني في ولاية بنسلفانيا

اما الرسالتان اللتان ارسلناها الى جناب الرئيس الاعظم الكلي الاحترام في اميركا والى نجل الفقيد فهذه صورتهما

جناب الاخ الفاضل الرئيس الاعظم لماسون بنسلفانيا الكلي الاحترام

وصلتني البارحة (الاحد صباحاً في ٢٣ ابريل) رسالتك البرقية التي تسألني فيها عن الاخ الفاضل مكله فقد بلغني يوم السبت ليلاً خبر مرضهِ من جناب المستر برودبنت قنصل دولة اميركا في بورت سعيد فارسلت اليهِ تلغرافاً سألتهُ فيهِ عن تفاصيل المرض فاجابني ان (الاخ مكله) مريض بالتهاب الرئتين والحمى الملارية وانهُ في حالة النزع وان حضرة القنصل ذاهب في ذلك الوقت لعيادتهِ وسيخبرني عن حالتهِ بعد رجوعهِ . ثم بعد

مدة وجيزة وصلني خبر وفاة ذلك الاخ الفاضل وانهُ سيُدفن في صباح اليوم التالي (الاثنين) فارسلت تلغرافًا الى الاخوة في بورت سعيد ان يرافقوا الجنازة بالاحترام فرافقوها كلهم بالملابس الرسمية

اما المكاتبة بيننا وبين الفقيد العزيز فابتدأت منذ بضعة اشهر وتعلقت قلوبنا بهِ وكنا ننتظر رجوعهُ في ديسمبر القادم حسب وعدهِ ونحن نزيد السرور ولكنَّ وفاتهُ غير المنتظرة كدَّرت الاخوان الماسون هنا كلهم لانهم املوا ان علاقاتنا الودية تزداد بيننا وبين اخوتنا في اميركا

وقد زار الاخ المرحوم مكله محافلنا الوطنية مدة اقامتهِ بمصر وزارهُ حضرة رئيسنا الاعظم الكلي الاحترام وتحادثا بمسألة تمكين العلائق الحبية بين ماسون مصر وماسون اميركا ووعد الفقيد المرحوم بالمساعدة في هذا العمل . واننا نؤمل ان الغرس الطيب الذي غرس حينئذٍ ينمو في وقتهِ

ثم كان بودّنا ان نحضر جنازة فقيدنا العزيز مع بعض الاخوة لو لم يمنعنا قصر الوقت وطول المسافة

واتفق ليلة وفاتهِ ان محفل اللطائف اجتمع وحضرهُ جناب الرئيس الاعظم الكلي الاحترام ادريس بك راغب واسف معنا شديدًا على وفاة المرحوم الاخ مكله ثم لما انتظم عقد الاخوان ابنّا الفقيد ذاكرين مآثرهُ وما لهُ من جليل الخدمة في الانسانية واجرينا الرسوم الحدادية المعتادة في مثل هذه الاحوال وقد طلب اليَّ جميع اعضاء محفلنا ان ابدي لجنابكم مشاركتنا اياكم في هذا المصاب الجلل ومقاسمتنا الحزن على وفاة الفقيد الكريم

هذا وان حياة الفقيد واتعابهُ ستبقى قدوة صالحة لجميع اخوانهِ والذين عرفوا كمالاتهِ. ونسأل الله تعالى مهندس الكون الاعظم ان يطيل بقاء انوار الماسونية ليضيئوا بنور الحرية والمساواة والاخاء على العالم حولهم . آمين

— وهذه صورة كتابنا الثاني لنجل الفقيد —

اذا كان اشتراك العواطف والتعزية مما يخفف الاسى فثق بان جميع

الماسون في مصر مشتركون معك في مصابك هذا الجسيم

وقد كان لنبإ وفاة والدك رنَّة حزنٍ شديد في قلوب جميع معارفهِ الكثيرين بمصر واتاني مساء الثالث والعشرين من هذا الشهر (ابريل ٩٢) كتاب من جناب المستر برودبنت قنصل دولة اميركا في بورت سعيد يخبرني فيهِ بمرض الفقيد العزيز فكتبت اليهِ اسألهُ اذا كان من داعٍ الى حضوري ثم كتبت الى بعض الاخوان ان يزوروا المرحوم والدكم لعلهُ يكون في حاجةٍ الى شيءٍ اثناء مرضهِ

وفي صباح الغد (الاحد في ٢٤ ابريل) وردت عليَّ رسالة برقية من جناب الرئيس الاعظم لماسون بنسلفانيا من فيلادلفيا يسألني فيها ان اخبرهُ تلغرافيًّا بحالة الفقيد المرحوم فارسلت تلغرافًا الى جناب المستر برودبنت اسألهُ عن صحتهِ فاجابني تلغرافيًّا انهُ مريض بالتهاب الرئتين والملاريا وانهُ في حال النزع وان جنات القنصل ذاهبٌ ليراهُ وسيرسل اليَّ تلغرافًا آخر بعد ان يراهُ . ولم تمضِ ساعتان حتى اتاني نبأ وفاتهِ وا اسفاهُ عليهِ وانهُ سيحتفل بدفنهِ في صباح اليوم التالي (الاثنين) . وكان بودّي ان اذهب بنفسي الى بورت سعيد مع بعض الاخوان ولكن قصر الوقت وبعد المسافة وعدم موافقة سفر القطارات منعتنا عن ذلك

اما صداقتنا مع المرحوم والدكم فحديثة العهد ومع ذلك كنا نشعر جميعًا اننا فقدنا بوفاتهِ اخًا وصديقًا حميمًا . وقد تعرَّف مدة الثلاثة الايام التي قضاها بيننا بكثيرين من الاخوان فملك قلوبهم بلطفهِ وانسهِ وسيدوم ذكر تلك الليلة التي جمعتنا واياهُ في المحفل زمنًا طويلاً مع انها مرَّت كحلمٍ زائل

واتفق ليلة وفاتهِ رحمة الله عليهِ انهُ كان ميعاد اجتماع محفل اللطائف فحضر جناب رئيسنا الاعظم واحيا الاخوان ذكرًا للفقيد وابنوهُ بما يليق بمقامهِ الجليل . وقد طلب اليَّ الاخوان ان اعزيكم واعزّي عائلتكم الكريمة بالنيابة عنهم عن هذا المصاب الجلل . فاسألهُ تعالى ان يمنحكم حياة طويلة

ولا يريكم مكروهاً بعد الآن . ولا ريب ان حياة والدكم الفاضل واتعابهُ في سبيل الانسانية والماسونية ستبقى تمثالاً حيًّا في الماسونية وان ذكرهُ سيدوم في نفوس اصدقائهِ الى ما شاء الله . انتهى

وبعد ذلك تعافى الجنرال سمث وقدم مصر وذهب الى الوجه القبلي فبلغهُ خبر وفاة المستر مكله وما اجريناهُ من الواجب لحملةُ الشهامة الماسونية على اظهار عواطفهِ وشكرهِ للذين خدموا رفيقهُ فزار ادارتنا ومنزلنا يوم الثلثاء في ٣ ايار (مايو) سنة ١٨٩٢ وقال انهُ قدم مصر في اوائل الشهر الماضي وكان آتياً مع الاخ المرحوم المستر مكله فاصيب بالانفلونزا وتخلّف عنهُ فسبقهُ رحمهُ الله ولم يعلم بوفاتهِ الاَّ بعد رجوعهِ من الوجه القبلي حيث ذهب لمشاهدة الآثار القديمة وقد اظهر مزيد الاسف والكمد على وفاتهِ واتى على تعداد آثارهِ ومآثرهِ ودعانا الى زيارتهِ بفندق شبرد مساءً مع جمهور من الاخوة الماسون فذهبنا واهدى باسم محفل الينويس الاعظم الى مؤلف هذا الكتاب أعلى نيشان تهديهِ الماسونية في اميركا الى أعز أخ منهم وخاطبنا باجمل كلام وقوّى عزائمنا بما القى على مسامعنا من اخبار الماسونية في اميركا وما يبذلونهُ من عظيم العناية والاهتمام وقال انهم بنوا في خلال سنة واحدة محفلاً من اثنتين وعشرين طبقة يزيد علوها على ثلثمئة قدم وانفقوا عليهِ ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال اميركي وان همة الماسون في اميركا حرية بالشكر والثناء

ثم سافر في اليوم الثاني (٤ مايو ١٨٩٢) قاصداً الاسكندرية فبورت سعيد فيافا فالقدس حيث يزور الاراضي المقدسة ثم يعود الى بلادهِ وقد ودعهُ على المحطة نخبة من افاضل الماسون داعين لهُ بالسلامة في السفر والاقامة

وكان قد حضر اجتماعاً في محفل الثبات فقال :

اني اشكر لحضرة الاخ المحترم رئيس هذا المحفل الموقر ولجميع الاخوان

احتفاءهم بي واكرامهم وفادتي واعتذر عن تأخري الى بعد افتتاح المحفل باني كنتُ مدعوًّا عند بعض الاصدقاء وقد فضّلتُ زيارة هذا المحفل على ليلةٍ ساهرة تقضي بحديثٍ عاديّ . وجئتُ اظهر لكم سروري بمبادرتكم الى الاعمال في اوائل الليل فهذا انفع للصحة واصلح للاجتماع بحيث تنتهون من العمل الواجب وتنصرفون الى منازلكم فرحين بسلام. وهذا هو المتبع في المحافل الاميركية والذي تطلبهُ نساء الماسون لحفظ صحة رجالهنّ من اضرار السهر

وقد حضرتُ الى مصر من عهد قريب لرؤية آثارها وزيارة بلاد الشرق التي هي منبع النور الحقيقي وسامكث خمسة عشر يومًا في الوجه القبلي ثم اعود اليكم وارجو ان اشاهدكم بالسلامة يوم الاثنين في ٢ مايو لاني مزمع على السفر يوم الاربعاء في ٤ مايو الى جهات سورية وساقابل الاخوان الماسون مدة اقامتي بمصر في فندق شبرد

واني اعتبر في العالم رابطتين من اعظم روابط الامم احداهما عسكرية وهي التي تجمع افراد الهيئة الاجتماعية وتجعلهم مدافعين عن الامة والوطن وهذه رابطة قوةٍ ظاهرة . والثانية الرابطة الماسونية التي تؤلف قلوب الهيئة الاجتماعية فتجد بينها الشرقي والغربي والمسلم والمسيحي وغيرهم من مختلفي الاديان متحدين بلا اكراهٍ ولا اجبار بل رغبةً في الانضمام والاتحاد واني افضل هذه الرابطة على غيرها من الروابط ولذلك اجد نفسي سعيدًا بحضوري الآن مع نخبة اخوانٍ في المشرق جمعتهم هذه الرابطة الشريفة . وهذا مما يجعلني افدي احسن اوقات سروري باجتماع اخوي ماسوني وافضل زيارة اي اخٍ من الماسون على زيارة اعظم ملكٍ واميرٍ في العالم الاجنبي عن الماسونية. ثم ختم كلامهُ بالشكر للاخوان الحاضرين وطلب ان يكتب على براءتهِ بالعربية تذكارًا لزيارتهِ محافلنا الوطنية فكتب عليها . ورحب بجنابهِ حضرة المحترم والاخوان بالتصفيق الماسوني . ثم وُدّع بالاحترام كما قوبل بالوقار والاكرام . انتهى

النجاة من الموت

كيف ان اشارة الاستغاثة الماسونية نبهت اكبر اللصوص الى واجباتهِ نحو اخوتهِ

جرت هذه الحادثة للاخ الفارس جورج كاروثر من مدينة سنت لويس في الولايات المتحدة قال :

كنت مستخدماً في شركة قطارات الولايات المتحدة فارسلتني الشركة المذكورة يوماً بمهمة لها في مايكن ستي بولاية مازوري فسافرت في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٦٤ في قطار ولم نصل مدينة سنتراليا حتى شاهدنا النار قد لعبت في محطة السكة الحديد واعترض القطار اكمة من الحجارة والحديد فاضطررنا الى الوقوف . ثم هجم على القطار عدد من اللصوص الفرسان وابتدروا المسافرين باطلاق الرصاص عليهم حتى وقع الرعب في قلوب الجميع وشعروا بدنوّ الموت . وكان مقدام هؤلاء اللصوص بيل اندرسن الشهير فامر المسافرين بان ينزلوا من المركبات ويحملوا قطع الخشب المحترقة من المحطة ويضعوها في المركبات حتى تحترق ولما انتهى الاسرى من عملهم وقفنا الواحد وراء الآخر وامرنا كبير اللصوص ان نسير كالجنود فكان كلما تقدم واحد يأخذ نقودهُ ومجوهراتهِ ويقتلهُ بالرصاص حتى وصل الدور اليَّ وكان لم يزل ورائي ثلاثة عشر شخصاً فوقع من احد اللصوص زداه فامرني بان ارفعهُ واربطهُ بمؤخر سرجهِ وبينما كنت اتمم اوامرهُ صوَّب اليَّ مسدساً ليقتلني

فتصوَّر كيف كانت حالتي حينئذٍ وما الذي يخطر في بال من كان موقفهُ كموقفي ثم كأنَّ دافعاً دفعني الى ابداءِ الاشارة الماسونية فلما ابديتها ورآها بيل اندرسن زعيم اللصوص صاح بذلك اللص اياك ان تقتلهُ والاَّ قتلتك لا محالة

ثم ترجل عن جواده وصافحني وعفا عني وعن الثلاثة عشر الذين كانوا ورائي وبعد هنيهة قدم قطار من الجهة المقبلة وعليه جنود من الفرقة الخامسة والعشرين ففرّ اللصوص من امامهم ورجعت مع رفقائي الثلاثة عشر شاكرين الماسونية التي كانت سبباً لخلاصنا من الموت

سوري ماسوني في الولايات المتحدة

كيف اعتدى عليه قاطعو الطريق وردت مسلوباته عن يد المحفل الماسوني

زار الاخ الياس انطون فرزان (درجة ٣٢) احد المحافل في مدينة اتلنتك سِتي في صيف سنة ١٨٩٤ وبعد ان اقفلت الجلسة نحو الساعة الحادية عشرة مساء اسرع الى منزله وكان على مسافة بعيدة من المحفل وبينما كان سائراً في الطريق والظلام حالك هجم عليه ثلاثة رجال مسلحين قاصدين سلب امتعته فلم يرَ بدًّا من التسليم فاخذوا ساعته وسلسلتها الذهبية وخاتمين ثمينين من الماس ودبوساً بديعاً مرصعاً بالحجارة الكريمة وكل ما كان معهُ من الحلى الماسونية والدراهم وفرّوا . فرجع حالاً الى المحفل واخبر الاخوان الماسون بما جرى لهُ فطيبوا خاطرهُ وشرع اثنان من الاخوان وهما من الضباط السريين في التفتيش عن المجرمين الليل كلهُ فما اصبح الصباح حتى كان اللصوص الثلاثة في السجن فحضر الاخ الياس انطون فرزان واسترجع مفقوداته بتمامها وطلب من القاضي ان يسامح المجرمين ولكن ابى القاضي الا مقاصتهم فحكم عليهم بالسجن ثلاث سنوات جزاء لما جنت ايديهم

الماسوني الحرّ هو الذي يلبي الاستغاثة

العواطف الوالدية واخوان الماسونية

ورد تلغراف يوم الجمعة في ٥ اكتوبر (ت ١) سنة ١٨٨٩ مساء من الاخ الدكتور اسكندر البارودي من سوق الغرب في لبنان الى الاخ الدكتور فارس نمر صاحب المقتطف والمقطم في مصر يقول فيهِ ان سليمًا ابن شقيقتهِ (نجلي الاكبر) مريض جدًّا بالحمّى التيفوئيد وانهُ ينبغي حضور والدهِ بالسرعة. فكتم الدكتور فارس نمر الخبر عني الى صباح اليوم التالي وكنا ساكنين في بيتٍ واحد فقال لي أرى ان تذهب الى بيروت وترى سليمًا وتدبر لهُ امر المدرسة وما يلزمهُ من الحاجيات فشعرت حالاً ان ابني مريض ولم يقل لي الدكتور نمر شيئًا عنهُ غير ذلك الاَّ انهُ كان مريضًا من مدة بالانفلونزا والانفلونزا مرض لا يخشى منهُ فقمت لساعتي وسافرت الى الاسكندرية ومنها ركبت الباخرة الى بيروت. ولم اعرف بين الاسكندرية وبورت سعيد احدًا من الركاب غير اني شاهدت رجلاً يقرأ كتابًا بالكرشوني او السرياني فتقدمتُ منهُ وابديت الاشارة الماسونية فاجابني بمثلها وتبسم فتقدمت اليهِ وصافحتهُ وجلستُ معهُ وشعرتُ كأني اعرفهُ منذ زمنٍ طويل وبعد ما تكلمنا قليلاً سألتهُ عن اسمهِ ومحفلهِ ووطنهِ الخ فقال لي ان اسمهُ كاورك استوريان ووظيفتهُ ترجمان قنصلاتو روسيا بحلب والكتاب الذي بيدهِ ارمني وكان في روسيا واتى الاستانة وهو عائدٌ الى حلب مقر وظيفتهِ ومحفلهُ يدعى « حلب » باسم المدينة القاطن فيها تحت رعاية المحفل الاكبر الايطالي في رومية ثم عدَّ لي جماعة من الاخوان والاصدقاء الذين اعرفهم في حلب مثل قسطاكي افندي حمصي وغيرهِ فاستأنست بهِ جدًّا وسألني عن سبب سفري فاخبرتهُ باضطرابي وانشغال بالي وقلت لا اعلم هل ارى ولدي ام لا فطيب خاطري وشجعني بالكلام ولما ذهبنا للمنام اعتراني قيءٌ ودوار شديد

فوقعت من سريري الى الارض فقام هذا الفاضل واعتنى بي كل الليل تمام الاعتناء ولا انسى جميلهُ وتعبهُ مدى العمر وبقيت بلا أكل من مصر الى ان وصلنا بيروت فودعتُ رفيقي شاكرًا فضلهُ واعدًا اياهُ بالمراسلة الاخوية ما دمتُ حيًّا ورجوتهُ ان يهدي تحياتي لاخواني اعضاء محفلهِ واعطيتهُ اجزاءً من اللطائف كانت معي واتيتُ حالاً الى صيدلية صديقي مراد افندي بارودي فقيل لي انهُ في سوق الغرب فسألت الحاضرين هل تعرفون شيئًا عن سليم مكاريوس وكانوا لايعرفونني فقال بعضهم ان مرضهُ ذو خطر وقال آخرون انهُ مات امس وربما كان تأخر مراد افندي ناشئًا عن ذلك

فقلت ومن طبيبهُ فقالوا الدكتور يوحنا ورتبات . ولما كان بيت جناب الفاضل الدكتور ورتبات قريبًا من الصيدلية اسرعتُ اليهِ وانا مضطرب فسلمت عليهِ فقال لي لاتخف إتكل على الله . اجلس واسترح . وبينما كنت اسألهُ عن ابني جاء صديقي مراد افندي وكان قد علم بقدومي حال وصولهِ فسلمَ عليَّ وقال توكل على الله فسألتهُ هل مات الولد فتأثر لتأثري وقال لا فقاطعهُ الدكتور ورتبات وقال لي لا تخف نعم ان الغلام في خطر ولكن الرجاء بالله انهُ يقوم معافىً . وعلمت انهُ مضى عليهِ ستة عشر يومًا وهو طريح الفراش بالحمى التيفوئيد في بيت الاخ الدكتور اسكندر بارودي وهو وخالتهُ واختهُ يعتنون بهِ ويكبون عليهِ ليل نهار وكان خالهُ الدكتور نقولا نمر قد قدم سوق الغرب فاهتمَّ معهم بامرهِ عظيم الاهتمام

وركبت مركبةً من بيروت وحدي يجرها ثلاثة من الجياد وطلبت من السائق ان يسرع بي الى سوق الغرب وقلبي يكاد ينفطر وقواي خارت من سفر البحر والكدر وقلة الطعام حتى خشيت ان لا اصل سوق الغرب وفيَّ بقية رمق

ولما وصلت الى عين عنوب اشتريت قليلاً من الطعام وشربت ماءً وشجعت نفسي بنفسي وقلت ان الرجل ينبغي ان يكون رجلاً بافعالهِ فاذا لم احافظ على صحتي لا اعود اقدر ان اخدم ابني . وسرت حتى وصلت الى

سوق الغرب وكان قد جرى لي حادثة محزنة هناك في عامٍ مضى فاوقفت السائق وبكيت بكاءً مرًّا واستغثتُ بالقوة الالهية راجيًا مساعدتي . ثم سرنا وما زلنا كذلك حتى اتيت بيت الدكتور اسكندر بارودي فبعد السلام قال لي لا تضطرب ولا تخف تشجع وتشدد ولتكن الحكمة رائدك في امرك ثم دخل على الولد وكان نائمًا في غرفةٍ وحدهُ وقال يا سليم ماذا تعطيني اذا اتيت لك بابيك قال انك تضحك عليَّ وانا سأموت. ولا ارى ابي العزيز . فبكيت لاني كنت اسمع صوتهُ فقال لهُ الدكتور انا آتي لك بهِ الآن ولكن لا تتأثر انت وناداني ادخل فدخلت فتحرَّك الغلام في فراشهِ وقال ابي ابي انا ساموت عن قريب فتقدمتُ اليهِ وعانقتهُ وشجعتهُ فغاب عن الرشد وصار يهذر في كلامهِ ثم اصابهُ سبات فاشار الطبيب ان اتركهُ فتركتهُ . ولما افاق ناداني ابي فقلت لا تخف يا حبيبي لان الانفلونزا لا تخيف وعاقبتها السلامة فقال اذا شفيت هل تعطيني اربعة جنيهات لاشتري آلة فوتوغرافية قلت نعم واعطيتهُ حالاً الاربعة جنيهات قال عدني وعدًا ماسونيًّا انك لاتستردها مني فوعدتهُ بذلك وجلست بجانبهِ مدة اربعين يومًا وكان جسمهُ نحيلاً مهزولاً واعتنى بهِ الدكتور اسكندر بارودي وشقيقتهُ وخالتهُ وخالهُ اعتناءً زائدًا ليس فوقهُ اعتناءٌ حتى منَّ الله عليهِ بالعافية ونقه من مرضهِ الخطر ولكنهُ لم يستطع ان يمشي فكنت احملهُ بين يديَّ واضمهُ الى صدري واشجعهُ ولما انتهت مدة اقامتنا في سوق الغرب وعزمنا على النزول الى بيروت رجوت الاخ الدكتور اسكندر البارودي ان يقبل مني ولو ثمن الادوية فتمنع كل التمنع عن قبول اي شيءٍ كان ونفر عاتبًا عليَّ كل العتب فحفظت لهُ هذا الجميل الى آخر العمر وودعتهُ واتيتُ بابني الى بيروت فنزلنا في بيت صديقي مراد افندي البارودي. ولا أستطيع ان اصف ما بذلهُ اهل بيتهِ والاخوة الماسون في بيروت لراحتنا واكرامنا وزرنا المرحوم الدكتور فان ديك فاشار عليَّ ان نستريح نحو اسبوع ثم نسافر الى مصر وزرنا المدرسة الكلية

فطلب مني ابني ان يشاهد رفاقهُ في القسم الاستعدادي قبل السفر قائلاً احب ان اتزوَّد من مشاهدة اساتذتي ورفاقي لئلاَّ اموت ولا اراهم فحملتهُ على ذراعيَّ من المركبة ودخلنا الى المدرسة وهناك قابل التلامذة وهو بين يديَّ ولما رآهُ الرئيس والاساتذة والتلامذة تأثروا جدًّا و بعضهم بكى فودَّعهم وودَّعوهُ بكلامٍ احلى من الشهد فشكرتهم وودَّعتهم وعند سفرنا من بيروت احتشد اخواننا الماسون الاعزاء على رصيف البحر ومنهم من نزل معنا الى الباخرة وركبنا واتينا الى يافا وفيها قابلنا جماعة من الاخوان الماسون ومنها جئنا بورت سعيد فمصر(١)

ولما اجتمعت بالاخوان في المحافل الماسونية اخبرتهم بما ابداهُ الاخ الفاضل الدكتور اسكندر البارودي من الجميل فقرر المحفل ان يهدى اليهِ نيشان الاستاذ الماسوني الذهبي علامة شكر على معروفهِ وصدرت البراءة بهِ من جناب الاستاذ الاعظم للمحافل المصرية وانتخب عضو شرف في بعض المحافل لقاء معروفهِ وآدابهِ . ولا يزال هذا الاخ الصادق يخدم اخوانهُ وقومهُ وينشئ جريدة الطبيب في مدينة بيروت ويؤلف ويطبع ويطبب . وقد انتخب قاضياً في مجلس لبنان الكبير عن الطائفة الانجيلية ولهُ آثار حميدة تفتخر الماسونية بها على توالي الايام اكثر الله امثالهُ ولا عدمتهُ صديقاً صدوقاً وخلاً ودوداً .

يجب على كل محفل ان يطلب من الاخ التشريفاتي ان يعرّف الاخوان بعضهم ببعض ان لم يكونوا يعرفون بعضهم بعضاً ويجب ان يكتبوا اسماءهم في دفتر الحضور بوضوح ليحفظ لهم تذكاراً

---

(١) في ١٤ يوليو سنة ١٨٩٨ انهى ابني سليم دروسهُ في المدرسة الكلية الانجيلية في بيروت ونال شهادة البكلوريا منها

اللورد كورنوالس والجنرال ديكالب

لما فرَّت الجنود الاميركية من وجه الجنود الانكليزية في سهول كَمْدَن (بولاية نيوجرسي) ايام حرب الحرية بقي الجنرال ديكالب مع عدد من الابطال المجربين في ساحة القتال مفضلين الموت على عار الفرار

وبعد قتال عنيف بين الفريقين سقط الجنرال ديكالب مثخناً بالجراح فهجم عليهِ عدد من الجنود الانكليزية بحرابهم للاجهاز عليهِ فرآهم احد اعوان الجنرال نخرق صفهم بجراءة غريبة وصرخ فيهم قائلاً

"ساعدوني على اغاثة الجنرال ديكالب ان كنتم ماسونًا واياكم ان تمسوهُ بحرابكم"

فسمع اللورد كورنوالس قائد الجيوش الانكليزية صراخهُ فوخز جوادهُ حتى وصل اليهِ وفرّق عنهُ الجنود وانهض الجنرال عدوَّهُ الالدّ وقبَّلهُ قبلة الاخ الشفوق واخذهُ الى خيمتهِ وانامهُ في سريرهِ ثم استدعى طبيباً فضمد جروحهُ ولم يدع شيئًا من اسباب الراحة الاَّ فعلها لهُ

ولو كان الشرف والمال والرجال تفدي من الموت لكان اللورد كورنوالس يفديهِ بما عزَّ وهان ولكن ابى الموت الاَّ ان ينشب اظفارهُ في ذلك البطل الهمام فمات على فراش عدوهِ اللورد فأسف على فقدهِ اسفاً شديدًا وشيع جنازتهُ بما يليق بمقامهِ وسارت العساكر الانكليزية وراء نعشهِ حتى بلغت الضريح فقام اللورد بجنّازٍ ماسوني حسب الاصول الواجبة

فايّ شيء اشرف في عين الانسان من رؤْية هذه الاعمال الدالة على المبادئ القويمة والاحساسات الشريفة وايّ رابطة افضل من هذه الرابطة الاخوية التي تجعل عدوَّين من ألدّ الاعداء يتصالحان تصالح الاخوين ويلقيان عنهما سلاح القتال ويحملان سلاح المحبة والسلام

التعارف الماسوني

في اواخر سنة ١٨٨٩ كنت راجعاً من بلاد الشام الى مصر وكان في الباخرة جمهور من الاصدقاء واكثرهم من اعضاء الجمعية الماسونية مثل ادوار بك الياس وملحم بك شكور وميخائيل افندي انطونيوس والخواجه حبيب انطونيوس وغيرهم وكان في الباخرة رجل كبير الجسم مهوب الطلعة كثير اللطف ركب الباخرة معنا من بورت سعيد الى الاسكندرية فالتفتُّ اليهِ وهو جالس مع بعض اصحابهِ واشرتُ بالاشارة الماسونية فقام عن المنصة التي كان جالساً عليها وصرخ برذ راي "اخي" باللغة الانكليزية وتقدم اليَّ وعانقني امام جميع الحاضرين فعرَّفتهُ باخواننا الذين معنا فسرَّ بهم سروراً عظيماً وقال نحن الآن محفل اخوي في وسط البحر ثم نادى خادم السفينة فاحضر من فاخر المشروب لجميع الاخوان وشرب نخبهم ونخب الرابطة الاخوية التي ربطت قلوبهم وكان ذلك في المساء فقال لي ميخائيل افندي انطونيوس مازحاً "ليتك عرَّفتنا بهِ من اول النهار" ثم اخبرنا انهُ من الاغنياء وقد ساح حول الارض مرتين وكانت هذه الثالثة واظهر سرورهُ بارتباطنا الاخوي وقال انهُ حيثما توجه وجد اخوان الماسونية على تمام الصفاء ووعد انهُ يزور محافلنا بعد وصولهِ الى مصر بيومين . ولما كان البحر قوياً غلب عليَّ الدوار فاستأذنت وقمت الى سريري ومكث الاخوان معهُ الى ما بعد نصف الليل على اتم سرور ولما جاء مصر زارنا ولسوء الحظ كنت غائباً عنها فوضع لي ورقة الزيارة قائلاً انهُ وفى بوعدهِ . وفي الختام اتأسف ان الورقة قد فقدت مني ولم اعد اعرف شيئاً عن هذا الاخ الى الآن

ينبغي ان يكون في كل محفل ماسوني كتاب صور (البوم) توضع فيهِ رسوم اخوان المحفل والذين يهدون اليهم صورهم من اخوانهم

النفع المتبادل

كان من عادة محفل كورنثيان في مدينة نيويورك ان يهتم بارامل الماسون وايتامهم ويمدهم بالمساعدات المادية والادبية فيهذب مثلاً الايتام في المدارس ويقدم آلات الخياطة للارامل اللواتي يحسنَّ الخياطة والتطريز ولكن ليس لديهنَّ مال لمشترى لوازم العمل فكان المحفل المذكور بذلك رحمةً لكثيرات من النساء

ففي بعض الايام اتت ارملة الى باب المحفل وقدمت طلبًا الى الرئيس المحترم ليقرضها مئة وخمسين ريالاً قائلةً انها تريد ان تتعاطى بيع الحلويات فقرر المحفل اعطاءها المبلغ الذي طلبتهُ وكان للارملة المذكورة ثلاثة اولاد ذكور وكلهم صغار السن فاستأجرت غرفةً صغيرة ووضعت فيها بعض الحلويات لتبيعها وبقيت كذلك مدة طويلةً لم يسمع عنها المحفل فيها خبرًا . وبعد سنتين وصل الى المحفل كتاب من المرأة الارملة تشكرهُ فيهِ على العمل المبرور الذي عملهُ معها بعبارات رقيقة موثرة جدًّا حتى فاضت العبرات من عيون جميع الاعضاء الحاضرين وفي التحرير صك بقيمة مئة وخمسين ريالاً الى امين الصندوق وقالت في آخر الكتاب اني ارجو من المحفل الموقر ان يقبل الدراهم التي اخذتها منهُ منذ سنتين ليعطيها لارملة اخرى حتى تفعل كما فعلتُ انا فقد ربحت في السنتين الاخيرتين مبلغًا يكفيني لان اعيشْ مستريحة البال فاني ملأت محلي بالحلويات وصرت صاحبة راس مال كافٍ لان اعيش بهِ مع اولادي الثلاثة عيشة راضية

فكتب لها كاتب سرّ المحفل المذكور يهنئها بفوزها ويمتدح من نشاطها وعزّة نفسها

ما اعظم المساعدة القليلة التي ينتج عنها النفع الكبير

محفل فينيقية

في جلسة محفل اللطائف الخامسة سنة ١٨٩١ نلت الرخصة من المحفل الاكبر المصري لجماعة من الاخوان الافاضل في مدينة بيروت بانشاء محفل ماسوني تحت رعاية المحفل الاكبر المصري باسم "فينيقية" فكان يجتمع برئاسة الاخ المحترم خليل افندي الريس وانضمّ اليهِ حوالي الاربعين عضواً من اعيان القوم وسراتهم

وفي ١٧ يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٢ كتب اليَّ المحفل الاكبر المصري ان الخص اعمال المحفل مدة اقامتي في بيروت ثم كتب يفوض اليَّ تثبيت المحفل

اقفال محفل فينيقية

وعند وصولي الى بيروت بلغني ان احد اولادي مريض في جبل لبنان وان حضوري اليهِ ضروري فعزمتُ على تأخير الاقامة قدر الطاقة ولكن زيارات الاصدقاء والمحبين المتوالية للسلام اضطرتني الى البقاء في بيروت اربعة ايام لا اخرج من اوتل دانكلتر التي نزلت فيها لا نهارًا ولا ليلاً ولم اتمكن من زيارة المحافل الماسونية هناك ولا شاهدت الاَّ بعضاً من الاخوان الماسون لاني لم اخبر احدًا منهم بعزمي على الحضور. ولما رأيت اني لا استطيع اتمام ما انتدبني اليهِ المحفل الاكبر الوطني المصري الموقر طلبت من حضرة رئيس محفل فينيقية ومنبههِ ان يعرفاني كيف يفتتحون اشغالهم فاخبراني انهم يبتدئون بحمد الله تعالى ويختمون بالدعاء لجلالة السلطان عبد الحميد خان وفتشت حساباتهم ودفاترهم فوجدتها مضبوطة وتأسفت جدًّا لان مرض ابني اضطرَّني الى الاسراع فلم اتمكن من حضور جلسة من جلسات المحفل وانما علمت ان صورة جلالة السلطان الاعظم معلقة في صدر قاعة الاجتماع وتحتها صورة جناب رئيس المحافل الوطنية المصرية وبعد غيابي عن بيروت بشهر ونصف كتب اليَّ احد الاخوان من مصر يسألني عن محفل فينيقية

وسبب اقفالهِ فاجبتهُ انكم اقرب مني الى بيروت لاني كنت وقتئذٍ في حاصبيا وجهات الجولان وهي تبعد ثلاثة ايام عنها

وفي آخر الصيف رجعت الى بيروت حيث مكثت اسبوعاً قابلت في خلالهِ كثيرين من اعيان الاهالي ووجوه المسلمين والمسيحيين وموظفي الحكومة فاخبروني ان والي بيروت خالد بك امر باقفال المحفل وارسل ضابطة لمنع الاخوان من الاجتماع فيهِ واستدعى الوجيه الفاضل خليل افندي الريس وطلب منهُ ان يوقف المحفل بناءً على اوامر عالية صدرت اليهِ وامر بمركبتهِ فركبها جناب خليل افندي المشار اليهِ وتوجه الى المحفل واخبر الاخوان ما امر بهِ الوالي فانصرفوا الى منازلهم ولم يعودوا الى الاجتماع ثم كتبوا الى المحفل الاكبر بمصر واخبروهُ بذلك فكتب اليهم ان يطيعوا امر الحكومة

محفل فينيقية في الكهوف والمغائر والاودية

ولم يثنِ عزم الاخوة في بيروت تهديد ولا وعيد بل ثبتوا على وعدهم بان لا يجتمعوا تلك السنة في بيروت ولكنهم توجهوا زمراً الى الكهوف والمغائر في لبنان واقاموا اجتماعاتهم ورقوا المبتدئين الى الدرجات الثانية والثالثة فكانت حالتهم في اواخر القرن التاسع عشر في بيروت اشبه منها بالماسونية في ايامها العملية (راجع كتابنا الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية)

وزاد تعلق الاخوان بهذا المحفل حتى انهم كانوا يخاطرون بانفسهم واموالهم في سبيلهِ وكان الجواسيس يستعلمون عنهم بالدقة حتى يوقعوهم في حبائل شراكهم ولكنَّ صدقهم واخلاصهم لدولتهم ومحافظتهم على عهودهم انقذتهم من مخالب اولئك الغدارين واصدر المحفل الاكبر المصري امرهُ بتوقيف الجلسات ريثما تمرُّ هذه السحابة ويبلغ جلالة السلطان عبد الحميد خان اخلاص الماسون لسدتهِ الملوكية وان جمعيتهم لا تتعرض للسياسة بشيءٍ ولا تتداخل بامورها وان من أكبر واجباتها الخضوع للسلطة المدنية العادلة

محفل فينيقية في شيكاغو باميركا

وظلَّ محفل فينيقية مقفلاً الى ان فُتح المعرض العام في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٩٣ فسافر الاخ المحترم خليل افندي الريس مع جماعةٍ من الاخوان للاتجار في تلك البلاد ولما كان الماسوني الحرّ يحافظ على عهودهِ ويثبت على مبادئهِ اين كان وكيف توجه تعرَّف الاخوان هناك بالرجل العظيم الماسوني الجنرال يوحنا كرسون سميث حاكم شيكاغو سابقًا والرئيس الاعظم لمحفل الينويس الاكبر بواسطة مكاتبات من مؤلف هذا الكتاب فدعا الاخوان الشرقيين عمومًا مرارًا الى منزلهِ العامر واكرمهم كل الاكرام وساعدهم على ترويج اعمالهم بقدر الامكان واراهم غرفة في منزلهِ فيها جذع من شجرة كبيرة وضعت تذكارًا لانتصاراتهِ وبسالتهِ في الحرب الاميركية الاهلية فانهُ بينما كان يحارب مرةً بجانب شجرة كبيرة اطلق خصومهُ عليهِ كرةً من مدفع مرَّت امامهُ وجرحت رجلهُ وقطعت ذلك الجذع الكبير من الشجرة وانتصر في تلك الموقعة انتصارًا عظيمًا فصنعت لهُ الحكومة نيشانًا ذهبيًا مثلثًا وكتبت عليهِ اسم الثمانية عشرة موقعة التي انتصر فيها وتاريخها واتت بذلك الجذع الكبير من الشجرة ووهبتهُ قطعة ارض في شيكاغو ووُضع هذا الجذع في الغرفة تذكارًا لهذه الحادثة ·

ولما كان الجنرال سميث معروفًا عند كثيرين من اخواننا الماسون في مصر وسورية ولهُ في كتابنا الجوهر المصون ترجمة مطولة اكتفينا بالالماع اليهِ في هذه النبذة

قلنا سابقًا انهُ يحب الشرق والشرقيين ولذلك اجاب طلب الاخ المحترم خليل افندي الريس وسمح لهُ ان يعقد اجتماعًا حافلاً في محفل شيكاغو العظيم تحت رعاية المحفل الاكبر الوطني المصري وهذه اول مرة منذ الخليقة الى الآن اجتمع فيها محفل عربي سوري برعاية مصر في تلك البلاد —

فافتتحت الجلسة باسم مهندس الكون الاعظم وحضرها ما ينيف على المئتي اخ من الذين عرفوا بالاجتماع من كبار الماسون الاميركيين وعظمائهم وتبودلت في تلك الجلسة مظاهرات المحبة والاخاء وأُهدِيَ الى الاخ المحترم خليل الريس واعضاء محفل فينيقية عدة ملابس ووسامات ماسونية . ولما سمع الاميركيون بتلك الجلسة تأسفوا على ما فات وكيف لم يعلموا بها حتى يحضروا ذلك الاجتماع العربي واكرموا الاخوان الشرقيين كل الاكرام وسجلوا ذلك الاجتماع في تاريخ الماسونية العمومي وودُّوا لو امكن الاجتماع مرة اخرى

وهنا يقف القلم ذليلاً كليلاً فان محفل فينيقية يفتح في اميركا بتمام الحرية ويكافأ اعضاؤهُ وفي وطنهِ يُقفل من وشاية الجواسيس — لتحفظ الماسونية تاريخ هذه الحوادث في سجلاتها الى الاجيال الآتية

اغاثة البائس

كان المرسل الاميركي لورنزو دَاو وهو من الاخوان الماسون سائحًا في اسيا الصغرى ولما وصل الى ازمير اصابتهُ حمي شديدة الزمتهُ الفراش مدة طويلة حتى نفد ما معهُ من الدراهم ولما نقهَ قليلاً خرج يجول في الشوارع وهو يفكر في حالتهِ وضيق ذات يدهِ فلم يجد لهُ غير الماسونية منجدًا فجال يبدي اشارة الاستغاثة الماسونية ولكن لسوء الحظ لم يجبهُ احد لان الماسونية هناك كانت متأخرة جدًّا

ولم تمضِ برهة حتى مرَّ بهِ شاب عليهِ هيئة الوقار فرآهُ يبدي الاشارة الماسونية فجاوبهُ حالاً بالمثل وتقدم اليهِ وسألهُ عن حالهِ فاخبرهُ بقصتهِ فاخذهُ الشاب الى منزلهِ وهو يبش بوجههِ ويلاطفهُ فاسكنهُ عندهُ ودفع عنهُ كل دينهِ الى النزل الذي كان مقيمًا بهِ قبلاً وما زال يعتني بصحتهِ حتى شفي تمامًا ثم زودهُ بما يلزمهُ وارسلهُ الى بلادهِ معززًا مكرمًا

الثقة الماسونية

كان احد الاخوان الماسون مسافرًا من نيويورك الى اوربا في سنة ١٨٧٦ وبينما كان يتمشى على ظهر الباخرة تقدم اليهِ احد الموظفين واخبرهُ ان سيدة مريضة في غرفة نمرة ٣١٥ تطلب مواجهتهُ فدهش من هذا الخبر واكد للموظف انهُ مخطئ وانهُ لا يعرف احدًا من ركاب الباخرة ولكن الموظف اكد لهُ انهُ هو الشخص المطلوب فذهب الى الغرفة المذكورة فرأى سيدة ملقاة على فراش النزع فقالت لهُ علمت من الاشارة التي في فتحة ردائك انك ماسوني فاستحضرتك لاودع بين يديك هذا المبلغ من الذهب والجوهرات حتى متى وصلت الى ميناء سوثمبتن (في انكلترا) تسلمها الى زوجي الذي لا بدّ يكون بانتظاري هناك اما انا فاني اشعر بدنوّ اجلي ولا اشك انني ساموت قبل ان نصل الى البرّ. ثم اعطتهُ الدراهم والجوهرات واسم زوجها ووصفتهُ لهُ حتى يعرفهُ تمامًا فاخذ الاخ الماسوني الوديعة واعطاها للربان ليحفظها في خزينتهِ حتى تصل الباخرة الى الميناء

ولما وصلوا الى سوثمبتن هرع الاخ الماسوني الى غرفة المرأة المريضة فرأى ان حالتها قد تحسنت ورجلها بانتظارها على الشاطئ فاخذ الوديعة من الربان وسلمها اليهِ بتمامها فشكرهُ هذا ودعاهُ الى منزلهِ فلقي منهُ من الاعزاز والاكرام ما يفوق الوصف لانهُ تاكد امانتهُ من وضعهِ المال في خزينة الربان محافظةً عليهِ

وليس هذا بالامر الغريب فالامناء كثيرون في الدنيا ولكن امانة الاخ الماسوني قائمة بالمبادئ الحسنة لا بالرهبة او خوف العقاب

على كل محفل ان يعين لجنةً لزيارة الفنادق والتعرف بالماسون الغرباء ودعوتهم الى الاجتماعات الماسونية لتزداد العلاقات والمحبة الاخوية

السائح وورقة الجواز

اخبرني الاخ المحترم خليل افندي الريس رئيس محفل فينيقية في بيروت والمرحوم يوسف افندي عرمان انهُ جاء مرة مدينة بيروت احد السياح الافرنج فطُلبت منهُ ورقة الجواز (البسابورت) فافتقدها ولما لم يجدها وجد الدبلوما الماسونية امامهُ فسلمها الى الرجل الذي يستلم هذه الاوراق واخذها مع غيرها الى دار الحكومة وكان متصرف بيروت ماسونيًّا وذلك قبلما صارت بيروت ولاية فاطلع عليهِ هو وغيرهُ من الاخوان مثل اسعد افندي فياض ويوسف افندي فياض وحبيب افندي الجلخ وغيرهم ثم جاء السائح يطلب الدبلوما وفي يدهِ الجواز فتجاهل الاخوان امرهُ وكلمهُ المتصرف بعنف قائلاً ان هذه ليست جوازًا وربما كنت هاربًا لسبب جنائي فاحتدم الرجل غيظًا واجاب ان هذه اشرف من سائر جوازات العالم ولا ينالها المرء الاَّ ببذل النفس والنفيس ولما رأوا غيرتهُ اعطوهُ العلامة الماسونية واكرموهُ كل الاكرام فابرقت اسرَّتهُ وفرح فرحًا لا يوصف وشكر معروفهم وانصرف وهو يعدهم بالمحافظة على خدمة الاخوان في اي بلدٍ كان

الاسير الماسوني في موقعة واترلو

رأى احد القواد البلجيين في موقعة واترلو الشهيرة اخًا ماسونيًّا عرفهُ من قبل بين صفوف عساكر الاعداء وكان الجيشان المتحاربان قريبين الواحد من الآخر فلما اشتبك القتال رأى القائد البلجي ان اخاهُ الماسوني اشرف على الخطر فاخترق جيش الاعداء وقبض على الاخ الماسوني واخذهُ اسيرًا اليهِ بغير ان يمسهُ احد بضرر

وبعد انتهاء تلك المعركة المشؤومة ودع القائد ذلك الجندي الماسوني واطلق سراحهُ مكرماً معززاً

اما الخطر الذي عرض القائد نفسهُ لهُ فهو اولاً خطر القتل بين عساكر العدو . وثانياً خطر التهمة بالخيانة فان جيشهُ توهم فيهِ الخيانة لما انقض على صفوف الاعداء ولكن المحبة الاخوية التي تتأصل في قلب الاخ الماسوني تنفي من مخيلتهِ الخوف وتربي فيها الشجاعة والشهامة

اصل محبتي للماسونية

كان لي صديق ابتلاهُ الله بالفقر حتى ضاقت الدنيا في وجههِ على رحبها بغيرهِ وكان لهُ صديق من اعضاء الجمعية الماسونية فاشار عليهِ ان يلجأ الى الماسونية فكتب عريضةً الى محفل لبنان في بيروت يلتمس فيها المساعدة ومع انهُ كان غير ماسوني اجاب المحفل التماسهُ وسدَّ عوزهُ وأحسن اليهِ بمبلغ من الدراهم وارسل ملابس ومؤونة الى بيتهِ وكنت صغيراً فسمعت هذه القصة ولم اصدقها حتى سمعت صديقي يتحدث بها فاستعظمت الامر وملت بجملتي الى محبة الجمعية من الصغر ولما كان كثيرون يشيعون اموراً كثيرة عن هذه الجمعية ويخوّفون الآخرين منها في احاديثهم عنها حفظت ذلك في ذهني الى ان بلغت السن الذي يجيز لي الانتظام في سلكها وكان المرحوم الاستاذ المحترم يوسف عربيلي والاخ الدكتور ابرهيم عربيلي نزيل نيويورك في اميركا من اعضائها فشوّقاني الى الدخول فيها ولما دخلتها رأيت من اعمال البرّ فيها ما زاد في حبي لها ولذلك انصح كل مهذب مستوفٍ شروطها ان ينتظم في سلكها فيخدم نفسهُ ويخدم البشرية

البرنس نابوليون لويسين شارل مورات

الاستاذ الاعظم للمحافل الفرنسوية

هو ثاني اولاد يواكيم مورات ملك نابولي وُلد في ميلان في ١٦ مايو سنة ١٨٠٣ وقضى زمن حداثتهِ في نابولي وبعد نكبة بيزو التي قُتل فيها ابوهُ سنة ١٨١٥ كان لويسين صغيرًا لم يكد يبلغ الرشد فسارت بهِ امهُ الملكة الى النمسا حيث بقي حتى سنة ١٨٢٢ فتركها وسافر الى البندقية وكان رجال الشرطة هناك على حالٍ من الشراسة لا توصف فلم يهنأ لهُ فيها العيش ولم تطب لهُ الاقامة فعزم على الذهاب الى اميركا ليلحق باخيهِ اخيلوس وخالهِ يوسف نابوليون ملك اسبانيا الاسبق واستاذ الماسونية الاعظم ولكن الدهر عاندهُ فانكسر المركب الذي كان يقلهُ فغرق من غرق من الركاب وخلص لويسين مع من خلص ولكنهُ كان

شبه الغريق نجا ووافى ساحلاً فاذا الاسود روابضٌ بجوارهِ

فلم ينجُ من الغرق الا ليؤخذ اسيرًا على شواطيء اسبانيا

وكان بين رفقائهِ المسافرين قومٌ استناروا بمعرفة الحقيقة الماسونية وكان هؤلاء من نخبة الاعيان فلم يخشوا بأسًا في اظهار فضل الماسونية وعظم شأنها وما لها من الايادي البيضاء على العالم اجمع فكان لويسين يسمع هذا الاطراء ونار الاشواق تتقد في قلبهِ مستعرة ليصل الى حيث يقيم خالهُ فيتقلد منصبًا طالما صبا اليهِ

وكثيرًا ما رجا من رفاقهِ في الاسر ان يمنحوهُ هذه الدرجة ولكنهم كانوا على جانبٍ عظيم من التعقل والرزانة فلم يقبلوا طلبهُ كي لا يعرضوا حياتهم وحياة اميرهم المحبوب للهلاك في بلاد احكامها في غاية الصرامة على الجمعية الماسونية فان حكومة غرناطة علمت بوجود سبعة اخوة ملتئمين في محفل

سنة ١٨٢٥ فارسلت اليهم نفرًا من الجند فقبضوا عليهم ثم زجتهم الحكومة في السجن وأُعدموا بلا محاكمة

وعثرت حكومة برشلونة على محفل مؤلف من اخوة فرنسويين وايطاليين فحجزت حالاً على المحفل وحكمت على الرئيس بالاعدام وعلى بقية الاخوة بالنفي المؤبد فبمثل هذه الامثال كانوا يردعون لويسين عن قصدهِ ولكنهُ كان شديد التمسك بالماسونية فاكثر من الالحاح عليهم حتى وعدوهُ بالنظر في امرهِ حالما تمكنهم الفرصة ويروا انفسهم في حرز حريز فصبر لويسين ريثما يتسنى لهُ الانتظام في سلك الماسونية ولما ساعدت الاحوال اجتمع الاخوة خارج البلدة فادخلوهُ في الماسونية بعد ان حلف اليمين انهُ يبقى ما زال حيًّا امينًا على مصلحة الجمعية غيورًا على شرفها

وقضى مشقات جمة حتى تخلص من الاسر فعاود سيرهُ نحو اميركا سنة ١٨٢٥ وفي سنة ١٨٢٧ تزوج مِس كارولينا جيورجينا فرازر وهي سليلة بيت عريق في النسب ومن اغنى الاسرات الاميركية ولكن التعاسة كانت ملازمة لهُ في اول امرهِ فلم يطل زمن راحتهِ حتى فاجأَتهُ النكبات تترى فخسر خسارة عظيمة في تجارتهِ وادَّت بهِ الحال حتى انهُ لم يعد لهُ دخل سوى دخل مدرسة للغنيَّات انشأَتها مدام مورات وتولت ادارتها فضاق ذرعًا وعيل صبرًا عن احتمال هذه المصائب فصمم على ترك بلاد لم يعرف فيها يوم راحة ليسافر الى فرنسا فدبَّر امورهُ وجمع ما تبقى عندهُ من الدراهم التي لم تكد تكفيهِ لنفقات سفرهِ هذا الكبير

وفي سنة ١٨٣٩ ابحر نحو فرنسا ولكن تعاستهُ كانت ملازمة لهُ في حلهِ وترحالهِ فعاد رجال الشرطة الى مقاومتهِ بلا جريرة ارتكبها فلم يقم في فرنسا طويلاً فتركها وتجشم في سبيل سفرهِ منها مشقات جمة

وعاد سنة ١٨٤٤ الى فرنسا ولقي فيها اولاً ما كان قد لقيهُ من مضاضة العيش ولكن التعاسة كانت قد يئست من نجاحها وفوزها عليهِ اذ رأَت بهِ

شهمًا باسلاً لاتزعزعهُ نائبات الليالي ولا تروعهُ كوارث الايام واتت ثورة سنة ١٨٤٨ ففتحت لهُ ابواب فرنسا فولجها وكلهُ آمال تبشرهُ بالسعادة وكان اخوهُ اخيلوس قد توفي فورث عنهُ كل القابهِ وفي ١٥ مايو ابَّان اشتداد الثورة حين قام الاهالي ضد الحكومة قاصدين قلبها اظهر لو يسين انهُ ورث عن ابيهِ شجاعتهُ واقدامهُ وان الرزايا والنكبات التي توالت عليهِ لم تنسهِ ما يجب عليهِ نحو موطنهِ فتقدم بثبات وجاش عظيمين غير هياب ولا نكس ولا مكترث لتهديد الشعب ووعيدهِ وامكنهُ بحكمتهِ ان يخمد الثورة وكان يشبه الموسيو كوسيدير الذي كان الشعب يمقتهُ وكاد يعود عليهِ شبههُ لهُ بالهلاك وقد ذكر ذلك عن نفسهِ حين اضطرَّ الى زيارة البوليس فقال ان شبهي الكثير بالموسيو كوسيدير كاد يطرحني على ابواب المقابر فلم اكد اصل الى نادي الحكومة حتى تألب عليَّ شعب عظيم مدجج بالسلاح يريد اعدامي صارخًا فليقتل كوسيدير وليرجم الخائن فصرحت لهم باسمي واعلمتهم وجه خطائهم فتبدَّل غضبهم حلمًا وصرخوا بصوت واحد فليحيَ الوطني مورات الباسل وفي شهر مارس سنة ١٨٣٩ قام القسم الثالث من باريس (بانليو) وانتخبهُ كولونيلاً وطلبت مقاطعات اللو والسين تجديد انتخابهِ فلم يقبل بل لبى طلب البانليو وفي ٣ اكتوبر انتخبتهُ الحكومة الفرنسوية مندوبًا سياسيًا من قبلها في التورين وفي ٨ ديسمبر من السنة التالية منح اللجيون دونور وأعطي نيشانهُ في ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٣ وفي ٢٦ يناير من السنة نفسها صار عضوًا في مجلس الشيوخ وفي ٢١ يونيو من السنة التالية منح لقب برنس.

وكان مركز الجمعية الماسونية يزداد في فرنسا حرجًا يومًا بعد يوم وبات الخطر الذي كان يتهددها عظيمًا جدًّا لسببين هدَّداها بالخراب المحيق اما السبب الاول فاضطهاد الجرائد لها اضطهادًا لم تذق مثلهُ منذ اجيال كثيرة فكانت الصحف الباريسية وصحف الاقاليم ساهرة ليل نهار تجرد على الجمعية الماسونية حربًا عوانًا قاصدة هلاكها بدعوى انها عدوة للدولة والدين واما

السبب الثاني فمنشور اذاعتهُ نظارة الحربية مفادهُ ان كل فرد مهما كان مركزهُ رفيعًا وانخرط في سلك احدى الجمعيات السرية يسقط من حقوقهِ المدنية ويساق حالاً امام مجلس حربي ليحاكم

وهكذا خدعت الحكومة الفرنسوية واشركت الجمعية الماسونية بالجمعيات الاخرى التي قصدها مضادة الحكومة وعرقلة اعمالها وهي لا علاقة لها بهنَّ ولكن هذا كلهُ كان باغراء اصحاب المفاسد والغايات وقد كتب الله عليها منذ الازل ان تدخل في كور الاضطهادات الرائعة لتصفى وتنقى كالذهب الذي لا يصفى ما لم يحمَ بالنيران فارتأى الاخوة الذين كانوا غيورين على مصلحة الجمعية وتحققوا ما لها من الايادي البيضاء ان يعينوا رئيسًا لها اخًا ذا شأن خطير محرزًا ثقة الحكومة التامة لعلَّ هذا الاضطهاد يهدأ ثورانهُ وتبرد جمراتهُ فاتجهت انظار الجميع نحو البرنس مورات ولم ينسوا فضل ابيهِ وما كان لهُ من المساعدة والنصرة للجمعية الماسونية فظهر هذا البرنس للجميع كترس ارسلتهُ العناية الالهية لهذه الغاية فسرَّت الخواطر وقرَّت النواظر واملوا بوجودهِ استاذًا اعظم خيرًا عميمًا

وفي ٩ يناير سنة ١٨٥٢ عُقِدَت جلسة عامة مؤلفة من مائة واثنين وخمسين مندوبًا جاؤُوا من اقاصي البلاد وقرروا بصوت واحد انتخاب البرنس مورات استاذًا اعظم على شرق فرنسا الاعظم

فقبل البرنس هذه الدرجة العليا بشكر جزيل ولكنهُ لم يتقلدها الاَّ بعد ان صادق على تعيينهِ البرنس لويس نابوليون رئيس الجمهورية

وكانت رئاستهُ محدودة لخمس سنوات فاذا انقضت جدَّد الاخوة انتخابهُ او عينوا خلفًا لهُ وفي سنة ١٨٥٨ رأَت الماسونية اعمال استاذها الاعظم الجيدة فارادت مكافأَتهُ على خدماتهِ التي خدمها بها فجعلتها زاهية زاهرة فقررت انتخابهُ استاذًا اعظم مدى حياتهِ ولكنهُ لم يقبل هذا الامر وبعد اللتيا والتي سلم بتجديد رئاستهِ سبع سنوات اخرى

واول عمل اتاهُ الاستاذ الاعظم كان نفعهُ عائدًا على العموم ففي ٣١ يناير من السنة عينها احيت الماسونية ليلة حافلة دعت اليها كل الاخوة الباريسيين ليمدوا يد الاحسان الى محفل المساعدة وقبل الاستاذ ان يجعل تلك الليلة تحت رعايتهِ الخاصة مؤكدًا ان دخلها سيفوق المطلوب وحضرها مع عائلتهِ لينشط بذلك اخوتهُ الآخرين ويحثهم على عمل البر والصلاح وبعد انتهاء الحفلة اخذ دخلها وكان عظيمًا ووزع على ذوي البأساء

وبعد انتهاء هذا العمل الخيري العائد فضلهُ على الاستاذ الاعظم اهتمت الماسونية بانشاء محل لاقامتهِ وكان محفل ماتورين سن جاك غير اهل لذلك فعزمت على تخصيص قاعة بارتلماي الجميلة محلاً مختارًا ليقطنهُ الاستاذ الاعظم متى شاء واكترتها لهُ في ٢٥ فبراير وباشرت زخرفتها حالاً

وصرف اهتمامهُ بعد ذلك الى ابلاغ بقية المجامع والمحافل المتصلة بالشرق الفرنسوي الاعظم ما جرى واعلمهم بارتقائهِ منصب الاستاذ الاعظم وارسل بذلك منشورات الى ثلاثة واربعين مجمعًا فاجاب الكل عليها بملء الغبطة والسرور

ولما رأى ان اعمالهُ مكللة بالظفر عزم على انشاء ما طالما صبا اليهِ وهو هيكل للماسونية الفرنسوية بعد ان وثق بمحبة الجميع لهُ وفي ١٤ مارس سنة ١٨٥٢ ارسل الى جميع المحافل التابعة الشرق الاعظم كتابًا هذا نصهُ

اخوتي الاعزاء

اول عمل يجب ان يصبو اليهِ كل ماسوني اخلص في اعمالهِ هو خدمة الجمعية الماسونية خدمة يشتد بها ازرها ونقوى معها على احتمال المكاره والمصائب التي ربما تطرأ عليها فيجب علينا اذًا النظر في امر ذي شأن خطير وهو بناء هيكل يليق بالماسونية الفرنسوية وبما ان الشرق الاعظم اعطي الرئاسة العظمى وهو بنفسهِ الماسونية الفرنسوية وجب ان يكون لهُ في باريس مسقط رأسهِ ومظهر مجدهِ مكان يلتئم فيهِ الاخوة اجمعون ويقبل فيهِ

الزائرون العديدون المتقاطرون الى فرنسا من اقطار العالم الاربعة ليروا اعمال الشرق الاعظم المجيدة ويعظموها وهذا الهيكل يكون خاصًّا بنا لاينازعنا فيهِ احد فنقيم احتفالاتنا في منازلنا لا في بيوت الغرباء

وكان هذا الفكر قد طرأ عليهِ اول تقلدهِ منصب الرئاسة العظمى وشعر بلزوم شرائهِ هيكلاً يظهر عظم الماسونية بكل مظاهر الابهة والجلال فباشر ذلك بهمة لا تعرف الملل ولا يعروها الكلل

وكان في باريس نزل انيق غاية في الابهة والجمال قائم على شارع كاده قرب شارع مونتمارتر يخص احد مارشالية فرنسا فاستصوبت الماسونية شراءهُ فعرض عليها بمبلغ اربعمائة الف فرنك ولكن لغايات قصدها ارباب المفاسد زيد في ثمنهِ خمسون الف فرنك دفعة واحدة ظنًّا بان الجمعية لا تقدم على شراء النزل بهذا المبلغ الجسيم ولكن ساء فأل اعدائها فاحرزت الماسونية مبتغاها بهمة استاذها الاعظم وردت كيد خصومها في نحورهم وهاك البيان الوافي

لم يكن الشرق الاعظم يجتمع في محلٍّ خاص بهِ وكان عليهِ ان يطلب مصادقة الحكومة الفرنسوية ويحرز رضاها والاَّ فلم يمكنهُ الالتئام فلشراء هذا النزل كان على الاخوة تمهيد هذه العقبات المعرضة في سبيل امتلاك هذا المحل العظيم وفي ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٢ عقدت الجمعية جلستها برئاسة الاستاذ الاعظم للمذاكرة في امر الشراء وعرض الاستاذ الاعظم رأيهُ ان يجعلوا شراء النزل باسم جمعية مدنية ليحق لهم الشراء وبقيت الجلسات تتتابع والآراء تختلف فمن مصوّبٍ ومن مخطىءٍ ومن موافق ومن معارض حتى جلسة ٢٨ اغسطس من السنة نفسها فقرت الآراء على طلب الاستاذ الاعظم

ورأى البائع او بالحري السمسار الذي عقد البيع على يدهِ شدّة رغبة الجمعية في شراء المنزل وانهُ لا يصدها شيء في سبيل امتلاكهِ فزاد في الثمن خمسين الف فرنك فاضطرت الجمعية ان تذعن الى طلبهِ ولما لم يكن

عندها نقود كافية توفي بها هذا المبلغ الجسيم قام البرنس مورات ضامنًا بسداد المبلغ واستلمت الجمعية النزل المذكور وبدأ العمل فيهِ حالاً

ولم يكتفِ البرنس المذكور بما اتاهُ من المبرات بل طلب من الماسونية انشاء جمعية اساسية يكون بيدها وحدها الحل والعقد وفي اول يونيو سنة ١٨٥٣ ارسل منشورًا الى جميع المحافل التابعة للشرق الاعظم قائلاً فيهِ انهُ لم يقبل هذه الوظيفة التي قلدهُ اياها الاخوة الغيورون على مصلحة الجمعية الاَّ ليخدمها خدمة نصوحة ولذلك طلب منهم في ١٥ من الشهر عينهِ الاهتمام بانشاء جمعية اساسية تكون صلة الاتحاد بين الاخوة سكان باريس والاقاليم وفي ٢٨ اكتوبر اجتمع المندوبون وقرروا ما يأتي

اولاً تؤَلف الجمعية الاساسية التابعة للشرق الاعظم من استاذ اعظم ومعاون اعظم ومجلس شورى

ثانيًا الاستاذ الاعظم لهُ وحدهُ حق الرئاسة عليها

ثالثًا لا يمكن لهذه الجمعية اثبات رأي او القرار على شيء والمصادقة عليهِ بلا مصادقة الاستاذ الاعظم

رابعًا ان الاخوة الذين يلتئمون كل سنة في يوم اثنين العنصرة لينظروا اعمال الجمعية و يروا حسابها و يراجعوا ميزانيتها عليهم ايضًا النظر في ما يتعلق بخير الماسونية والتداول في ما يأمر بهِ الاستاذ الاعظم

هذه هي الشروط التي وضعت للجمعية الاساسية التي خدمت العالم الماسوني خدمات تذكر فتشكر ويقدرها العارفون بها حق قدرها و يجلها الواقفون على كنهها . وفضل انشائها عائد برمتهِ على البرنس مورات الاستاذ الاعظم مؤَسسها

وما زال الاستاذ الاعظم مهتمًّا باجراء ما يعود نفعهُ على الماسونية لا يألو جهدًا في خدمتها خدمة نصوحة حتى ازهرت في ايامهِ واتت بثمار يانعة وعرف فضلهُ كل الاخوة فباتوا يرددون آيات الدعاء ليل نهار لهذا الشهم

الغيور الذي لم تغره الزخارف الدنيوية ولم تلهه اباطيل العالم عن واجباته ولم يثنه عن عزمه كرم عنصره وشرف محتده فانهُ وهو امير خطير من عيون اعيان البلاد الفرنسوية وقف نفسهُ لعمل البر والصلاح ولم يقتدِ بغيره من اصحاب الوجاهة الذين يقضون معظم اوقاتهم بالزهو والخلاعة وبالاجمال كان البرنس قدوة حسنة لبقية الاخوة وكان بناء الهيكل سائرًا على قدم النجاح والاخوة مشمرين عن ساعد الجد والاجتهاد اسوة باستاذهم الاعظم ليرمموا النزل ويجعلوهُ هيكلاً ماسونيا انيقًا

ورأت الماسونية اعمال البرنس المجيدة واقدامهُ وحثهُ جميع الاخوة على الاشتراك معهُ فارادت مكافأتهُ على اعماله بما يستحقهُ من الاجلال والاكرام فاضافت في ٢٩ مارس سنة ١٨٥٣ بندًا الى قانونها الاساسي وهو

ان النزل الذي اشترتهُ الماسونية يعيّن للمحافل الباريسية .ويفرز منهُ محل كافٍ لاستيعاب الزائرين العديدين المتقاطرين اليه من اقطار العالم الاربعة ليروا اعمالهُ المجيدة ويفرز منهُ محل خاص بالاستاذ الاعظم

ولم يمضِ على شراء هذا الهيكل عشر سنوات حتى اصبح ثمنهُ مليونًا ونصفًا من الفرنكات بعد ان كان ٤٥٠ الف فرنك وكل ذلك بسعي الاستاذ الاعظم واقدامه وما ادخلهُ عليه من التحسينات

ولم يقتصر عمل البرنس على ذلك بل كان صارفًا انظارهُ الى الماسونية اين وجدت جاعلاً مبدأهُ قولهُ تعالى احبوا بعضكم بعضًا اذ المحبة اسُّ الخير والصلاح والتقوى وقد احسنت الجمعية الماسونية بجعلها اس قوامها ودستور اعمالها واصل تعاليمها

وكان اسقف ايل موريس اصدر منشورًا حرم به الاخوة التابعين لابرشيته وجعل براعة استهلاله قول السيد المسيح "لم آتِ لالقي سلامًا على الارض بل سيفًا" وملأهُ من الفظائع التي نسبها على جهل الى الماسونية والى الاخوة الذين انسلخوا منها لاسباب شخصية الا اذا اعترفوا امام جمٍّ غفير

يشهدون عليهم انهم ركبوا متن الشطط بميلهم الى الماسونية واعلنوا توبتهم جهارًا مشفوعة بقسم عظيم انهم لن يعودوا لما اتوهُ من الكفر العظيم

ومنع دفن موتى الذين لم يقبلوا ترك هذه الجمعية الشريفة المبنية تعاليمها على اقوال الكتاب الطاهر وحكمهِ السامية فارتأت عائلات هؤلاء الاخوة المنكودي الحظ بايعاز البرنس مورات اقامة صلوات عن انفسهم في كنيسة نوتردام في باريس وذهب الاخ وسكوب امين الصندوق وعرض هذا الامر على الاسقف فقبلهُ بكل سرور

وتعين اليوم العشرون من شهر يوليو سنة ١٨٥٨ لحضور هذه الحفلة ودعا الاستاذ الاعظم لهذه الغاية كثيرًا من الاخوة ليشتركوا في الصلاة عن انفسهم فحضر جميع اخوة الشرق الاعظم ورؤسائهِ ومندوبي الاقاليم وجم غفير من السراة والاعيان

وارسل البرنس مورات بعد تقلدهِ الرئاسة العظمى منشورًا الى كل المحافل يحثها فيهِ على عمل الخير والمبرات ويحضها على المحبة الاخوية التي يجب ان ترتبط كل ماسوني صادق برباط وثيق وقد اظهر البرنس بمنشورهِ هذا عظم همتهِ وشرف محتدهِ وهاك ملخص ما كتب

اما وظيفتنا فمساعدة البائسين وعمل الخير بصرف النظر عما يقول اعداؤُنا وينسبونهُ الينا من الشرور اذ لا نأتي اعمالنا مأجورين ولسنا من الذين تغرهم الزخارف الدنيوية بل همّنا الوحيد ارضاء الخالق جل جلالهُ وسماع شكوى المظلومين ومد يد الرحمة الى المنكوبين اين وُجدوا ومهما اختلفت نزعاتهم فبهذا تأمرنا شرائعنا الشريفة فلا فرق عندنا بين الاديان فلكلٍّ الحق ان يفعل ما يشاء وما علينا سوى مساعدة البائسين ونصرة الضعفاء اذ ان العالم واحد لدى الحق سواء

وكانت الخزينة الماسونية حتى ارتقاء البرنس مورات تملأُ من تبرعات الاخوة الغيورين الذين اذا رأَوا داعيًا تبرعوا بما امكنهم وان لم يروا سببًا

صرفوا النظر ولم يهتموا بهِ حتى كثيرًا ما اوشكت المالية الماسونية ان تختل وتدنو من الافلاس وبلغ دينها في سنة ١٨٥٦ نحو سبعمائة او ثمانمائة الف فرنك وارتقى البرنس مورات الى منصب الرئاسة العظمى فرأى ان يحوّر اعمال اسلافهِ في المسائل المالية لشدة ما كان يعترض تقدم الماسونية من العقبات اذ كيف ترجو التقدم وينقصها العامل الاعظم الذي يجعلها سعيدة رغيدة فبذل جهده ُ لازالة تلك العقبات وكانت الجمعية الاساسية التي انشأها كثيرًا ما تعضده ُ حتى اصبحت في مدة وجيزة في مأمن من غدرات الزمان وامست ولها ثلاثمائة سهم من اسهم الجمعية المدنية ايرادها السنوي الف وخمسمائة فرنك

وكان للاستاذ الاعظم نائب اعظم يساعده ُ في كل اعمالهِ وكان بمثابة يمينهِ فلا يمكنهُ الاستغناء عنهُ بشيء وهو الموسيو ركسس الذي خدم الماسونية خدمة نصوحة يقصر عنها فطاحل الرجال وهو من الذين عضدوا الاستاذ الاعظم في انشائهِ الهيكل الماسوني ولكنهُ قدم الى الاستاذ الاعظم استعفاءه ُ بسبب حوادث عائلية طرأت لهُ وقال انهُ يتنازل عن هذا المنصب السامي لا عن كرهٍ للماسونية ولا جبن في الاعمال وانما دعاه ُ الى ذلك عامل اقوى من ارادتهِ فلا يجد بدًّا من الاستعفاء

وفي ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٩ اصدر الاستاذ الاعظم منشورًا قبل فيهِ استعفاء هذا الاخ الغيور ولكنهُ طلب منهُ ان يبقى في وظيفتهِ ريثما يعين خلفًا لهُ

ولبثت الاحوال سائرة على هذا المنوال والموسيو ركسس يباشر اعمالهُ كوكيل في النيابة العظمى حتى شهر يونيو عام ١٨٦٠ ففي الجلسة التي عقدت في ١١ منهُ التأم الاخوة يرئسهم الموسيو ركسس كنائب اعظم فقرر انهُ لم يبقَ حاجة الى انتخاب خلف لهُ وبما ان المالية الماسونية قد تحسنت تحسنًا بينًا فيمكنهم قبول استعفائهِ بلا عناء اذ لم يعد الاستاذ الاعظم

محتاجاً الى مساعدة احد لهُ وطلب اعطاءهُ تعويضاً عما بذلهُ من الخدم في سبيل اسعاد الماسونية وفقاً للبنود المقررة

فرأى الاخوة ان طلبهُ حق فقرروا اخيرًا اعطاءهُ تسعة آلاف فرنك سنويًا وصادق الاستاذ الاعظم على قرارهم

فقام احد الاخوة الغيورين على مصلحة الجمعية وارسل كتابًا الى الاستاذ الاعظم ابان فيهِ عدم موافقتهِ على هذا القرار وابان العقبات الحائلة دون اتمام هذا الامر واشار على الجمعية ان تعطي الاخ ركسس قدرًا معلومًا يكون بمثابة مكافأة لهُ لا ان يعطى مالاً كل سنة فلم يذعن الاستاذ الاعظم لهذا الراي وفي ١٧ يوليو سنة ١٨٦٠ اصدر امرًا جزم بهِ بتعيين الاخ ركسس نائبهُ الخصوصي ومنحهُ المكافأة المقرر عليها في الجلسة العلنية

ولكن كان كما ارتأى الاخ النصوح فقد احدث هذا التعيين قلاقل واضطرابات جمة اوجبت تعباً للماسونية عموماً وللبرنس مورات استاذها الاعظم خصوصاً وعاد من ثمَّ واسطة لسقوطهِ من منصب الرئاسة العظمى اذ كان اعداء هذا البرنس الالداء مترقبون اول فرصة ليظهروا حنقهم من اعمال البرنس التي حسبوا انها تؤدي بهم الى الخراب فصارت الجرائد تكتب ما شاءت من الفصول الطوال وكلها تخبط خبط عشواء ناسبة الى البرنس مورات ما جلَّ عنهُ قولاً وعملاً. وفي الجلسة التي انعقدت لانتخاب استاذ اعظم قام الاخوة المضادون وجاهروا بعدم قبولهم البرنس مورات استاذًا اعظم ورأت الماسونية انهُ سيمتد هذا الشغب الى ما لا تحمد عقباهُ ان لبثت الحالة على ما هي عليهِ فاصدرت قرارًا اخرت فيهِ زمن الانتخاب الى ٢٤ اكتوبر المقبل

وفي ٢٩ يوليو سنة ١٨٦٠ اعتزل البرنس مورات اعمال الرئاسة العظمى فارسل الشرق الاعظم منشورًا الى الاخوين بوبه وديزانليس ليتقلدا وظيفة نائبي الاستاذ الاعظم وهذه صورة المنشور

الشرق الاعظم الفرنسوي

باريس في ١ اغسطس سنة ١٨٦٠

حضرات الاخوة الاعزاء .·. اعضاء الشرق الفرنسوي الاعظم .·.
سلام وقوة واتحاد .·.

من واجباتنا اعلانكما ايها الاخان العزيزان عن الفخر الذي قلدتكما بهِ الماسونية الفرنسوية الموقرة اذ ارتأت انتخابكما لمنصب وكالة الاستاذ الاعظم زمن اعتزال البرنس مورات استاذنا المكرم عن الاشغال وقدْ ارسلنا لكما طيهُ صورة البراءة السامية القاضية بذلك واقبلا احتراماتي .

نائب الاستاذ الاعظم الخصوصي
الاخ ركسس

وهذه صورة البراءة بما فيها

نحن البرنس لويسين مورات استاذ الماسونية الفرنسوية الاعظم .·.

تحققنا ان كل الاتعاب التي قاسيناها وكل الاعمال التي عملناها هي لخير الماسونية العام فقد اظهرنا لها الخطر العظيم المحدق بها من اعدائنا الالداء الذين يرغبون في اقتيادها الى مهاوي الضلال ليلاشوها وهؤلاء ليسوا اعداءنا فقط بل اعداء العلم اجمع فيرون بملء السرور آذانًا صاغية ووجوهًا طلقة وصدورًا رحبة حتى من بعض الاخوة الذين اشتهر حبهم للماسونية ولكنهم خدعوا بالبهرجات الدنيوية فاصبحت مداخلتنا الشخصية لتأييد السلام تكدرهم كدرًا لا مزيد عليهِ ولما كان جل رغبتنا ان نجعل الماسونية زاهية زاهرة موقرة بكل اعمالها ومبادئها فلا تلبث ضعيفة امام زعازع الاضطهادات الرائعة يلعب بها اعداؤها المحدقون بها كيف شاؤوا ونظرًا لسلطتنا المطلقة

التي أُعطيناها ولما ذكر في البند الثاني والثلاثين من القانون الاساسي امرنا ونامر بما يأتي

المادة الاولى خولنا الاخين المحترمين بوبه وديزانليس مباشرة اشغال الاستاذ الاعظم مع مساعدة الاخ ركسس الكلي الاحترام نائبنا الخصوصي واطلقنا لهم الحرية في عمل ما يرونهُ موافقاً لمصلحة الجمعية والنظر في امورها المالية والادارية حتى تنتهي مدة انتخابنا ويرى الاخوة المحترمون باجماع الآراء خلفاً لنا

المادة الثانية قد ابقينا الحق لنا بمراجعة اعمال المجالس والمحافل الماسونية قاطبة متى اردنا ذلك قبل انتهاء مدة انتخابنا ان رأينا ثمَّ داعياً لذلك

المادة الثالثة على نائبنا الخصوصي تنفيذ المواد المذكورة اعلاهُ

حرر في قصرنا في بوزانفال في ٢٩ يوليو سنة ١٨٦٠

الاستاذ الاعظم لعموم ماسون فرنسا نائب الاستاذ الاعظم الخصوصي

لويسين مورات ركسس

E.·.V.·.

ولم تمضِ ايام قلائل حتى استعفى الاخ ديزانليس من منصبهِ الجديد وارسل كتاباً الى رفيقهِ في الاعمال الاخ بوبه يعلمهُ بذلك

واذ بقي الاخ بوبه وحدهُ في هذا المنصب السامي ولم يرد ان تلقى تبعتهُ العظيمة علي عاتقهِ وحدهُ ذهب لزيارة البرنس مورات الاستاذ الاعظم وعرض عليهِ تأليف لجنة مشكلة من خمسة اعضاء ترى ونقوم مقام الاستاذ الاعظم المستقيل

فقبل البرنس مورات طلبهُ وانشأ جمعية مؤلفة من الاخوة الكلي الاحترام دومه معاون الاستاذ الاعظم وصابنين وهو مترشح اعظم وبوبه ودرا كون وهما حائزان علامة الشرف العظمى وركسس نائب الاستاذ الاعظم الخصوصي

واول عمل انتهُ هذه الجمعية انها ارسلت الى نظارة الداخلية تعلمها باختيارها للوكالة عن الاستاذ الاعظم في اشغالهِ وتطلب المصادقة منها على

ذلك فاتى جوابها بالايجاب ولكن اذ لم تكن ذات دعائم قوية لم يمكنها الثبات طويلاً

ومنذ ذلك الوقت انقلبت آراء اعداء البرنس مورات الذين كانوا قد طلبوا انفصاله وعادوا واياهُ يشنون الغارة لمضادة اعداء هذه الجمعية اذ لم يكن لهم غاية سوى اسعاد الماسونية كواضعها الاعظم

هذا ملخص حياة البرنس مورات استاذ الماسونية الافرنسية الاعظم الذي افتخرت ولم تزل تفتخر بهِ كل المحافل التي عرفت فضلهُ فلا تنساهُ والقصد من نشرها بيان الصعوبات التي يلاقيها المصلحون مهما كانت درجتهم والمقاومات التي يقاومهم بها المعارضون في كل زمان ومكان وتغلُّب الحق على الباطل ولو بعد حين واظهار المآثر الماسونية التي امتاز بها البرنس مورات على كثيرين من امثالهِ

شجاعة الاخ اسطفان جيرارد

لما تفشت الحمّى الصفراء سنة ١٨٧٣ في مدينة فيلادلفيا فرَّ السكان هائمين على وجوههم قاصدين المدن المجاورة تخلصاً من العدوى وفتكت هذه الحمى بالاهالي فتكاً عظيماً حتى خشي سكان الولايات المتحدة امتدادها فضربوا المحاجر الصحية ومنعوا كل قادم من فيلادلفيا الدخول الى مدنهم ما لم يتأكدوا سلامتهُ من شوائب الداء

وبينما كان القسس والرهبان والاطباء وغيرهم يفرون كان الاخ البطل اسطفان جيرارد يهتم بالمرضى في مستشفى بوش هِلْ في فيلادلفيا ويطيب خواطرهم ويعالجهم بكلام انجع من كل دواء حتى نسب اليهِ الناس الجنون لانهُ كان ينام في المستشفى المذكور تشجيعاً للاطباء وتعزية للمصابين ولما كثر عددهم بنى بجوار المستشفى محلاً فسيحاً حتى يتسنى لهُ ان يأوي جميع الملتجئين اليهِ

ولما زالت الحمى تماماً زارهُ بعض اصدقائهِ فرأى في دارهِ ستين يتيماً من الذين قضت الحمَّى على والديهم وهو يعتني بهم غاية الاعتناء فلما رأى صديقهُ هذه الغيرة منهُ على بني الانسان قام من ساعتهِ وباشر جمع المال وبنى في فيلادلفيا بناية عظيمة سماها بناية الايتام ونقل الستين يتيماً اليها ولا تزال هذه البناية الى الآن مشهورة بالاعتناء بالايتام

وليس هذا بغريب على الاخ جيرارد فان من طالع تاريخ حياتهِ الماسونية يقدر هذا الاخ قدرهُ لما اتاهُ من النفع العام لبني البشر

الاشارة الماسونية عنوان الشرف

لما جاء مصر سمو البرنس دي نابلي ولي عهد جلالة ملك ايطاليا كان احد رجال المعية الخديوية في خدمتهِ وبينما هو يشرب الكأس امام سموهِ وبامرهِ اعطي الاشـارة الماسونية فابرقت اسرَّة البرنس وصافحهُ مسلماً عليهِ السلام الماسوني ثم خاطبهُ قائلاً احسب نفسي الآن بين اهلي واعز اصحابي فاشكرك على تعريفك نفسك بي ولما قابل المغفور لهُ توفيق باشا الخديوي السابق الذي كان رئيساً اعظم للماسونية المصرية اوصاهُ وصية مشدَّدة بذلك الاخ الذي كان بالمعية فطلبهُ الخديوي المرحوم وقال لهُ ماذا عملت بصاحبك فانك (حوبته) وقد شدَّد عليَّ الوصية كأن لا همَّ لهُ الاَّ بك فاجابهُ الموظف ليعش افندينا فانني لم افعل شيئاً سوى القيام ببعض واجباتي لخدمة ضيف مولاي ولاجعلهُ مسروراً بزيارتهِ بلاد افندينا فسرَّ توفيق باشا بجوابهِ ووعدهُ بالترقي ثم رقاهُ وظلَّ الموظف موضوع التفات توفيق باشا وقام بواجبات خدمتهِ حق قيام. ولما عاد البرنس دي نابلي الى ايطاليا اهدى لذلك الموظف عدة هدايا ثمينة ونفيسة واخبر جلالة والدهِ الملك همبرت بلطفهِ فانعم عليهِ بنشان الشرف ووصى بهِ ليكون مشمولاً بعناية توفيق باشا وكان كذلك .

ولما توفي الخديوي السابق الى رحمة الله لم تلقَ الماسونية من خلفهِ تعضيداً كما كانت في ايامهِ ولذلك خاف الموظف من عاقبة الامر واقتصر على خدمتهِ عن الاجتماعات الاخوية

الدكتور سليم بك موصلي

رئيس محفـل ومقام اللطائف واحد مؤسسيها

اشتهر هذا الاخ المحترم في القطر المصري وبين الانكليز والاميركان وكان موظفاً في المحافل الانكليزية ومنها لمحفل البلور وهو اول من ترجم القانون الماسوني الانكليزي الى اللغة العربية وطبع على نفقة محفل كوكب الشرق وقد كافأتهُ المحافل الماسونية بوسامات الشرف والاكرام ونال من المغفور لهُ توفيق باشا خديوي مصر السابق عدة نياشين ورتب آخرها رتبة القائمقام العسكري نالها في بداية ولاية الخديوي الحالي عباس باشا حلمي وهو يطبب في الجيش المصري الآن وكل من عرف حسن مبادئهِ ولطفهِ وهمتهِ لا يسعهُ الاَّ ان يشاركنا بالثناء عليهِ

اخبرني رفقاؤهُ عنهُ انهُ لما كان مع الجيش المصري في تجريدة دنقلة بالسودان سنة ١٨٩٦ واصابت الكوليرا (الهواء الاصفر) الجيش كان يشتغل بمعالجة المصابين الليل والنهار حتى بمعونة الله وهمتهِ انقذ حياة كثيرين من الموت واشتغل كثيراً بعد دخول الجيش الى دنقلة حتى اصابهُ مرض كاد يودي بحياتهِ ولكن دعاء الذين احسن اليهم أُجيب من الاعالي فحفظ الله صحتهُ وكان مدة اقامتهِ في السودان يخاطب اخوان محفل اللطائف بالمفيد ولاسيما مؤلف هذا الكتاب ولا يزال الى الآن يطبب مرضى الجيش المصري وافعالهُ المبرورة تجعلهُ قدوة للماسون وغيرهم اكثر الله امثالهُ

فريدريك الثاني الاعظم ملك بروسيا

ترجمتهُ في بداءة عمرهِ وقساوة والدهِ عليهِ وزواجهُ

فريدريك الثاني الكبير ملك بروسيا ابن الملك فريدريك وليم الاول وامهُ البرنسيس دي هانوفر صوفيا دورتي ابنة جورج الاول ملك انكلترا ولد في برلين ٢٤ ينايرسنة ١٧١٢ وتوفي في بوتسدام في ١٧ اغسطس سنة ١٧٨٦ وقضى بداءة عمرهِ في الشدة والضيق لان اباهُ اراد ان يجعلهُ جنديًّا فأَبى لانهُ كان يكره صرامة القوانين العسكرية ويميل الى العلوم والفنون التي غرست مبادئها فيهِ مدام روكول المهذّبة الفرنسوية وقد قوَّى تلك المبادئ فيهِ استاذهُ الفرنسوي الموسيو دي هان فانهُ جعلهُ يميل بكليتهِ الى الفصاحة الفرنسوية وساعدتهُ امهُ على الميل الى تلك اللغة لكنَّ اباهُ الملك وليم كان يكره منهُ ذلك ويتأفف عند رؤْيتهِ اياهُ مغرمًا بدرس الفرنسوية وكان يقول ما هذا الاَّ فرنسوي صغير يتقلد عادات فرنسا بغير تروٍ ولا ادراك وسيحبط اعمالي ويخسّرني في مستقبلهِ نتيجة تعبي السنين الطويلة . ولم يكن فريدريك يعمل ما يقرّب اليهِ قلب ابيهِ بل كان يجاهر بتفضيلهِ امهُ عليهِ وكان يكره الملابس العسكرية ويميل الى الازياء الفرنسوية والزخرفة الباطلة ولكنهُ ما لبث ان ابطلها كلها

وكان فريدريك وليم خشن الطبع يغلب عليهِ الغضب فيضرب اهل بيتهِ بعكازهِ ويعاملهم اسوأَ معاملة ولم يكن محبًّا للعلم والعلماء بل كان يميل لاستخدام طويلي القامة في حرسهِ الملوكي واشتهر بولعهِ بشرب الدخان فكثر المدخنون في مملكتهِ وكان وزراؤُهُ وكبار رجال بلاطهِ حينما يجتمعون في قاعة المجلس المزخرفة يدخّنون كلٌ واحدٍ بغليونهِ (شبقهِ) ويقضون اعمالهم بمجلسٍ يكتنفهُ الدخان حتى أُطلق على هذا المجلس اسم "مدرسة شرب الدخان" وكانت الضرائب ثقيلة على اهل المملكة فتذمروا من حالتهم السيئة.

اما البرنس فريدريك فكان على عكس ابيهِ واشتهر بلطفهِ وآدابهِ وكرم اخلاقهِ وحبهِ للعلم والعلماء وتعضيد اصحاب الفنون المتنوّعة فمال اليهِ الناس كل الميل

وحدثت اسباب سياسية زادت النفور بين الملك وولدهِ فريدريك فكانت صوفيا دوروتي تميل الى تزويج ابنها فريدريك باحدى بنات جورج الثاني ملك انكلترا وابوهُ يخالفها في ذلك . ومال وليم الى ثاني اولادهِ فاراد ان يُلزِم فريدريك بالتنازل عن حقوقهِ في وراثة الملك ولكنهُ لقي منهُ معارضة قوية وميلاً شديدًا الى الثبات على آرائهِ وقال لهُ ذات يوم علناً « اشهر امري واذكر اني ابن سفاح وانا اتنازل لاخي عن طيب خاطر »

وكانت احقاد فريدريك وليم على ولدهِ تزيدهُ صرامةً وقسوةً كما يظهر من كتابٍ كتبهُ الى امهِ صوفيا دوروتي يقول فيهِ

« يأسٌ عظيمٌ تولى عليَّ لخرتُ في اعمالي وضقتُ ذرعًا وقد نسي ابي الملك اني ابنهُ فيعاملني كاحقر العبيد وقد دخلت هذا الصباح غرفتهُ وليتني لم ادخل فانهُ حالما وقع نظرهُ عليَّ شتمني شتماً شديدًا واخذ عصاهُ وضربني ضربًا مبرحًا بقساوةٍ وحشية وعبثاً حاولتُ ارجاعهُ عن غيهِ بتضرعاتي وتوسلاتي فلم ينفك عن ضربي حتى تعب فتركني اتعثَّر باذيالي »

واراد وليم مرةً ان يخنقهُ بيدهِ فلم يفلح فاغتنم فريدريك الفرصة ليهرب ولجأ الى خالهِ الملك جورج الثاني واطلع شقيقتهُ فريدريكا واثنين من اصدقائهِ على نيتهِ وهما الكولونيل كات وكيت فقرَّ رأيهم ان يهرب من ونسيل حيث كان مزمعاً ان يرافق اباهُ الملك فافشى الكولونيل كات السر الى الملك فلما عزم فريدريك على الهرب قبضوا عليهِ واخذوهُ اولاً الى ميتينوالد في براندبورج ثم الى قلعة كسترين وحجزوهُ هناك وعاملوهُ معاملة صارمة وكان عمرهُ ثماني عشرة سنة . اما كيت فهرب من بروسيا ملتجئًا الى عواصم اوربا (ولم يعد الى بلادهِ الاَّ بعد تولي فريدريك الملك ولم يلقَ منهُ اقل اكرام) واما كات

الذي افشى سر فريدريك فاتى بهِ الملك وليم امام ابنهِ وقطع رأسهُ ارهابًا لفريدريك ليعلم قسوة ابيهِ عند الاقتضاء فاحتمل فريدريك ذلك بسكينة حتى نسب لهُ بعضهم عدم الاكتراث لاصدقائهِ ولو خانوا عهدهُ

واراد وليم ان يفعل بولدهِ كما فعل بكات فعقد مجلس وحكم عليهِ بالاعدام ولكن الكونت سيكندورف تداخل في الامر وقال لهُ ان ذلك العمل الظالم لا يجوز فأذعن وليم لكلام وزيرهِ سياسةً وعفا عن فريدريك واطلق لهُ بعض الحرية ولم يسمح لهُ بدخول البلاط الملوكي الاَّ عند زواج اختهِ فريدريكا سنة ١٧٣٣

واضطرَّ وليم ابنهُ فريدريك ان يتزوج بابنة عمتهِ اليصابات كريستين دي برونسفيك ولكنهُ لم يقترن بها الاَّ رغمًا عنهُ فدخل غرفتها اول ليلة زواجهِ وخرج منها حالاً ولم يعد اليها قط ولم يقابلها الاَّ نادرًا في كل سنة مرة وذلك في الزيارات الرسمية

واعطي وليم ابنهُ فريدريك كونتية روبين وكنتهُ قصر شونهاسين . وانزوى فريدريك في كونتيتهِ سنة ١٧٣٤ وجمع حولهُ جمهورًا كبيرًا من اهل العلم والادب

كيف صار فريدريك ماسونيًا

وسنة ١٧٣٨ ذهب البرنس فريدريك مع ابيهِ الملك لزيارة امير اورنج وفيما هو على المائدة ومعهُ الكونت فون درلب بوكسبرغ وغيرهُ ذُكِرَت امامهُ الماسونية اثناء الحديث بطريق العَرَض فاظهر عدم الاستحسان لها لانهُ كان يسمع من الرهبان طعنًا فيها ولكنَّ الكونت فون درلب بوكسبرغ افاض في الحديث واطنب في مديح الجمعية وحسن مبادئها وفضائلها وما زال يتكلم حتى خلب العقول ببلاغتهِ وبيان مزية الماسونية على سواها من الجمعيات واثَّر كلامهُ في البرنس فريدريك اعظم تأثير فذاكرهُ بعد ذلك مرارًا في امرها وطلب اليهِ ان ينتظم في سلكها فحذَّرهُ الكونت من العاقبة وغضب ابيهِ الملك فلم

يبالِ البرنس بكل الصعوبات ولما عاد الى وطنهِ طلب ان يدخل الماسونية سرًّا ومتى زالت الموانع التي امامهُ يجاهر بمبدإِهِ . ولما رأى الكونت ان رغبة البرنس تزيد في طلب الانضمام الى الماسونية سألهُ ان يعيّن وقتاً مناسباً لتكريسهِ فاختار ان يكون في منتصف الليل بين ١٤ و١٥ اغسطس سنة ١٧٣٨ في فندق دوكورن بمدينة برونسفيك . ويقال انهُ كان بجانب الغرفة التي أُعدّت لتكريس البرنس غرفة اخرى وبينهما باب من خشب ومستأجر تلك الغرفة رجل شريف وكلُّ ما يقال في الواحدة يسمع في الاخرى . فلما لحظ الكونت ذلك تشاور مع الاخوة الذين أُحضروا لمساعدتهِ على التكريس فعلموا ان الشريف يحب المسكر ومتى سكر لا يعود يعي شيئًا فزارهُ الواحد بعد الآخر ولما سكر نام نوماً ثقيلاً فأَمنوا شرَّ اكتشاف اسرارهم . قالت الانسكلوبيذيا الملكية الماسونية الانكليزية وكان في همبرغ ثلاثة من الاخوان المعروفين المنتمين الى المحفل الماسوني المؤسس سنة ١٧٣٧ الذي دُعي سنة ١٧٤١ محفل ابشالوم وكان البارون فون اوبرغ رئيس المحفل وفون بيلفيلد السكرتير والبارون فون لون وبعض الاخوان من هانوفر وهم الاعيان فون كيلمنسك وألبدِل والبرت ولُف كنك فون درلب بوكسبرغ هؤُلاء كانوا انضموا الى الماسونية في انكلترا ولما ذُكِرَت على المائدة في قصر لو بهولندا امام ملك هولندا والبرنس فريدريك دافعوا عنها ايضاً مع الكونت فون درلب بوكسبرغ كما تقدَّم . وحضر الشريف فون والتر سلبز وهو من الضباط البروسيين ومن اصدقاء ولي العهد البرنس فريدريك وانضم الى الماسونية مع فريدريك في تلك الليلة

وابتدأَ التكريس من نصف الليل في ١٤ اغسطس سنة ١٧٣٨ وانتهى الساعة الرابعة بعد نصف الليل من صباح ١٥ اغسطس وأُعطي البرنس وصديقهُ الدرجات الثلاث الرمزية في ذلك الحين وهنأَهُ الاخوان الحاضرون وقيل ان البارون فون اوبرغ كان الرئيس وفون بيلفيلد الخطيب .

وورد في المندبوك ان بيلفيلد قال في احدى تحاريرهِ اننا لا ننوي ان نقيم كثيرًا في برونسفيك لان فيها ملكًا اذا عرف اننا قبلنا ابنهُ في عشيرتنا نخشى ان يعاملنا معاملة لا تليق بنا

وتوفي الملك وليم فريدريك الاول في ٣٠ مايو سنة ١٧٤٠ تاركًا لابنهِ فريدريك ملكًا منظمًا غنيًا بالمال والرجال فكان تحت امرهِ ثمانين الف جندي مستعدين للكفاح . وتولى فريدريك المُلك باسم فريدريك الثاني ملك بروسيا حال وفاة ابيهِ فسرَّ الشعب ايَّ سرور ولاسيما ابناء العشيرة الماسونية

وفي ٢٠ يونيو سنة ١٧٤٠ جلس فريدريك على كرسي الرئاسة العظمى في المحفل الاكبر باجماع آراء الاخوان واسَّس محفلاً في شارلتنبرغ رأسهُ بنفسهِ وكان يحضر كل اجتماعاتهِ ويشتغل بوظيفة استاذ اعظم وكان بيلفيلد وجوردن من ارباب الوظائف في المحفل واخوا الملك البرنس وليم والبرنس شارل ودوق هولشتين وفون بك وغيرهم من الاعيان اعضاء في ذلك المحفل وارتفع قدر الماسونية وعظم شأنها في مملكة بروسيا كلها عند مجاهرة الملك بحمايتها وتولي رئاستها

واحبَّ فريدريك ان يجعل بلادهُ في مقدمة الممالك قوة وغنى. فذهب لتفقد شؤون كونتية كليف التي كانت تابعةً لبروسيا في البلجيك وانتهز تلك الفرصة لمشاهدة ڤولتير الفيلسوف الفرنسوي المشهور فانهُ اتى للسلام على الملك في قصر مور سورموز ومن هناك ذهب لزيارة ستراسبورج التي كان حاكمها المارشال دي بروكلي فقابلهُ مقابلة تليق بمقامهِ الملوكي فسرَّ فريدريك بكل ما رأى وكتب الى الاخ جوردن الماسوني كتابًا لطيفًا ذكر فيهِ زيارتهُ وما لقي من الحفاوة الى ان قال " رأيتُ في سفري هذا شيئين لا انساهما ما حييتُ — ڤولتير والجنود الفرنسوية المنظمة — "

وتوفي الملك شارل السادس في ٢٠ اغسطس سنة ١٧٤٠ تاركًا لابنتهِ ماريا تريزا ارثًا عظيمًا كان يزاحمها عليهِ امراء بافاريا وساكس وملك

اسبانيا وغيرهم وكان فريدريك قد تعهد لشارل ان يعضد ابنته ماريا تريزا ورأى من مصلحة مملكته ان يطلب منها مقاطعة سيليزيا السفلي ليساعدها في عملها ويعينها على اعدائها فأبت ذلك والتجأت الى انكلترا وجرى حينئذٍ ما حمل فريدريك ان يشهر الحرب عليها في تلك السنة

وفي ١٣ سبتمبر سنة ١٧٤٠ اسس فريدريك المحفل الاكبر الماسوني وسماه العوالم الثلاثة فنجح نجاحاً عظيماً

كلام عن الماسونية قبل دخول فريدريك فيها وبعد دخوله واقوال الناس فيها

وقبل الاسترسال في الكلام عما فعله فريدريك في الماسونية نذكر طرفاً من اخبارها لتنجلي للقارىء بعض امور يظهر منها فضل فريدريك والذي رقاه اليها

كان بعض سراة الجرمانيين قد انتظموا في المحافل الماسونية بانكلترا سراً ولم يستطيعوا ان يجاهروا بها بعض المجاهرة الا عند جلوس ملك هانوفر الجرماني على سرير انكلترا فزادت العلائق التجارية والسياسية بين البلادين. وفي سنة ١٧٣٠ كان الماسون في شمال جرمانيا وغربها يجتمعون اجتماعات غير منظمة ويقتصرون في اجتماعاتهم على تلاوة كتاب القانون الماسوني وتبادل الشعائر الحبية الاخوية والمذاكرات في التعاليم الماسونية

وسنة ١٧٣٣ منح اللورد سترازمور الاستاذ الاعظم في انكلترا براءة لاحد عشر اخاً جرمانياً بتأسيس محفل قانوني في همبرغ ولم يعد يُعلَم عن امرهِ شيء الى سنة ١٧٣٧ حين ظهر اول محفل قانوني منظم رأسه الاخ لوتمان سنة ١٧٤٠ وسمي استاذاً اقليمياً لجرمانيا ودُعي هذا المحفل سنة ١٧٤١ محفل ابشالوم واعضاؤه هم الذين كرّسوا فريدريك في فندق دوكورون كما تقدم

وفي هذه السنة نشأ محفل سكسونيا الاقليمي. وأُسست محافل ماسونية في درسدن سنة ١٧٣٥ ومنها انشئ محفل "مينرفا الثلاث نخلات" سنة ١٧٤١ في ليبسك

وأطلق فريدريك حرية المذاهب في بلادهِ وعمم فن الطباعة وامر بنشر العلوم والمعارف واحياء الصناعة والزراعة وترقية الهيئة الاجتماعية ورأى ان الماسونية اهم ما يعوَّل عليها لنشر الفضيلة والتمدن وغرس المبادىء الصالحة في كل مملكتهِ فواظب على اجتماعاتها وهي حققت آمالهُ

ودخل امير بيروث في محفل العوالم الثلاثة الذي أسَّسهُ فريدريك في برلين سنة ١٧٤٠ ولما عاد الى بلدهِ أسَّس محفلاً سنة ١٧٤١ دعاهُ محفل الشمس . وسنة ١٧٤٢ أُسس محفل "الاتحاد" في فرانكفورت وكان يمنح البراءات للطالبين بغير نظام فلم تنجح المحافل التي أُنشئت عن يدهِ

اما المحافل الجرمانية فكانت لغتها الفرنسوية لان تلك اللغة كانت لغة الطبقة العليا من الناس ولم تشتغل الاَّ بالدرجات الثلاث الرمزية تابعةً قانون المحفل الاكبر الانكليزي ثم حوَّرت بعد ذلك في قوانينها وتبع بعضها طريقة بريشارد الذي كان يقول انهُ لايحسب احدًا ماسونيا الاَّ الاستاذ. وكانت المحافل منفصلة بعضها عن بعض مستقلة في امورها ولذلك تفاوت احدها عن الآخر

وكان محفل نومبرغ يفرض على كل واحد من اعضائهِ القاء خطبة علمية على الاقل كل سنة بينما كان الاخوة يجتمعون اسبوعيًّا في برونسفيك ويقدمون خطبًا علمية في مواضيع مختلفة وكان لا ينتظم فيهم الاَّ الاغنياء

وانتشرت الدرجات العليا في فرنسا فنُقلت الى بروسيا واتت ببعض الضرر

وتشبه محفل العوالم الثلاثة بالمحفل الاكبر الانكليزي في امور ماليتهِ ووافقهُ محفل فرانكفورت وهمبورغ

وتأسس محفل الاتحاد في برلين سنة ١٧٤٢ على الطريقة الاسكتلندية وكان مؤسسوهُ من محفل العوالم الثلاثة

وسنة ١٧٤٤ اسس الكونت سيخيمتو محفلاً في همبورغ وهكذا اخذت الماسونية في الانتشار وازداد عدد محافلها في جرمانيا كلها

اما اقاويل الناس عن الماسونية فكثيرة في ذلك الزمن والبهرجة التي كانت في البلاد الجرمانية أُخذت عن الفرنسويين وقد دخلت مع لغتهم اليها وكانت الماسونية في دور طفوليتها في البلاد ولولا فريدريك وانتصارهُ لها لاضنتها التعصبات الدينية ولاشتها الجهالة البشرية واوجس الكاثوليك منها خيفةً لانها اتت من انكلترا البروتستانية والبروتستانت توهموا انها عدوة النصرانية والدين على الاطلاق وان اصحابها من الماديين فصار كلا الفريقين يتقوَّل فيها الاقاويل المختلفة واصبح العامة يلفقون الخرافات عنها فنسبوا اليها السحر والعرافة وعمل الخوارق ولاسيما مع اعضائها عند تكريسهم كي لا يفشوا اسرارها والسبب في ذلك كلهِ ستر الماسونية وتحجبها لانهُ لما رأى الناس انها تبالغ في كتمان اعمالها وتعاليمها قالوا لو لم يكن هناك مقاصد سيئة تستدعي الاخفاء لما اخفتها وعلى هذا المنوال بنوا اعتقادهم حتى اذا حذَّرت اعضاءها من المباحث الدينية حكموا انها لا تبالي بالدين واذا عمدوا الى امر ناقضوهم فيهِ وهذا شأن الماسونية والعالم في بداية انتشارها في كل الممالك . على انهُ قام في كل مملكة وفي كل بلاد اناس من الافاضل لم ترهبهم اقاويل العامة وجهالة الجهلاء وجاهروا بعظيم اهميتها ونفعها للجنس البشري كلهِ

حروب فريدريك

وافتتح فريدريك مدينة بريسلو بغتةً بعد ان شهر الحرب على ماريا تريزا كما تقدم وذلك في شهر ديسمبر سنة ١٧٤٠ وكان قوادهُ يتقدمون الى الامام ويفتحون ما امامهم من الحصون وحاصر القلاع فلم يتمكن من افتتاحها مدة الشتاء كلها وعاد فاتاها بتسعة واربعين الف راجل وثلاثة عشر الف فارس ووجه الرقباء نحو هانوفر لملاحظة اعمال الملك جورج

وارسلت النمسا المارشال دنيبرج لمحاربة البروسيين فتقدم في مورافيا حتى بريسلو ليقطع على اعدائهِ خط الرجعة فدرى بهِ فريدريك والتحم معهُ بقرب موليفتز في ١٠ ابريل سنة ١٧٤١ وهاجم النمسويين بغتةً ولكن

جناح عسكرهِ الايمن لم يقوَ على النمسويين فتأخر رويدًا رويدًا وهرب مطلقًا لجوادهِ العنان ولكن ثلاث فرق من رجالة البروسيين اوقفوا الاعداء عن التقدم بينما كان الجنرال شوبرين قائد الجناح الايسر يحارب النمسويين بشدة حتى قهرهم واضطرهم للتأخر فتقهقروا

وكان لمعركة موليفتز تأثير عظيم في فرنسا فعقدت صلحًا مع فريدريك. وفي ٥ يوليو سنة ١٧٤١ عقدت معاهدة بين فرنسا وبروسيا اجتهدت النمسا بفسخها واعطاء فريدريك مقاطعة سيليزيا التي طلبها اولاً فانخدع فريدريك بذلك

وفي ٩ اكتوبر سنة ١٧٤١ جهزت النمسا جنودها للحرب واعلنت السكسونيين والبافاريين بما خدعت بهِ فريدريك فحنق من عملها واتخذهُ حجة لان يشهر الحرب عليها فحاصر مورافيا وارسل طلائع جيشهِ الى فينا ولكن اشياعهُ خانوهُ فرجع الى بوهيميا حيث ادركهُ شارل دي لورين بثلاثين الف عسكري وحاربهُ قرب سازلو في ١٧ مايو سنة ١٧٤٢

وانتصر البروسيون على النمسويين فخسروا سبعة آلاف جندي واضطرت ماريا تريزا الى اعطاء مقاطعة سيليزيا لفريدريك وأُمضيت معاهدة بذلك في برلين بضمانة انكلترا في ٢٨ يوليو سنة ١٧٤٢

واهتم فريدريك بداخلية بلادهِ واتخذ الماسونية عضدًا لاعمالهِ فانتشرت انتشارًا عظيمًا وجعل محفل العوالم الثلاثة محفلاً اعظم سنة ١٧٤٤ تحت رئاستهِ فنما وازهر

وكانت انكلترا وهولندا والسافوى تعضد ماريا تريزا فشهرت الحرب واخذت من فرنسا واميرِ بافاريا كل املاكهم التي كانت في المانيا واستعدت جيوشها للهجوم على الالزاس وامتلاكها عنوةً ورأى فريدريك ذلك فراعهُ وعقد معاهدة فرانكفورت مع فرنسا في ٢٢ مايو سنة ١٧٤٢ وبعد شهرين شهر الحرب على النمسا بدعوى انها تجحف بحقوق الولايات الالمانية فجهز سبعين الف عسكري قسمهم الى ثلاث فرق وارسلهم لمحاصرة بوهيميا فالتقوا

بالاعداء في براغ في ٢ سبتمبر سنة ١٧٤٢ وسلمت هذه المدينة بعد دفاع شديد والتزم البرنس شارل دي لورين الذي تقدم نحو الالزاس ان يتركها ويعود الى بوهيميا . ورأى فريدريك نفسهُ محاطًا بثمانين الف عسكري وان محالفيهِ تركوهُ فاضطرَّ ان يرجع القهقرى بالفشل وكان يلقى من الاهالي كل مقاومة وحنق فقال في هذا المعنى محاكمًا نفسهُ "اما من جهة هذه الحرب فلم يرتكب احد من القواد الخطاء الذي اتيتهُ"

فعزم ان يتلافى الامر ويسد الخلل ولكن وفاة شارل السابع في ١٨ يناير سنة ١٧٤٥ وانكسار البافاريين اضطر امير بافاريا الشاب مكسيمليان جوزف للصلح مع ماريا تريزا فحال ذلك دون مرغوب فريدريك وأُلغيت معاهدة فرانكفورت

واجتمعت انكلترا والنمسا وهولندا والساكس وامضت معاهدة في فارسوفيا في ٨ يناير سنة ١٧٤٥ واشترطت مملكة الساكس ان تقدم في الحرب عساكرها لمساعدة النمسا ورأى فريدريك نفسهُ محصورًا من كل الجهات فعزم على طلب مساعدة فرنسا مساعدة حقيقة . واتى ثمانون الف عسكري نمسوي وسكسوني وحاصروا سيليزيا العليا واتى فريدريك بخمسين الف عسكري واجتهد في اخفاء سير عساكرهِ عن الاعداء . وفي ٤ يونيو سنة ١٧٤٥ ادركهم قرب فريدبرج وبعد مسير ليلة بغاية التيقظ والاحتراز فاجأ الاعداء عند الصباح فخسر النمسويون ستة عشر الف رجل وستين مدفعًا واثنتين وسبعين راية . وسار فريدريك من هناك الى بوهيميا ليحمي حصونهُ فادركهُ هناك البرنس شارل دي لورين في ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٤٥ وكان يظن ان فريدريك جاهلٌ امر مسيرهِ فلم يوجه اهتمامهُ الاَّ ليضرب مؤخرة الجيش البروسياني وكان فريدريك قد علم امرهُ فخرج للقائهِ الى ان قاربهُ وارتدَّ عليهِ بكل قواتهِ وبعد حرب دامت ذلك النهار بطولهِ اضطرت الجنود النمسوية الى التقهقر

وبعد عدة مواقع ابطل حيل البرنس شارل دي لورين فيها وكسرهُ هو وقومهُ كتب الى جنرالهِ البرنس دانهالت قائلاً جعلتُ ضربتي في لوساز فاجعل ضربتك في ليبسك لنلتقي في درسدن فاجابهُ البرنس دانهالت انهُ ظفر على السكسونيين في ١٥ ديسمبر . ودخل فريدريك بروسيا بعد ثلاثة ايام من دخول قائدهِ مدينة درسدن . وفي ٢٥ دسمبر عقدت شروط الصلح واعطيت سيليزيا وكونتية كلاتز لفريدريك وهكذا انتهت حرب سيليزيا الثانية . وفي تلك الاثناء وجه فريدريك جل اهتمامهِ اثناء استراحتهِ من الحروب الى خير بلادهِ واسعادها فازدادت واردات البلاد وانتشرت العلوم والمعارف فيها وزاد عدد المحافل الماسونية في كل انحاء المملكة وكانت من اهم الخيرات للمملكة

تنازل فريدريك عن الرئاسة العظمى الماسونية وكلام نبوليون عنهُ

وسنة ١٧٤٧ رأى الملك ان الحروب والقلاقل ستمنعهُ عن مداومة الاجتماعات الماسونية وخشي ان تتأخر المحافل بسبب ذلك فجعل دوق هولشتين نائبهُ استاذاً اعظم عمليًّا مكانهُ يستمد منهُ الارشادات اللازمة لخير العشيرة

وكان قد اغدق انعامهُ على ڤولتير واتى بهِ الى بلاطهِ الملوكي سنة ١٧٥٠ واكرمهُ كل الاكرام ثم وقع بينهما نزاع فتركهُ ڤولتير وعاد الى بلادهِ

وسنة ١٧٥٥ تزلفت النمسا الى فرنسا وانضم كل اعداء بروسيا بجيوشهم الجرارة وحاربوا فريدريك حروبًا هائلة وهي المعروفة بحرب السبع سنين وكان النصر لفريدريك فيها وعقد الصلح اخيرًا في ٢٠ فبراير سنة ١٧٦٣ فنجتزئُ عن شرحها بالالماع الى ذكرها

قال نبوليون بونابارت الاول اثر معركة لوتين العظيمة "ان ما عملهُ فريدريك يُعَدُّ عملاً مجيدًا خلَّد لهُ ذكرًا لاتمحوهُ كرور الايام والليالي"

وقد انتقد نبوليون حروب فريدريك فقال

" اولاً انهُ لم يستفد من النصر المجيد الذي احرزهُ سنة ١٧٥٦ كما ينبغي

ثانياً انهُ لم يضرب الضربات الهائلة في ربيع الخمس سنوات التي كان الروس فيها مبتعدين عن مواقف القتال

ثالثاً انهُ ارتكب غلطات نتجت عنها مصائب هوهنكريش وماكسنن ولاندسهوت

رابعاً انهُ لم يحسن حصار بوهيميا ومورافيا "

وختم نبوليون هذا الانتقاد بقولهِ "ولكن كل هذه الهفوات قد ازالتها شمس عظمتهِ وانتصاراتهِ المجيدة "

ولم تنتهِ اتعاب فريدريك وحروبهُ في كل حياتهِ . والغريب في امرهِ انهُ كان مع كثرة شواغلهِ السياسية يهتم اهتماماً عظيماً بالماسونية ويجاهر بحمايتها رسمياً

كلام فريدريك عن الماسونيّة

قالت الانسكلوبيذيا الملكية الانكليزية انهُ قال سنة ١٧٧٤ " اكون دائماً مسروراً بمعاونة غيري على الحماية العظيمة طلباً للغرض الاسمى في الماسونية الحقيقية التي غايتها جعل الناس اكثر ايناساً وفضيلةً وحباً لعمل الخير "

وسنة ١٧٧٧ قال في تحريرٍ الى ديلا كويز رئيس محفل دولا يواريورك في برلين جواباً على كتاب تهنئةٍ لهُ يوم عيد ميلادهِ

" ان الجمعية التي لاتسعى الاَّ الى احياء بزور انواع الفضائل كلها وجنى ثمارها في بلادي يمكنها ان تعتمد على حمايتي دائماً "

وعند ما انتخب ابن اخيهِ البرنس فريدريك اوف برونسفيك استاذاً اعظم للمحفل الاول الاهلي في برلين سنة ١٧٧٧ خاطبهُ الملك فريدريك قائلاً " لا يمكنني الاَّ ان امدح الروح الذي يحرّك كل الاعضاء ليكونوا رعية امينة محبة للوطن "

وورد في امر صادر من الوزارة في ٧ فبراير سنة ١٧٧٨ ما نصهُ

" جلالة الملك يؤكد دائمًا انهُ يسرُّ بسعادة الجمعية الماسونية ونجاحها لان فخرها الاول مثل فخر جلالتهِ وهو التعميم الدائم الذي لا يمل منهُ — تعميم الفضائل التي يجب ان يتصف بها الرجل المستقيم والمحب لوطنهِ حبًّا حقيقيا "

وينسب الى فريدريك الذي لقب بالاعظم لعظمة اعمالهِ اقوال كثيرة عن الماسونية ولهُ نوادر كثيرة دونتها التواريخ والكتب المتفرقة في مواضيع مختلفة وقد نقلنا عن كتابنا السمير في السفر والانيس في الحضر المطبوع في مطبعتنا بمصر النوادر الآتية

نوادر عن فريدريك

بنى فريدريك قصرًا في جنينة سان سي بقرب مدينة بوتسدام وكان بالقرب منهُ مطحنة هوائية لرجلٍ من سوقة المدينة وكانت الرياح تسفي غبارها على شبابيك القصر فتؤذي سكانهُ والمفارش المبسوطة هناك فطلب فريدريك ان يشتريها من صاحبها وبذل لهُ اكثر مما يساوي ثمنها من المال فأبى بيعها فراسلهُ مرارًا وهو يمتنع فغضب الملك واستحضرهُ اليهِ وتهددهُ قائلاً ان لم تبعها طوعًا اخذتها كرهًا . فقال الرجل ايها الملك العظيم لولا عدالة الشريعة في مملكتنا لكنت أقدر الناس على ذلك فسرَّ الملك بجوابهِ وترك لهُ الطاحون وانعم عليهِ بالثمن الذي عرضهُ عليهِ . وبعد وفاة الملك والرجل بقيت المطحنة في يد بنيهِ زمانًا حتى اضطرَّهم الفقر الى بيعها فاشتراها الملك الحاكم حينئذٍ بثمن عظيم وحفظها تذكارًا لعدالة فريدريك

نادرة

في جنينة سان سي بقرب مدينة بوتسدام قصر عظيم بناهُ فريدريك سنة ١٧٤٤ لسكنهِ وافرز فيهِ حجرتين لفولتير الشهير احداها للمنام والثانية للكتب وكان عند ما يغيب فولتير يصوّر لهُ الملك صورًا مختلفة ويلصقها على مكتبتهِ من ذلك صورة بجعة اشارةً الى ان فولتير كثير الاسفار

كالبجع . وأُخرى صورة قرد لانهُ كان قبيح المنظر كالقرد وأُخرى صورة بومة لانهُ كان كثير الصياح كالبوم . وربما كان لهذه الصور تأْثير في عداوة فولتير لفريدريك فيما بعد

نادرة

وقيل ان فريدريك امتطى جوادهُ يوماً وخرج للتنزه فرأَى فلاَّحاً يحرث الارض وهو مسرور كل السرور بعملهِ يترنم مبتهجاً ويحرث مجتهداً فوقف الملك وقال " ايها الشيخ اراك مسروراً باذل الجهد في العمل فهل هذه الارض التي تتعب فيها كل هذا التعب لك " . فقال الفلاَّح ولم يعلم ان الذي كان يخاطبهُ الملك " لا يا مولاي انما اعمل بالاجرة فلستُ من الفلاحين الاغنياء " . قال " وكم لك من الاجرة على هذا العمل " . قال " خمسة غروش كل يوم " . قال الملك " تلك اجرة قليلة فهل تكفيك ايها الشيخ المسكين " قال " نعم تكفيني وتزيد على ما احتاج اليهِ " . قال " كيف تكفيك وتزيد " . قال الفلاح وهو يتبسم " انفق منها غرشاً وربعاً عليَّ وعلى امرأَتي وادفع منها غرشاً وربعاً ايفاءً لبعض دين قديم عليَّ واقرض منها غرشاً وانفق منها غرشاً وربعاً في سبيل الله " قال الملك " ذلك سرٌّ لا يمكنني الاطلاع عليهِ " . قال الفلاح انا ابينهُ لك " وهو ان لي في البيت شريكين شيخين كانا يعتنيان بي حين كنت صغيراً وضعيفاً ومحتاجاً وهما الآن شيخان ضعيفان فابتهج بان اعتني بهما ايفاءً للدين الذي لهما عليَّ فأُوفيهما كل يوم غرشاً وربعاً نفقةً عليهما وانفق غرشاً وربعاً على اولادٍ لي في المدرسة وهذا هو القرض الذي اقرضهُ لانهم متى كبروا وعاشوا الى ان اعجز انا ووالدتهم عن العمل يوفونا ذلك الدين بعنايتهم بنا . وانفق غرشاً وربعاً على اختين لي لا تقدران على العمل وهذا ما انفقهُ في سبيل الله فالباقي من اجرتي وهو غرش وربع انفقهُ عليَّ وعلى امرأَتي . ولا ريب في ان ما انفقهُ على اختيَّ انما انفقهُ في سبيل الله لانهما محتاجتان ولا سبيل لهما الى التوصل الى ما

تحتاجان اليهِ". فقال الملك " احسنت ايها الرجل فاصغِ اليَّ الآن فاني اريد ان احاجيك فهل رأيتني قط". قال"لا". قال الملك "انك ستراني في خمس دقائق خمسين مرَّة وتحمل في هميانك خمسين صورة من صوري" قال الفلاح مدهوشاً"تلك احجية لا استطيع حلها". قال الملك" انا احلها لك" ومدَّ يدهُ واعطاهُ خمسين ليرة كان على كلٍّ منها صورة الملك وقال لهُ هذه النقود ليرات جاءت من عند ربي وانا خادمهُ امرني ان اعطيك اياها فاشيعك بالسلامة (اي خاطرك) قال هذا وانصرف وترك الفلاَّح مبتهجاً كل الابتهاج

نادرة

وقيل ان فريدريك قرع الجرس في بعض الليالي ليحضر خادمهُ حسب عادتهِ فلم يحضر احدٌ فنهض مسرعاً وفتح باب المخدع فوجد الخادم راقداً فتقدم لينبههُ ولما اقترب منهُ وجد في جيبهِ رقعةً بارزةً فتناولها بيدهِ وقرأ ما فيها واذا هي رسالةٌ واردة للخادم من امهِ تمدحهُ وتباركهُ لاجل الدراهم التي ارسلها لها من اجرتهِ لمساعدتها وفي آخر كلامها تطلب لهُ من الله التوفيق والبركة وان يعوّض عليهِ اضعاف ما يعطيها . فلما وقف الملك على هذا الكلام ذرفت عيناهُ بالدموع ودخل الى مخدعهِ وتناول قبضةً من الدنانير ووضعها في صرَّةٍ وجاء الى الغلام والقاها في جيبهِ حيث كان تحرير والدتهِ ثم رجع الى مكانهِ ودق الجرس دقاً قوياً فاستيقظ الغلام ونهض مرتعشاً ودخل على الملك خائفاً فقال لهُ اراك كنت غافلاً فازداد خوفهُ واراد ان يعتذر للملك وبينما هو في اشد الحيرة وضع يدهُ في جيبهِ كانهُ يفتش عن شيءٍ فعثر بالصرَّة فاخرجها وهو محتار وقد تغيرت احوالهُ وعلا وجههُ الاصفرار ثم نظر الي الملك واخذ يبكي ويتنهّد فقال لهُ الملك ما بالك تبكي وما اصابك فالقى نفسهُ على رجليهِ وقال لهُ يا سيدي انني لا اعلم من اين اتت هذه الدراهم الى جيبي فاني وجدتها الآن واخاف ان عدوًّا فعل معي ذلك قاصداً

اهلا كي. فقال له الملك كن مطمئن البال من هذا القبيل واعلم يقيناً ان الله سبحانه يعطينا الخير في اكثر الاحيان ونحن نيام فارسل الى امك هذه الصرّة التي وجدتها في جيبك واهدها سلامي وقل لها اني من الآن وصاعداً سأهتم بها وبك ولا انساكما فتحوَّلت احزان الخادم الى فرح وسرور وترامى على اقدام الملك يشكره على احسانه

وتوفي الملك فريديك الاعظم في ١٧ اغسطس سنة ١٧٨٦ في قصر سان سوسي بالغاً من العمر خمساً وسبعين سنة فحزنت عليه البلاد كلها لانهُ انتشلها من وهدة الانحطاط الى درجة السعادة وقد ترك لابن اخيه فريدريك وليم ملكاً عظيماً وخزينة فيها مئتان وخمسون مليوناً من الفرنكات وجيشاً عدده مئتا الف جندي مدرب على القتال

هذا ولا يزال شاكوش الملك فريديك وبعض ملابسه في المحفل الاكبر الماسوني في برلين الى الآن وذكره يتجدد بين الاخوان على توالي الايام

مساعدة ارملة ماسوني

في ليلة اشتدَّ بردها وهبت رياحها القارصة مرَّ باحدى مدن الولايات المتحدة قطار مملوء بالركاب . ولم يكد يصل الى المحطة حتى نزل منه احد المسافرين وسأل عما اذا كان يوجد في ذلك المحل اخوان ماسون لان في المركبة التي كان فيها ارملة احد الماسون وهي في حالة المرض الشديد . فللحال اجتمع اليه عددٌ منهم واحضروا طبيباً ليرى العليلة . ثم نقلوها الى المستشفى بمركبة خاصة وبذلوا ما في وسعهم لردها الى الصحة. وبعد ايام قلائل تقدمت للعافية فاخذ الاخوان الماسون على عاتقهم ان يوصلوها الى محل قصدها كل ذلك وهم لا يعرفونها ولا يعلمون عنها شيئاً الاَّ انها ارملة احد اخوانهم . فهكذا تكون المساعي الخيرية وهكذا يكون الاخوان الحقيقيون

البرنس فريدريك تشارلس

الاستاذ الاعظم لمحفل نذرلند الاكبر

كل بلادٍ دخلتها الماسونية نبغ فيها افاضل اشتهروا في اوطانهم وفي غيرها باعمالهم المجيدة وخلفهم آخرون فأحيوا آثارهم بجمع مخلفاتهم وبتدوين سيرهم وقد اهدى اليَّ محفل مسشوستس الاعظم في الولايات المتحدة الاميركية كتاب اعمالهِ عن سنةٍ مضت فعثرت فيهِ على لمعةٍ من تاريخ احد ابطال الماسونية القدماء الذين توفاهم الله في شيخوخةٍ صالحة وهو البرنس فريدريك تشارلس الاستاذ الاعظم لمحفل نذرلند الاكبر

ولما كانت هذه البلاد عرضةً للتقلبات السياسية وقد دخلتها الماسونية من عهدٍ مديد كما ترى في تاريخنا العمومي للماسونية لم نشإِ الخوض في هذا الامر الآن واقتصرنا على مدح التاريخ لسخاء اهلها وكرمهم وشجاعتهم وفطنتهم وميلهم من الصغر الى المطالعات والتعليم والتهذيب ومن كانت هذه مزاياهم فلا بدع اذا ظهر بينهم افراد تحلوا بالمزايا الحميدة والخلال الجيدة كالبرنس فريدريك الذي اقتطفنا من التقرير السنوي وغيرهِ عنهُ ما نسطرهُ الآن لاقتداء الآخرين بهِ واحياءً لذكر اخ من جمعيتنا سبقنا الى دار النعيم

البرنس فريدريك تشارلس هو الابن الثاني لوليم الاول ملك نذرلند الذي كان يُدعى برنس اورانج وهو الذي ضمَّ الى بلادهِ بلاد البلجيك وعين ملكًا للمملكتين باسم وليم الاول ودُعيت بلادهُ من ذلك الحين الارض الواطئة واعاد الانكليز للهولنديين كل املاكهم التي كانوا قد استولوا عليها مسابقةً لنبوليون بونابارت ما عدا راس الرجاء الصالح وسيلان وغيانا وذلك سنة ١٨١٤ عند ما سقط نبوليون

وكان ماسونيًّا على ما يقول ريبولد الفرنسوي وانتظم في محفل الرجاء في

بروكسل . واما زوجة وليم الاول فهي ابنة الملك فريدريك وليم الثاني ملك بروسيا وكانت من النساء الفاضلات ولما ولدت البرنس فريدريك تشارلس دعتهُ باسم والدها كما يسمّي الوالدون اولادهم باسماء آبائهم احياءً لذكرهم وكانت ولادتهُ في الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة ١٧٩٧

واجتهد والداهُ في تربيتهِ وتهذيبهِ فكبر وشبَّ على المبادئ الصالحة ومحبة العلوم والميل الخالص الى مساعدة الجنس البشري

ودخل فريدريك الماسونية في مدينة برلين سنة ١٨١٦ وهو في التاسعة عشرة من عمرهِ فاظهر كل غيرة واجتهاد في انجاح الجمعية . وقد ذكر غولد في تاريخهِ وريبولد ايضاً ان المحافل الشمالية والجنوبية في البلجيك تذاكرت في انشاء شرق اعظم مستقل فقسموا محفل هولندا الاعظم الى ثلاثة اقسام فسموا الاول مجلساً اعلى والثاني والثالث محفلين عظيمين اداريين فكان المجلس الاعلى ينظر في الاعمال والمبادئ الماسونية والمحفلان ينظمان المحافل الرمزية وكلٌّ منهما مستقلٌ عن الآخر . وتحت امرة الاول المحافل الشمالية تتبعهُ محافل الهند الشمالية ومركزهُ الهاغ والثاني تتبعهُ الاقاليم الجنوبية ومحافل الهند الغربية ومركزهُ بروكسل وانتخب البرنس فريدريك استاذاً اعظم على الشرق والمحفلين فقبل ذلك وتولى الرئاسة العظمى في ١٣ اكتوبر سنة ١٨١٦

ونجحت الماسونية في ايامهِ اي نجاح فزاد عدد المحافل زيادةً تذكر فتشكر قال ريبولد المؤرخ الماسوني الفرنسوي انهُ في سنة ١٨١٩ ارسل البرنس فريدريك الاستاذ الاعظم لكل المحافل الاوربية نسخاً من ورقتين وُجدتا بين اوراق الاخ باتزيلار الاستاذ الاعظم المتوفى احداهما صورة منشور صدر في كولونيا مؤرخ في ٢٤ يونيو سنة ١٥٣٥ وممضى بامضاء تسعة عشر اخاً كلهم من اصحاب الشرف وكانوا مندوبين عن تسعة عشر محفلاً من بلادٍ مختلفة . والثانية صورة دعوى محفل في لاهاي اقيمت سنة ١٦٣٧ وكان تاريخ تأليف هذا المحفل ٨ مايو سنة ١٥١٩

وكان يتبع الشرق الاعظم الهولندي مئة وخمسة محافل سنة ١٨٢٠ فصارت ١٣٦ محفلاً سنة ١٨٢٨ منها ٨٠ في هولندا و٨ في الهند الشرقية اخذت براءتها من المحفل الاعظم الاداري في لاهاي و٣٥ محفلاً في هولندا و١٣ في الهند الغربية احرزت براءتها من محفل بروكسل

وقد رقي البرنس فريدريك الى رتبة الفيلد مرشال والاميرال والكولونيل جنرال في الحكومة البروسية وكان الاضطهاد شديداً سنة ١٨٣٩ على الماسون في بعض الجهات فتلقى الماسون كل ذلك بالاحتمال والصبر

وفي سنة ١٨٤٠ تنازل والدهُ وليم الاول عن الملك فخلفهُ اكبر انجالهِ وليم الثاني ولكن هذا توفي سنة ١٨٤٩ فخلفهُ ابنهُ وليم الثالث ثم توفي سنة ١٨٩٠

وفي ٦ يونيو سنة ١٨٤١ احتفل الشرق الاعظم والمحافل التابعة لهُ باتمام الخمس وعشرين سنة لجلوس البرنس فريدريك على كرسي الرئاسة وفي تلك الحفلة اهدى لصندوق المحفل تسعة آلاف فلوريني للاعمال الخيرية

وفي سنة ١٨٦٦ احتفل الشرق الاعظم بيوبيلهِ الخمسيني على كرسي الرئاسة فوهب الماسونية مكتبة الدكتور كلوس الماسونية وكان قد اشتراها بخمسة عشر الف ريال

وفي هذه السنة اجتمع المحفل الاكبر في مسشوستس بالولايات المتحدة الاميركية في ١٤ مارس فنهض الاستاذ الاعظم السابق ونسلو لويس وقرأ الكتابة الآتية على الاعضاء وهم وقوف فوافقوا عليها وهي بنصها :

بما انهُ في هذا العام في شهر مايو سنة ١٨٦٦ سيحتفل في الهاغ باحتفال عظيم لم يسبق لهُ مثيل في تاريخ العشيرة الماسونية وهو تمام الخمسين عاماً من الرئاسة العظمى التي حازها الاخ البرنس فريدريك على محفل ندرلند الاكبر الموقر

وبما انهُ ينبغي ان تغتنم هذه الفرصة السعيدة لتقديم التهانئ الاخوية من كل المحافل الكبرى المرتبطة بجامعة واحدة مهما تباعدت الاماكن —

تقرّر ان يرسل محفل مسشوستس الاكبر سلامهُ الاخوي الى محفل نذرلند الاكبر في هذا الوقت المهم في التاريخ لان رئيسهُ الجليل قضى نصف جيل استاذًا اعظم وذلك لم يحدث لهُ نظير في التاريخ الماسوني

وبما ان محفل مسشوستس الاكبر لا يمكنهُ الاَّ ان يذكر بتمام الخشوع والاحترام ان اجدادهُ كانوا من سكان نذرلند ورحلوا عن سواحلها حيث أسسوا هذا البناء الفخيم ونجحوا باتحادهم وسعيهم العظيم . فبناءً على ما تقدم مما ذكروما لم يذكر يقدم محفل مسشوستس الاعظم اعظم احتراماتهِ وتحياتهِ الاخوية الى سمو البرنس فريدريك الرئيس الاعظم الموقر للشرق السامي في نذرلند مع التهانئ ببلوغهِ هذا السن وحفظ العناية لسموهِ ليكون دليلاً ومرشدًا لاخواننا وليعلم ان هذا البطريرك الماسوني العظيم وقف نصف قرن على سبيل الخير ونزاهة القلب وسرور يتجه بهِ الى ختام حياة طاهرة لا عيب ولا دنس فيها يعقبها سعادة ابدية خالدة ان شاء الله

وقد أُرسلت نسخة من هذا المكتوب ممضاة بامضاء الاستاذ الاعظم شارلس دايم والمحترم شارلس مور المسجل الاعظم الى الهاغ مشفوعة بتحرير من الدكتور ونسلو لويس الاستاذ الاعظم السابق للمحفل الاكبر في مسشوستس . وهذا نصها

الى بوستون ١ يونيو سنة ١٨٦٦

ج . ج ف . نوردزيك . كاتب اعظم المحفل الاكبر في نذرلند

سيدي واخي العزيز

في طي كتابي هذا كتابة من المحفل الاكبر في مسشوستس تحتوي على القرار الذي قررهُ شرقنا بسرور كل اخوانهِ والذي لي الشرف ان اعرضهُ على شرقكم عن استاذكم الاعظم الموقر البرنس فريدريك . فارجو ان تتكرم بتقديم هذه المظاهرة مع الاعتبار العظيم من اخوانكم الذين في هذه الجهة

من الاتلانتيك مع تأكيد الاحترام الشخصي الذي يرفعهُ زميلهُ المتواضع في العمل الماسوني ونسلولويس

استاذ اعظم سابق محفل مسشوستس الاكبر

فورد الجواب الآتي الى المحفل الاكبر في مسشوستس وهو بنصهِ

ايها الاخوان

بمناسبة اليوبيل الخمسيني لرئاسة سموّ البرنس فريدريك العظمى على محافل نذرلند وما يتبعها من المستعمرات الذي احتفلنا بهِ احتفالاً عظيماً جداً لانهُ الاول من هذا القبيل في تاريخ الماسونية زاد سرورنا بورود تهنئتكم في هذا الاوان واثَّرت فينا التأثير الجميل وهاجت فينا عواطف الشكر والاعتراف بجميلكم لاعرابكم عن عواطفكم الاخوية الشريفة وقد كلفني المحفل الاكبر ان ارسل فابلغكم شكرهُ القلبي ومحبتهُ الاخوية ونسأل الله ان يوفق اعمال العشيرة في بلادكم ويوفقكم كلاً بمفردهِ

وقد عرضت رسالتكم على البرنس فاظهر عظم تأثيرهِ من حاسياتكم الرقيقة نحوهُ وهو يؤكد لكم انهُ يحفظها دائماً تذكار عزيز منكم

الهاغ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٦٦ باسم محفل نذرلند الاكبر

ف . ا . ڤان رايارد

ج . ج . ف نوردزيك الرئيس الاعظم

السكرتير الاعظم

وفي جلسة محفل مسشوستس الاعظم في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٦٧ قدَّم الاخ ونسلولويس صورة سموّ البرنس فريدريك بعد ما اكمل الخمسين عاماً في الرئاسة العظمى مع المكتوب الآتي امام الجلسة وهو بنصهِ

الهاغ في ١ سبتمبر سنة ١٨٦٧ من الشرق السامي في نذرلند

سيدي الاخ العزيز

وصلني بواسطة الشريف مرشال ولدر تحريرك الاخوي المؤرخ في ابريل

الماضي وانا لم اره شخصياً ولكنهُ ارسل من بروكسل بتاريخ ٥ يوليو مع جملة اخرى منكم ورسم البناء الماسوني الجديد في بوستن الذي اهديتموه لمحفلنا . وقد اريت هذا البرهان الصادق عن اخائكم للاخوان فابدوا ارتياحهم وشكرهم على العواطف الشريفة التي ابديتموها . وقد كلفوني ان ارسل اليكم خالص شكرهم وتأكيدهم بان كتابكم وهداياكم استقبلت اعظم استقبال واني مرسل اليكم صورة رئيسنا الاعظم البرنس فريدريك التي ترغبون ان تكون عندكم واتأمل ان تصل سالمة . ولا بدَّ ان ينالكم السرور عند ما يبلغكم ان المكتبة العظيمة والاوراق الثمينة التي كانت للدكتور كلومس واشتراها البرنس الرئيس مع المجموعة الخصوصية النادرة التي لسموّهِ قد اهداها للمحفل فصار عندنا الآن اشياء عزيزة يحق لنا الافتخار بها وبهِ اقبلوا التحيات الاخوية

ج . ج . ف . نوردزيك

كاتب السر الاعظم

قال صاحب التقرير ومنذ وصول الصورة الى محفل مسشوستس الاعظم كانت مكرمة معززة بين اهم التحف وفي المحفل المشار اليهِ مجلدان عزيزان احدهما عن يوبيل المئة سنة للمحفل النذرلندي الاكبر والآخر عن اليوبيل الخمسيني للبرنس فريدريك ورسوم احدى الحفلات التي جرت اكراماً لذلك اليوبيل ورسم النيشان الذي عمل تذكاراً لذلك العهد ورسالتان الى الرئيس الاعظم أُرسلت في ذلك الوقت . انتهى

وفي سنة ١٨٧٦ احتفل مرة ثالثة باتمام البرنس فريدريك عام الستين على الرئاسة العظمى . وادركتهُ المنية سنة ١٨٨١ ولهُ من العمر ٨٤ سنة فحزن عليهِ الماسون في كل المعمور ورثوهُ احسن رثاء ولم تمت اعمالهُ الصالحة التي خلدت لهُ الذكر الجميل على مدى الايام

وبعد وفاة البرنس المشار اليهِ اشترى تاجر خزانة قديمة بالمزاد العمومي كانت للبرنس فريدريك فوجد فيها آثاراً ماسونية فاخذها منهُ الاخ جورج

كربنتر ولجنة الآثار الماسونية وقدموها الى محفل مسشوستس الاعظم لحفظها بين آثارهِ الثمينة وهي كما يأتي وصفها

مئزر جميل وحزام فالمئزر من الاطلس الابيض المبطن بالحرير الاحمر تحيط بهِ حاشية ذهبية وفي وسطهِ حرف G وعلى ما بقي مربع وبيكارات والحرفان G.A وعلى اليمين قمر من الفضة وعلى الشمال شمس من الذهب وفي البيكارات حرف M وتحتها عرق صغير من السنط (اللبخ) لها فرعان الى الجانبين وعلى اليمين الحرف J وعلى اليسار الحرف B

اما الحزام فمن الحرير الازرق السماوي وفي اعلاهُ تاج وتحتهُ سيفان على هيئة الصليب معقودان بقوس ثم ثلاث نجمات والمربع والبيكارات بالحروف المذهبة وتحت الكل نجمتان وانصال السيوف ورؤوس البيكارات مطرزة بالفضة وما بقي بالذهب

وقد اتينا على ما تقدم بيانًا لفضل ذلك الرئيس العظيم ولا يعرف الفضل الاَّ ذووهُ مثل الذين احيوا آثارهُ بكتاباتهم واعمالهم ليقتدي غيرهُ من العظماء بهِ وبهم

ان زيارة المحافل الماسونية من اهم الواجبات على الماسوني وفيها فوائد للاخوان لا تقدَّر بثمن

ينبغي التدقيق في انتقاء الماسون الاحرار قبل مؤاخاتهم حسب نص القانون

على الماسوني ان لا يشرع في عمل ما لا يجوز ولا يعمل ما يتوهم انهُ لا يجوز حتى يؤكّد ان اوهامهُ لا اصل لها وعند ما يبتدئُ في عملٍ جائز يتقدَّم فيهِ ولا يجبن وعليهِ ان يتعوَّد مواظبة الاعمال ولا يسلم نفسهُ للكسل او النوم او تقلُّب الافكار ومع ان مقاومة هذه الاشياء ليست سهلة لكنهُ اذا تغلب عليها يشعر بانهُ اصاب في ما عمل

جورج واشنطون

رئيس جمهورية اميركا ومحررها الاول

هو الجنرال جورج واشنطون ابن اوغسطين من امرأتهِ الثانية ماري بال ابنة الكولونل بال كان رجلاً حرًّا عظيمًا مقدامًا على الامور الخطيرة اصيل الرأي وثيق العقدة رأس الولايات المتحدة بعد تلك الثورة التي استعرت نارها والتي لها في التاريخ الاميركاني شأن عظيم يعود عليهِ بالفضل والفخر

ولد جورج واشنطون في ٢٢ فبراير عام ١٧٣٢ في قرية واشنطون من ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة الاميركية الشمالية وكان جدهُ يدعي يوحنا هاجر الى اميركا عام ١٦٥٧ واتخذ فرجينيا موطنًا لهُ واشتغل بادئ امرهِ بالزراعة وكان لهُ ولدان يدعيان لورنس ويوحنا وتزوج لورنس فرزق ثلاثة اولاد وهم يوحنا واوغسطين وملدرد ووُلد لاوغسطين من امرأتهِ الاولى اولاد ومن الثانية ستة كان اكبرهم جورج واشنطون

ولما بلغ الثانية عشرة من عمرهِ توفي والدهُ اوغسطين وكانت امهُ ترشدهُ في مبادىء العلوم وتلقنهُ النصائح قبل ذهابهِ الى مدرسة العلوم الابتدائية الى ان تلقن جانبًا كبيرًا منها وعند بلوغهِ الثالثة عشرة من عمرهِ قيل انهُ جمع كتابًا فيهِ مئة وعشر قضايا في حسن السلوك ودرس الانكليزية وبعض الفرنسوية ومال الى الاعمال العظيمة المتعبة من الصغر والى ركوب الخيل وعند ما ترعرع وبلغ التاسعة عشرة من سنيهِ اشتد ميلهُ للسياسة فانتظم في سلك الجندية وعين ضابطًا ونشبت في تلك الاثناء الحرب الفرنسوية الهندية وانتدبتهُ الحكومة الفرنسوية لاخضاع العصاة في المقاطعات التابعة لها فقام بهذه المأمورية احسن قيام وترقى الى وظيفة قائد مائة وخمسين

ومات اخوهُ سنة ١٧٥٢ فورث عنهُ تركة عظيمة

وجرت في تلك الاثناء مناوشات بين الفرنسو بين والانكليز المقيمين في جهات فرجينيا وضواحيها وكان قائد الجنود الانكليزية اللورد لودن اتى تلك الولاية وتعرف بعائلة واشنطون وعرف ما لجورج من النشاط والاقدام في الاعمال فتقرب منهُ وكان يزورهُ في منزلهِ اغلب الاحيان وكانت هذه المعرفة سبباً لتعيين جورج في مناصب الحكومة الانكليزية العسكرية حتى ترقى الى رتبة اميرالاي

وفي ١٢ يناير سنة ١٧٥٩ اقترن بارملة ذات ثروة طائلة وجمال باهر وادب ودين وكانت لم تزل في ريعان الصبا واسمها مرثا (مدام كوستيس) وظلَّ خمسة عشر عاماً بعد زفافهِ معتزلاً السياسة منهمكاً في زراعة اراضيهِ الخصبة الواقعة في جبل فرنون وكان المشهور عنهُ قولهُ " اذا اردت نجاح عملك فاعملهُ بيدك "

وزادت حكومة انكلترا الضرائب على الاميركيين ووضعت لهم ورقة التمغة للعمل فتمنع الاميركيون عن استعمالها . واصرَّ الانكليز على بقاء ضريبة للشاي الوارد الى اميركا فلم يرضَ اهلها بذلك فالتزمت حكومة انكلترا ان تستعمل القوة ضدهم

وسنة ١٧٧٣ جاء الى بوستن ثلاث سفن انكليزية مشحونة بالشاي فنزل اليها بعض الاميركيين بزي الهنود والقوا ما فيها الى البحر فتكدر الانكليز وشددوا النكير على الاميركيين

واقام مجلس اعيان بورجيس الحجة على الحكومة لاسباب يطول شرحها فلم يلتفت اليهِ اللورد دنمور الانكليزي حكمدار ولاية فرجينيا فتكدر منهُ الاعيان وخاطبوا نواب الولايات الاميركية بمعاملة الانكليز لهم فاجتمعوا في ٥ سبتمبر سنة ١٧٧٤ وفي ١٠ مايو سنة ١٧٧٥ وكتبوا الى حكومة انكلترا عن علاقتهم بها وعينوا جورج واشنطون رئيساً لاجتماعاتهم واستعدوا للدفاع عن حقوقهم وجيَّش الاميركان رجالهم وسلموا القيادة العامة لجورج واشنطون في ٣

يوليو سنة ١٧٧٥ وكتب وقتئذٍ الى صديق لهُ يقول " احزن حين افتكر اننا نجرّد سيوفنا على اخواننا لتصير ارضنا مجرًى للدماء بدلاً من ان تكون بلاد الراحة والسكينة ". وسار بجنودهِ الى نيويورك فكمبردج وغيرهما وكان يقابل بما يليق من الاحتفال ولا تسل عن دهائهِ في الحرب وتظاهرهِ بالقوة مع قلة عساكرهِ وعدم استعدادها . وفي ٤ مارس سنة ١٧٧٦ تهدد حصون بوستن باطلاق النار عليها اذا لم تسلم فسلمت وخرج الانكليز منها فدخلها واشنطون ظافرًا فبعث الاميركيون يهنئونهُ من كل اطراف البلاد . وجاء فيلادلفيا وذاكر مجلس الامة في مصالحة الانكليز الذين حضروا لمهاجمة نيويورك . وبعد معارك وحروب دامت ثماني سنوات خرجت الجنود الانكليزية من الولايات المتحدة وفي سنة ١٧٧٦ جاهر القواد وعظماء الرجال في اميركا الشمالية بوجوب اخلاء الانكليز لبلادهم وتحريرها وابانوا مقدرتهم على استلام ازمة الاحكام بانفسهم طمعاً بالحرية والاستقلال الاداري

فكتب جورج واشنطون تلك السنة منشورًا بعثهُ الى اولياء الامر والاهالي من وطنيين واجانب يحرضهم فيهِ على شق عصا الطاعة على الانكليز وهذا مجمل ما كتبهُ " ان الاستقلال روح البلاد والوسيلة الوحيدة للتقدم في معارج الفلاح علماً وعملاً ولا بد منهُ لبلوغ الغاية القصوى من التمدن ولا ينتشل الوطن من وهدة الخراب العاجل غيرهُ " وشاع هذا الفكر بين القوم واصبح عامًّا لا يتحدثون بغيرهِ اناء الليل واطراف النهار

وكان الفرنسويون والاسبانيون والهولنديون يحركون الاميركيين على العصيان ويعدونهم بالمساعدة والامداد بما يحتاجون اليهِ عند اللزوم

وفي ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ اعلنت المجالس العليا رسميًّا استقلالها الذي عاد على واشنطون بالشرف الباذخ والمجد الاثيل لان الاقدار ساعدتهُ لخلص وطنهُ ومنح بلادهُ حرية الادارة في الاعمال بعد ان كانت الحكومة الانكليزية مسيطرة على اعمالها .

وجرى بين الانكليز والاميركان عدّة مواقع كان النصر فيها للانكليز ما عدا موقعتين عظيمتين انتصر فيهما الاميركيون الاولى في ساراتوكا سنة ١٨٧٧ وكان قائد جيوش الانكليز الجنرال بوركون وقائد الجيوش الاميركية الجنرال كيتس فانحصر فيها الانكليز فسلموا انفسهم للاميركيين بعد ما قُتل وأُسر نحو تسعة آلاف منهم . والموقعة الثانية جرت سنة ١٧٨١ بين جورج واشنطون وبين لورد كورنواليس في مدينة يورك بولاية فرجينيا حيث كان الانكليز ينتظرون المدد من نيويورك . فتظاهر واشنطون انهُ يريد مهاجمة نيويورك فاستعد واليها السر هنري كلينتون لمقابلتهِ ولذلك تمنع عن ارسال المدد للورد كورنواليس(١) فتمّ لواشنطون ما يروم وهاجم الانكليز بقوة وثبات وامسكت العمارة الفرنسوية فم نهر يورك على الانكليز مساعدةً للاميركيين فالتزم لورد كورنواليس ان يسلّم في ١٩ اكتوبر سنة ١٧٨١ بسبعة آلاف نفس . واستولى الفرنسويون على بارجتين حربيتين وعشرين سفينة مشحونة بالمهمات والذخائر واشتهر الجنرال واشنطون شهرة عظيمة في محارباتهِ الانكليز وانتصارهِ المذكور آنفًا وحسن درايتهِ فعزم الاميركيون ان ينصبوهُ ملكاً عليهم فلم يقبل ورأى الانكليز ان لا نفع من مداومة الحرب فعزموا على الجلاء عن اميركا

وبعد ان انجلت العساكر الانكليزية شرع اصحاب المناصب العالية وارباب الحل والربط يؤلفون قوانين للسير بموجبها وبعد الانتهاء منها اجتمع النواب في نيويورك لانتخاب رئيس لجمهورية الولايات المتحدة فاجمعت الآراء على انتخاب الجنرال جورج واشنطون رئيساً اولاً لها وكان الشعب يحبهُ محبة عظيمة تقرب من العبادة فنجحت البلاد مدة رئاستهِ وزادت حتى بلغت ستة وخمسين مليون ريال اميركيًا بعد ان كانت في اوائلها لا تزيد عن التسعة عشر مليونًا

ويروي الاميركيون عن جورج واشنطون قصصاً كثيرة . من ذلك انهُ

---

(١) انظر الصفحة ٥٩ من هذا الكتاب

مرَّ يوماً بنفر من الجند يرفعون ساريةً الى اعالي بناء يريدون ترميمهُ وعليهم ملازم يأمر هذا وينهي ذاك وهم قد اعياهم التعب لقلة عددهم وثقل السارية وعلو البناء وهو يكثر من تقريعهم بالكلام ويشدّد الاوامر ويزيد التعيير والتوبيخ ولا يمدُّ لمساعدتهم يدًا . وكان واشنطون راكبًا جوادًا ولابسًا ثيابًا غير ثيابهِ العسكرية فلم يعرفهُ الملازم ولا الجند فقال للملازم لماذا انت واقف تأمر وتنهي ولا تساعد هؤلاء المساكين الذين اضناهم التعب وسال العرق كالماء عن جباههم . فالتفت اليهِ الملازم ضاحكًا مستخفًا وقال ألا تدري يا هذا اني ملازم وهؤلاء الجنود تحت امري. قال أصحيح ذلك فعفوًا ايها السيد الكريم . ونزل عن جوادهِ وجعل يرفع السارية مع الجنود حتى اوصلوها الى اعلى البناء . ثم خاطب الملازم والعرق يقطر منهُ قائلاً اذا وقفت بعد هذا لعملٍ ورأيت رجالك يتعبون لاتمامهِ فاستدعِ رئيس الجيوش التي انت منها وانا الذي دعوتك بسرور . فلما علم الملازم ان الجنرال واشنطون هو الذي يكلمهُ ارتعد ارتعادًا عظيماً وعُقل لسانهُ في فيهِ وامسى كمن أُصيبَ بصاعقةٍ فتركهُ واشنطون ومضى عنهُ ولكن بعد ما علَّمهُ بصنيعهِ علماً لم يبرح عن بالهِ طول ايامهِ

وقد ورد في مجلة التاريخ ان واشنطون اشتهر بتواضعهِ الزائد وحنوهِ الفائق ولاسيما حنوهُ الكثير على الاولاد حتى انهُ كان يدعى بابي الاولاد لاعتنائهِ بهم وفتحهِ المدارس لهم وتعليمهم العلوم التي كانت السبب الاكبر في ترقية البلاد وعمرانها اذ انهم كانوا يخرجون منها نجباء ادباء ومما يؤكد حنوهُ هذا ما ننشرهُ عنهُ هنا من بعض نوادرهِ الكثيرة

اتفق يومًا ان واشنطون العظيم كان سائرًا في احد شوارع مدينة شيكاغو وكان ذلك اليوم شديد البرد غزير المطر والناس تعدو في سيرها فرارًا من الغيث المتواصل فبصر واشنطون بولد لم يتجاوز الثانية عشرة من عمرهِ واقفًا على زاوية الرصيف بملابس بيضاء خفيفة جدًّا كأنهُ في فصل

الصيف و يعلو وجههُ الاصفرار والضعف وعلامات الحيرة والارتباك ظاهرة عليهِ كأنهُ يريد ان يخاطب احد المارين والخجل يمنعهُ عن ذلك فوقف واشنطون ليرى امر هذا الولد وسبب وقوفهِ في هذه الساعة الهائلة ونظر اليهِ نظرة المستخبر السائل عن امرهِ فرأى الولد منهُ ذلك وسر كثيرًا وتأكد انهُ سينال منهُ ما يسألهُ عنهُ فتبسم تبسم الفائز بغنيمتهِ واقترب منهُ وحياهُ ثم قال لهُ يا سيدي انني رأيت في وجهك علامة تدعوني ان اقترب منك واقص عليك سبب وقوفي هنا في هذه الساعة فقال لهُ واشنطون صحيح ما تقول فانني ارغب ان اعرف امرك وسبب وقوفك هنا في هذه الساعة الشديدة البرد ولا سيما في ثيابك هذه الصيفية فقال الولد ان والدي قد توفي من مدة وترك لوالدتي الحزينة ولدين اياي واخًا آخر اصغر مني ولم يترك لها شيئًا من المال لتستعين بهِ على تربيتنا فاخذت تشتغل بخياطة الاثواب ليلاً ونهارًا لبعض العائلات لتقوم باعالتنا ومن شدة التعب اعتراها مرض الزمها الفراش وانفقت جميع ما وفرتهُ من النقود حتى انها لم تعد تملك شيئًا لتقتات بهِ فتأثرت لذلك كثيرًا وزاد عليها المرض ثم مضي علينا مدة يومين لم نذق الطعام فيهما واخي الصغير في هذه المدة يصرخ بطلب الطعام فتضايقت والدتي من ذلك كثيرًا حتى انها كادت تشرف على الموت فنادت بي وقالت لي اذهب يا ولدي الى احد الناس وقص عليهِ حالتنا وما نحن عليهِ من التعاسة لعلهُ يكون من اصحاب الصدقة فيعطيك ما نسدُّ بهِ رمقنا قبل ان نموت فسمعت منها وخرجت وكان اخي يقول لي اسرع بالاكل يا وليم فجئت الى هذا الشارع وسرتُ بهِ الى ان وصلت الى هذه النقطة وقد مرَّ عليَّ كثيرون وما امكنني أن اقص حكايتي هذه لاحد منهم لخجلي وخوفي من الرد لانني غير معتاد هذا العمل وهذه هي حكايتي اوردتها لك فارجوك أن تتكرَّم عليَّ بشيءٍ

فلم يكد وليم يتم حديثهُ حتى وضع واشنطون يدهُ في جيبهِ واخرج منها

بعض اوراق مالية ذات قيمة كبيرة واعطاها لوليم وقال لهُ خذهـا لوالدتك واذا لزمها سيف المستقبل شيء بعد فاحضر الى منزلي في الشارع الفلاني نمرة كذا فانني مستعد لتلبية جميع طلباتهـا ثم اعطاهُ ايضاً تذكرة وقال لهُ اذهب بها الى الطبيب فلان فانهُ يذهب معك لعيادة والدتك الى ان تنال الشفاء فاخذ وليم جميع ما اعطاهُ لهُ واشنطون بكل شكر وثناء وذهب يدعو لهُ بطول العمر والبقاء ويسأل الله ان يكثر من امثالهِ عوناً للفقراء والبائسين

هذا كلام وجيز عن هذا الرجل العظيم الذي لم يقم في الولايات المتحدة اعظم منهُ شأناً ولا اخلص حبًّا للوطنية اذ كان يعتقد ان حب الوطن من الايمان . ولنأتِ الآن على لمعةٍ من خياتهِ الماسونية التي هي قصدنا الوحيد

جورج واشنطون والماسونية

لما بلغ واشنطون السن الذي يؤهلهُ للانتظام في سلك الجمعية الماسونية وكان قد تحقق ما هي عليهِ من علو الشأن ورفعة المنزلة وعرف آدابها وتعاليمها الاساسية حدثتهُ نفسهُ بالانخراط بين ابنائها فانتظم سيف محفل فردريسبرج نمرة ٤ التابع لولاية فرجينيا واقتبل الدرجة الاولى في ٤ اكتوبر سنة ٥٧٥٢ للنور الحقيقي الموافقة سنة ١٧٥٥ مسيحية وعمرهُ اذ ذاك ٢١ سنة ودفع رسم التكريس ليرتين وثلاثة شلينات وفي ٣ مارس سنة ٥٧٥٣ ترقى الى الدرجة الثانية وفي ٤ اغسطس من السنة نفسها احرز درجة الاستاذ وبعد ان مضى عليهِ ردح من الزمن سيف خدمة الماسونية انشأ محفلاً في فرجينيا دعاهُ محفل اسكندرية نمرة ٢٣ وانتخب رئيساً لهُ وبعد وفاتهِ اجمع الاعضاء على تسميتهِ محفل واشنطون الاسكندري وذلك رغبةً ان يبقى ذكر رئيسهم المجيد سيف الافواه وان تكون آثارهُ الماسونية غرضاً تصوَّب اليهِ الافكار للاقتداء بهِ وقد خدم هذا المحفل في حياتهِ خدمة تذكر بالشكر والثناء الجميل

وفي سنة ١٧٥٥ احرز درجة الرويال آرتش (العقد الملوكي) في احد

المحافل المتحدة مع المحافل الانكليزية وكان يذكر ما تقلب عليهِ من الدرجات الماسونية وتعاليم كل درجة واهميتها بين الاخوان حتى اصبحت الماسونية شغلاً شاغلاً لهُ واعتقد ان قوانينها وشرائعها وتعاليمها هي التي يجب على الانسان العاقل ان يجعلها نصب عينيهِ ليسير بموجبها في كل زمان ومكان وعرف ان الاخاء الماسوني ارفع منزلة من الاخاء الوطني لان الماسوني اخ لافراد الانسانية عموماً والماسون خصوصاً وكانت هذه الآية تتردد في خاطرهِ فيقف عندها طيّب الخاطر قرير العين

وكان لما ذهب الجنرال لا فايت الى اميركا لمساعدة الولايات المتحدة في الاستقلال اغتنم الجنرال واشنطون تلك الفرصة لادخال صديقهِ الماسونية فتسنى لهُ ذلك وسرَّ بما تم

اما الجنرال او الماركيز لافايّت فهو رجلٌ فرنسويٌّ غنيٌّ ذهب الى اميركا لما كان عمرهُ عشرين سنة راكباً سفينةً على نفقتهِ الخصوصية وساعد الاميركيين في حرب الانكليز واظهر من البسالة والاخلاص للشعب الاميركي ما جعلهم مديونين لهُ ولم يكتفِ بتقديمهِ نفسهُ بل قدّم لهم اموالهُ للوازم الحرب وساعدهم مساعدةً تذكر فتشكر ولذلك عند ما استراحت اميركا من الحروب استدعتهُ حكومتها سنة ١٨٢٤ من فرنسا واحتفلت بهِ احتفالاً نادر المثال واهدتهُ مئتي الف ريال وقطعة ارض ثمينة في فلوريدا . وقلما تمر في مدينة من مدن الولايات المتحدة الاميركية الكبرى الاّ وترى فيها شارعاً باسم الجنرال لافايّت الفرنسوي او تمثالهُ منصوباً يتذكَّرهُ بهِ كل اميركي وكل من زار اميركا اقراراً بفضلهِ وغيرتهِ على تلك البلاد . ولا تحادث اميركيًّا عنهُ الاّ ويذكرهُ بالثناء والفعل الحميد ولذلك يميل الاميركيون الى الفرنسويين كل الميل

وفي اثناء الحرب التي حدثت في ايام واشنطون وهو الذي اشعل جذوة نارها حبًّا بالاستقلال جاهر انهُ بنّاءٌ حر لما اجراهُ من الافعال الحسنى وقد

احتفل بهِ الماسون عمومًا بعد نهاية الحرب والفوز احتفالاً شائقًا ولما انتخب رئيسًا للولايات المتحدة كما تقدم ذكرهُ احتفل بتأدية اليمين للقيام بما يفرضهُ عليهِ منصبهُ كرئيس للجمهورية احتفالاً عظيمًا حضرهُ الجم الغفير من الولايات عمومًا وذلك في محفل القديس يوحنا نمرة ١ في مدينة نيويورك وكان بين الحاضرين تشانسر ليفنستون الرئيس الاعظم لولاية نيويورك والحق يقال ان هذا الاحتفال كان اعظم ما يتصورهُ العقل فان الذي انتخب رئيسًا للولايات المتحدة قد عين رئيسًا اعظم لمحافل الولايات المتحدة الماسونية وفي عام ١٧٩٣ وضع حجر الزاوية لبناء عاصمة الولايات المتحدة ودعيت باسمهِ وقد بنى محفلاً في الساحة التي جرى فيها القتال في البرية وهذا ما يدلنا على همتهِ واختيارهِ السلم على الحرب

وكان في وطنهِ وطنيًّا مشهورًا وفي الماسونية اخًا غيورًا ولم يكن يقصد في كلتا الحالتين سوى نفع المجتمع الانساني والسلام العام فانهُ كان مثال الفضيلة والفضل ولم يفتر طرفة عين عن الافتكار بامر عظيم خطير وقد اضاف على اعتقادهِ النقي ايمانًا وعلى ايمانهِ فضيلةً وعلى فضيلتهِ معرفةً وعلى معرفتهِ اتضاعًا وعلى اتضاعهِ اخاء وعلى اخائهِ محبة وهي اساس كل الفضائل

هذه هي الفضائل التي يفتخر بها الماسون وهي وساماتهم التي يحلون بها صدورهم وبالجملة فان حياة هذا الرجل العظيم كانت مثالاً للحب الوطني والرحمة ببني الانسان وكفى بذلك حياة يقتدى بها وينسج على منوالها للتشبه بذويها

وكانت وفاتهُ بعد ان اقام في منزلهِ في جبل فرمنت بمرض عضال في ١٤ دسمبر سنة ١٧٩٩ ولم يخلف بعدهُ نسلاً فحزن عليهِ الشعب الاميركي حزنًا عظيماً ولزمت معظم الدول الاوربية الحداد اسفًا عليهِ

(انظر الصفحة ١٧ والصفحة ٣٠ والصفحة ٣٧ من هذا الكتاب)

كيف دخلت الماسونية

وملخص تاريخ الماسونية الرمزية في سورية وفلسطين

طلبي الدخول في محفل لبنان وقبولي فيهِ

لما كان عمري ثماني عشرة سنة كنت مقيمًا في مدينة بيروت بسورية ومستخدمًا في مطبعة الاميركان وكان للماسونية اسمٌ كبير واعمال تذكر بالشكر والفخر [1] وكان جناب سليم افندي الريس احد اعيان حاصبيا رئيسًا لمحفل لبنان والمرحوم الياس بك حبالين خطيبًا للمحفل وكانا يجتمعان مع كثيرين من الماسون في نادٍ عند برج الكشاف ويتحادثون مليًّا في الامور الآيلة الى خير الانسانية وكان كلٌّ من يجتمع معهم من غير الماسون يستفيد من مباحثهم ويعود الى منزلهِ ونفسهُ تحدثهُ بالانضمام اليهم ثم رأس المحفل نقولا افندي حجي والمرحوم الدكتور يوسف عربيلي وكان نجلهُ الدكتور ابرهيم عربيلي (نزيل نيويورك في الولايات المتحدة الاميركية الآن وصاحب جريدة كوكب اميركا) قد انضم الى الجمعية بواسطة ابيهِ وهو واخوتهُ من اعزّ اصدقائي وخلاّني فرغبني في الدخول اليها وقال لي اني ادخل معك في ليلةٍ واحدة والحّ عليّ في طلب الدخول الى محفل لبنان . وكان رئيسي في عملي الخواجه صموئيل هلك الاميركي وهو ماسوني وكان يكرهني لان تربيتي لم تكن توافق تربيتهُ فقلت في نفسي لعلي اذا دخلت الماسونية استفيد منها واتمكن من ارضائهِ وكانت الجمعية تريد طبع بعض الاشياء وليس لديها عامل تأتمنهُ على مطبوعاتها فحسَّن لها المرحوم الدكتور يوسف عربيلي دخولي فيها وخدمتي لها بحيث تصير بمأمن من

---

(١) انظر الصفحة ١٩ و٢٥ و٣٦ و٦٧ و٦٨ من هذا الكتاب

مطارحتي اسرارها فوافقتهُ وكلفت نجلهُ الدكتور ابرهيم ان يشوّقني الى الدخول كما نقدم فسألتُ المرحوم الدكتور ڤان ديك عن دخولي الى الجمعية وكان يحبني ويريد لي الخير فشجعني وقال انهُ لا يعلم عنها كثيرًا ولكنهُ يظن انها نافعة جدًّا فتشجعت وقدمت طلبي بواسطة الدكتور عربيلي ومكثت انتظر نحو نصف سنة وانا اسأل ولم يجبني احد وبعد مضي سنة من طلبي الاول اجابوني بالرفض فتكدَّرت تكدرًا لا مزيد عليهِ واستقصيتُ عن السبب فعلمت ان صغر سني كان السبب الاكبر لرفض طلبي فعزمت على تجديد الطلب وقدمتهُ ثانيةً وبعد مضي نحو شهرين من تقديمهِ اخبرني الخواجه ابرهيم غبريل ان استعد للدخول فدفعتُ اربع عشرة ليرة فرنسوية رسوم تكريس وترقية للدرجتين الثانية والثالثة وثمن وليمة بسيطة وفي الوقت المخصص لتكريسي حضرتُ فقابلني المرحوم سليم افندي رمضان وكان من افاضل بيروت ومن شعرائها النابغين وتولى سؤالي واختباري وبعد ما ادخلوني الى غرفة الانتظار سألني بعض اعضاء المحفل قائلاً اذا نظرتِ قريبك يضرب اجنبيًّا معتديًا عليهِ ثم ضرب الاجنبي قريبك فميلك الى من يكون فاجبتُ الى الاجنبي لاني اعتقد ان كل معتدٍ هو المحقوق والعدالة تعلمني ان انتصر لصاحب الحق وكلمني آخر ممتحنًا قائلاً نحن في جمعيةٍ تشتمل على نخبة اهل البلاد ولنا اسرار نبخل بتسليمها الى من لا يسلم اليها سرًّا من اسرارهِ ليكون ذلك وديعة عندنا حتى اذا افشى سرنا نفشي سرهُ فاجبتهُ اني لا اسلم سري الى الناس ولو كان عندي اسرار كثيرة . فاجاب ألاَ تثق بذمتنا حتى لا تسلم الينا فكيف تطلب ان تكون منا وتطلّع على اسرارنا فاجبتهُ لو بحتُ بسر غيري اظنكم لا ترضون بذلك لان الذي يبيح باسرار الغير لا يؤمن على سركم فاستحسن الحضور ذلك واكتفوا باجوبتي ومضى على دخولي في الماسونية اكثر من ثلاث وعشرين سنة وانا اتصور تلك الليلة الهائلة التي اخذت على نفسي فيها عهد الماسونية . وقد انتقدتُ صعوبة الامتحان على الطريقة

الفرنسوية فانها صعبة جدًّا لطالب الانضمام الى الماسونية ولو كانت مفيدة للبعض لكنها صارمة للبعض الآخر واما رموزها ومعانيها وتفسيراتها فمن احسن الاشياء

وبعد ما أُعطيت النور القى خطيب المحفل عليَّ خطبة اثرت فيَّ كل التأثير ولا تزال تخطر في بالي الى الآن وكان ذلك سنة ١٨٧٤

ملخص تاريخ محفل لبنان

اما محفل لبنان الذي دخلتهُ فيجتمع في مدينة بيروت برعاية الشرق السامي الفرنسوي في باريز وقد تأسس سنة ١٨٦٩ ورأسهُ اولاً رئيس فرنسوي ثم المرحوم جرجي افندي الخوري ثم تقلب على رئاستهِ الاخوان الافاضل سليم افندي الريس ونقولا افندي حجي والمرحوم يوسف عوض عربيلي واسبر افندي شقير وجرجي افندي سرسق وغيرهم وكلهم من اعيان السوريين الذين يشار اليهم بالبنان . ودخل هذا المحفل امراء وبكوات ومشايخ واعيان وتجار وعلماء من نخبة السوريين واللبنانيين الذين كنت احب ان اخلد اسماءهم في صفحات هذا الكتاب لما اشتهروا بهِ من الفضل والنخوة والغيرة وكنت اشتهي ان يدوم لمحفل لبنان التقدم والصيت الحسن الذي كان لهُ وان يزهو بهم كما كان زاهياً ولا سيما في مدة ولاية المرحوم راشد باشا على سورية وهو الذي قتل بيد حسن الجركسي في الاستانة بعد مقتل السلطان عبد العزيز وكان راشد باشا وزيرًا للخارجية وماسونيًّا ممدوحًا ولهُ ايادٍ بيضاء في تاريخ الماسونية السورية

وبعد مضي مدة على دخولي في محفل لبنان وارتقائي الى درجة الاستاذ انتخبت كاتب سر المحفل ثم امين صندوقهِ ثم تنقلت في وظائفهِ [1]

---

(١) انظر الصفحة ٣٤ من هذا الكتاب

الاشاعات عن الماسونية

وكان الشائع عن الماسونية في سورية انها جمعية كفر لا تعترف بوجود الخالق جلّ وعلا وانها من اكبر العوامل على ازالة الدين ومن دخلها ولو مهما كان صالحاً يصير شريراً ولا يعود يمكنهُ الخروج منها وان من يبوح باسرارها تعرفهُ حالاً فتأتي بصورة من رسمهِ وتطعنها بحربة فيموت صاحبها وكانوا يروون ان فلاناً وفلاناً مات على هذه الصورة وآخر على صورة ثانية فانهم سحروهُ فمات وكانوا يتهمونها بالعرافة والتنجيم وكل نوع من المنكر وسمعت الخواجه فارس توبني الذي كان بمطبعة الاميركان يتظلم مرة من سوء المعاملة فيقول لو كنت مجوسيًّا او ماسونيًّا ما كانوا يعاملونني هذه المعاملة . وسمعت آخر يشتم خصمهُ اقبح الشتائم ولم يغضب الى ان قال لهُ يا ابن الفرمسوني فقام وامسك بهِ وصار ينادي يا ناس اشهدوا يشتمني ويقول يا ابن الفرمسوني انت فرمسوني وكل اهلك فرمسون وامثال ذلك كثير مما يُعَد ولا يعدَّد ومع ما كانت حالة الجمعية عليهِ كان الناس يقبلون عليها اي اقبال

قصص عن الماسونية

اخبرني الذين دخلوها قبلي انهُ اتاها يوماً رئيس دير كان قد طلب الانتظام في سلكها ولما تقرر قبولهُ وجاء للامتحان سألوهُ أتعتقد بوجود الله وخلود النفس اجاب كلاَّ . قالوا لهُ انت رئيس روحي وتعلّم الناس الدين وعبادة الخالق فكيف لا تعتقد بما تعلّم بهِ قال اني اغشهم وسألوهُ اسئلة اخرى ثم اخذوهُ والعصابة على عينيهِ الى وسط شارع في المدينة واطلقوا سبيلهُ. ولعلَّ هذا الراهب كان يزعم كما تزعم العامة فاحب ان يعرف ما فيها فعرفت ما في قلبهِ

واتفق اني اخذت على عهدتي ادارة المقتطف ولم اكن محررًا فيه ولا حررت الاَّ ما هو تحت امضائي فاتخذ حضرات الرهبان اليسوعيين

فرصة علاقتي بالمقتطف سبباً للطعن عليَّ ولا اعلم ان كان ذلك لاني ادير المقتطف او لاني ماسوني جاهرت بمبدإي وميلي للماسونية فقاوموني اشد مقاومة وطعنوا فيَّ طعناً شديداً في جريدة البشير التي انشأُوها لمقاومة البروتستانت والماسون وفي غيرها من منشوراتهم وكانوا لا يستحون ان يقبحوا الجمعية امامي لتنفيري منها مع اني كنت محبًّا لبعض افرادهم . واتذكر مرةً اني كنت عند المرحوم يوسف افندي عرمان في بيروت في سراي الحكومة وكان وقتئذٍ ترجمان المتصرفية وكان في رباط قميصي (الكرافت) زاوية وبيكار علامة الماسوني وكان قد حضر الراهب فراويش الجزويتي فمد اصبعهُ الى عنقي وقال ارى علامة الشيطان هنا فقلت لهُ على الفور انعكست صورتك بهذه العلامة فشاهدتها وظننتها الشيطان بعينهِ وكان حضرة الفاضل جرجي افندي ديمتري سرسق حاضراً فترجم لهُ بالفرنسوية ما قلتهُ فضحك وانصرف وهو يقول الله يهديكم

ودامت مقاومة الجزويت للماسون فكتب محفل لبنان الى فرنسا يقول انتم تساعدون الجزويت وهم يطعنون علينا فاجاب الشرق السامي الفرنسوي لا تجاوبوهم بشيء الاَّ بعمل الفضيلة التي هي احسن جواب

نجاح محفل لبنان

وتآخى الاخوان الماسون في بيروت واتصلت المودة الى نسائهم فكانت الواحدة تزور الاخرى وتناديها سلفتي (اي امرأة اخ زوجي حسب اصطلاح اهالي بر الشام) وكان بعض نساء الرؤساء يقمنَ بالطبخ وعمل الحلوى في الولائم الماسونية . وانضمَّ الى المحافل الماسونية الاميران محمد باشا ومحيي الدين باشا نجلا المغفور لهُ الامير عبد القادر باشا الجزائري ودخل محفل لبنان المرحوم احمد باشا المؤيد والامير ملحم ارسلان قائمقام الشوف حينئذٍ ومحمد باشا اليوسف واخوهُ وبشير بك نكد ونقولا بك المدور وسليم افندي رمضان وبتراكي افندي العورا والخواجه ديمتري سرسق ويوسف افندي فياض

ويوسف افندي جدي والدكتور يوسف الجلخ وخليل افندي الريس والخواجه فارس الشملاني والخواجه ابرهيم غبريل والخواجه نقولا منسي وغيرهم من اعيان البلاد كعبده بك القدسي واولاده وجبرائيل افندي اسبر ويوسف افندي ملوك وجبران افندي شامية واسكندر افندي وسليم افندي طراد وميخائيل افندي نعمه والمرحومين اسعد افندي حمزه وامين افندي الاسطواني وجبور بك رزق الله وقيصر افندي برتران وكثيرون غيرهم من العلماء والاعيان والوجوه والامراء .

اضطراب الحال

وكان محفل لبنان يوالي اجتماعاته الاسبوعية بهمة ونشاط وغيرة واجتهاد والاشاعات تكثر عن الماسونية واعمال البر التي يعملها اعضاء المحفل تحسّن سمعة المحفل وتنفي عنهُ ما يذيعهُ اعداؤُهُ . واذكر انهُ لما انتشبت الحرب بين الدولة العثمانية والروس سنة ١٨٧٦ كان بيتنا بجانب المدرسة الكلية الاميركية بعيدًا عن الدار الماسونية نحو نصف ساعة وكان الاشقياء وخليط العساكر الذين يتجمعون في مدينة بيروت والرعاع يعتدي بعضهم على بعض حتى كأن البلد فوضى ومع هذا كنت لا اترك اجتماعًا بل احضر الاجتماعات برغبةٍ زائدة واعود الى بيتي ماشيًا بعد نصف الليل وغيري مثلي . وفاجأني مرة رجلٌ شاهر سكينهُ ليرهبني فعرفتهُ وناديتهُ باسمهِ فقال لي لا تؤاخذني ظننتك غريبًا وتركني

والشيء بالشيء يذكر كنت مرةً ذاهبًا الى المدرسة الكلية وفيما انا تجاه المستشفى البروسي استغاث بي رجل من شر بعض الاشقياء وكان من جملتهم عبد الرحمن الزاهد ولما اتيت لخلاصهِ شهروا عليَّ السلاح وتهددوني بالقتل وكان معي ولدي الاكبر وكان صغيرًا فاوصلتهُ الى البيت وذهبت الى سراي الحكومة وشكوتهم فالقت الضابطة القبض عليهم وسجنهم فضيلتلو الشيخ سعيد افندي الجندي وكان يومئذٍ معاونًا للمدعي العمومي وبعد سجنهم

يومين قال لي عبد الرحمن الزاهد اذا عملت معروفاً واخرجتنا نكون رجالك والاَّ فنكون اعداءك الى الابد فضحكت من كلامهِ وكان يعجبني فيهِ شجاعتهُ فوعدتهُ بمسامحتي اياهم وتنازلت عن دعواي فخرجوا من السجن وكانوا يحيونني بعد ذلك تحية الاصحاب

وكانت بيروت في هياج وكثرت القتلى في شوارعها وقام الجهال من المسيحيين والمسلمين بعضهم علي بعض وكنت مرةً في المحفل الماسوني وتأخرت الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل وفيما انا راجع الى بيتي اعترضني رجل امام الباب وقال ليلتك سعيدة يامعلمي فتفرست فيهِ فاذا هو عبد الرحمن الزاهد فقلت لهُ وماذا اتى بك الى هنا يا عبد الرحمن قال يا معلمي اعرف انك تسهر في الفرمسون بمثل هذه الليلة وخفت لئلاَّ يعتدي احد عليك فاتيت لاحرسك حتى تصل الى بيتك بامان فشكرتهُ من صميم قلبي على نخوتهِ ومروءتهِ

الحج ورده

وكان في بيروت رجل سوداوي المزاج قوي الجسم اسمهُ جرجس وردة ويسميهِ اهل محلة المصيطبة الحج وردة كان يمتلك مقالع الحجارة التي عند الرمل مع ما يجاورها من الارض فحاكمهُ عليها انطون سيور واخذها منهُ قوةً واقتداراً فلعبت السوداء في راسهِ وظنَّ ان ملكهُ سلب منهُ بواسطة راشد باشا والي سورية الذي كان ماسونياً وساعد انطون سيور ولا يرد اليهِ ما فقد منهُ الاَّ بواسطة الماسونية فهجم مرة على محفل لبنان وهو منتظم ودخلهُ غصباً عن حراسهِ وحجابهِ واقفلت الجلسة بتهجمهِ وبعد الجهد الجهيد والملاطفة الزائدة انصرف الى بيتهِ

وجاء المحفل ثانيةً في النهار وكسر ابوابهُ ودخلهُ واخذ وشاحات الرئيس والموظفين واقفلهُ وسلم ما اخذهُ من المحفل الى المرحوم الارشمندريتي غبريل جبارة وكنا مرةً عند الارشمندريتي فاخبرنا بالقصة وقال انهُ ردَّ الوشاحات

الى المحفل . ولم ينوِ الحج وردة في تهجماتهِ على الماسونية اذيتها بشيء وكان يحترمها كل الاحترام وعند ما كان يشور كان يقول لهُ البعض بحياة الماسونية لا تعمل العمل الفلاني فيقتصر عن عملهِ

كنت مرةً مع صديق لي وعندنا بندقية وكان الحج وردة لا يستطيع رؤية السلاح فركض الى البندقية ومسك حديدها ووضعهُ على ركبتهِ فلواها فحلفناهُ بالماسونية فتركها ولم يتكلم. وكان حديثهُ طليًا واذا تكلم بموضوع من المواضيع يأخذ بمجامع القلوب . ومرة ألقى بنفسهِ من سطحٍ عالٍ الى الاسفل فوصل واقفًا ولم يصب بضرر . ومرةً سبح من ميناء بيروت الى البابور الفرنسوي مسافة اكثر من نصف ساعة بالليل ولما رآهُ البحرية انتشلوهُ وابقوهُ عندهم الى الصباح وسألوا عنهُ وردوهُ بامان لما عرفوا حالهُ وكان يصوم اسبوعًا بلا اكل ولا شرب ومرارًا كان يقضي اكثر من اسبوع لا يتكلم كلمة وما زال على هذه الحال حتى توفاهُ الله فاسف عليهِ كل من عرفهُ لانهُ كان كريمًا جوادًا محسنًا وكان جميع الناس يحبونهُ ويأسفون على ما اصابهُ ومع انهُ لم يكن ماسونيًا اسفت عليهِ الجمعية الماسونية شديد الاسف ومشى في جنازتهِ معظم اعضائها على اختلاف مللهم ونحلهم

اخلاص الماسونية

وقد ظهرت الماسونية في سورية في مظهر الاخلاص والمحبة اثناء الحوادث العرابية سنة ١٨٨٢ فان الاخوان المصريين والمهاجرين الذين جاؤوا سورية قابلهم اخوانهم بالترحيب العظيم ودعوهم الى محافلهم ومنازلهم وكان الافاضل الشيخ محمد عبده وابرهيم بك اللقاني وحسن بك الشمسي وجماعة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني وغيرهم يحضرون معنا في محفل لبنان ويخطبون فيشنفون اسماع السوريين بخطبهم النفيسة واحاديثهم الطلية ونال الاستاذ الشيخ محمد عبده رتبة البلح والصدف من المندوب الاميركي الذي حضر الى محفل لبنان وكنا وقتئذٍ من العاملين في المحفل وكان الفريق

الآخر من السوريين يعجبون بالفقهاء المصريين الذين يقرأون القرآن الشريف في الجوامع والبيوت ويرتلونهُ بانغامهم الشجية وكنت لا تسمع الاَّ الحديث بذكرهم والتودُّد اليهم من عموم السوريين واللبنانيين على اختلاف مللهم ونحلهم وكما كانوا في بيروت كانوا في دمشق الشام وطرابلس وغيرها من المدن . ولا تزال المراسلة والمواصلة مستمرة بين البلادين والفريقين ولا أُبالغ اذا قلت ان علاقة السوريين زادت بافاضل المصريين من ذلك الحين اكثر من سائر الاوقات ولاسيما الماسونيين منهم

بدعة الشرق السامي الفرنسوي

وقام الشرق السامي الفرنسوي الذي يتبعهُ محفل لبنان في بيروت ببدعة جديدة نسردها للقارئ بالاختصار

جرت العادة ان كل المشارق الماسونية والمحافل الكبرى لا تضم اليها من لا يعتقد بوجود الله وخلود النفس ولذلك وُضع هذا السؤَّال من ضمن الاسئلة التي يسأل عنها طالب الدخول في الماسونية وسجّل هذا الشرط في القوانين العمومية للمحافل الكبرى كلها وجُعل من ضمن الامور الاساسية القائمة عليها هذه الجمعية فخطر لبعض اعضاء الشرق السامي الفرنسوي الغاء هذا البند وعدم سؤَّال الطالبين عن الاعتقاد بالله والخلود وانقسم لهذا السبب الشرق السامي الى قسمين قسم موافق لرأْيهِ وقسم غير موافق لهُ ولما علمت بهِ المشارق السامية والمحافل الكبرى عدتهُ منافياً للعهود الماسونية وناقضاً لاهم اساساتها فنشرت في جرائدها ومحافلها كلها اعتبار الشرق السامي الفرنسوي ناكثاً للعهد مخالفاً للمبادئ الطاهرة مناقضاً للتعاليم الادبية وحرَّمت على اعضائها زيارة كل المحافل التابعة لهُ اذا كانت تصرُّ على الغاء الاعتقاد بالله والخلود ولما بلغ محفل لبنان هذه البدعة الجديدة قام اخوانهُ وقعدوا لهذا الخبر وكنت في مقدمة القائلين بالخروج عن طاعة الشرق السامي الفرنسوي اذا اصرَّ على بدعتهِ الجديدة واجتمعت باخواني اعضاء

المحفل واتفقنا فكتبنا الى الشرق السامي الفرنسوي اننا لا نرغب في الغاء السؤال عن الاعتقاد بالله والخلود واننا لا نحب حذف هذه العبارة من قانوننا فاجابنا الشرق السامي اعملوا ما تريدون وابقوا كما كنتم فسررنا لذلك ولا يزال محفل لبنان في بيروت يسأل هذا السؤال ويعتقد هذا الاعتقاد الى الآن ولذلك يزوره الانكليز والاميركان وتعرفهُ كل المحافل والمشارق السامية

ومحفل لبنان كغيرهِ من المحافل الشرقية عرضة للتقلبات والاضطهادات ولم يقم فيهِ الى الآن من يستنهضهُ الى الاعمال الاّ لقي اشد الاضطهادات والمقاومات . ومع ان اعضاءهُ من نخبة الاهالي تراهُ خاملاً في هذا الزمن والفضل كل الفضل للذين حافظوا ويحافظون على بقائهِ الى ان تتغير الاحوال ويأتي الله بالنجاح الاكيد

وقد تفرع من محفل لبنان محفل حلب في حلب سنة ١٨٨٣ برعاية الشرق السامي الايطالي ومحفل سورية في دمشق سنة ١٨٨٣ وكلا المحفلين نائم الآن وكانا زاهيين اثناء شغلهما

وقد زرت احدهما كما اشرت الى ذلك في الصفحة ٣٤ والصفحة ٣٥ من هذا الكتاب

نصوحي بك والي بيروت

ومن الحكام الماسون الذين كانوا في بيروت عطوفة نصوحي بك فانهُ كان متصرفًا فيها ايام كانت متصرفية ثم صار واليًا عليها لما صارت ولاية . ومما اذكرهُ لعطوفتهِ بالشكر والثناء انهُ اجاب ملتمسي مرةً بانقاذ مظلوم وتحرير الخبر كما يأتي

في اثناء الحوادث الهائلة والمذابح الفظيعة التي جرت في بلاد الشام وقيام الدروز على المسيحيين سنة ١٨٦٠ مسيحية كنت في قرية ابل السقي التابعة لقضاء مرج عيون من اعمال ولاية بيروت وبعد ما ذبح الدروز المسيحيين في حاصبيا جاؤوا الى ابل السقي ينشدون اغانيهم الحربية وقصدوا ذبح

المسيحيين وكنت طفلاً ألعب مع الاولاد واشاهد عملهم فالتجأ كل المسيحيين الى بيت الشيخ حسن غبار الدرزي فكانت عائلته تعولهم وتطعمهم وتهتم بهم الليل والنهار ولما حضر الدروز وارادوا دخول البيت وقف الشيخ حسن وامرأته بجانب الباب وطرحوا اولادهما الاربعة على العتبة وشهر الشيخ حسن سيفاً بيده وامرأته شهرت سيفاً آخر فكان عند ما يأتي الدرزي ويرغب في الدخول يحلفونه ايماناً مغلظة ان يذبح اولادهما قبلما يكسر حرمتهما ويدخل بيتهما ويفتك بمن اكل خبزاً وملحاً فيه ولا يخفى ان الشهامة من صفات الدروز فكانوا يحترمون الشيخ حسن وامرأته ويرجعون وبهذه الواسطة انقذا حياة المسيحيين من الموت وعالاهم الى ان استتب الامن والنظام في البلاد وعادت المياه الى مجاريها ودخلت العساكر الفرنسوية الى سورية

وكان بعد هذه الحوادث باربع وثلاثين سنة وانقلاب الاحوال وقيام الدروز في حوران ومحاربة الدولة لهم وكسر شوكتهم ان الحكومة أخذت جماعة من شبانهم لتنظيمهم في العسكرية وفي جملتهم الشيخ محمد اسعد غبار حفيد الشيخ حسن غبار الذي انقذ المسيحيين سنة ١٨٦٠ كما تقدم. والشيخ محمد صديق لي من الصغر وهو خطيب وشيخ مسجد (خلوة) الدروز في ابل فاستغاث للخلاص من العسكرية فلم تقبل استغاثته وتوسط له كثيرون من اعيان سورية ولبنان وامرائها قصد خلاصه من العسكرية ودفعوا البدل عنه فلم يقبل ايضاً وأُخذ الى رتيمو في كريت

وفيما هو في البحر ارسل اليَّ كتاباً الى مصر يستغيث بي لاني صديقه فكتبت الى عطوفة نصوحي بك واخبرته عن المعروف الذي عمله جده سنة ١٨٦٠ وقلت اني اتمنى منه ان يساعدني على انقاذ الشيخ محمد واني مستعد لدفع اضعاف البدل العسكري عنه اذا لزم الحال مكافأةً لمعروف سابق لاهله على مسيحيي بلدي وارسلت الى عطوفته ثانيةً عن يد صديق ماسوني لي اكرر الالتماس ليجيبني الى طلبي فحركته الشهامة الماسونية وبعث تلغرافاً كما افادني

صديقي والتمس من جلالة السلطان صدور ارادتهِ السنية باخلاء سبيل الشيخ محمد غبار وبعد اسبوعين بشَّرني صديقي الماسوني بالارادة السنية بلسان البرق انهُ أُطلق سراح الشيخ محمد غبار وبعد نحو عشرين يوماً يعود الى اهلهِ فكتبت لهم واخبرتهم بما تم فما صدقوا من فرحهم وبعد ٢٥ يوماً عاد الشيخ محمد الى بيتهِ واهلهِ واجتمع الدروز في خلوتهم وبعثوا اليَّ تحرير شكر على ما تم والى الآن لا ازال اشكر فضل نصوحي بك على معروفهِ . وبما ان حياتنا كلها تزول والاعمال المبرورة لا تزول فقد دوَّنت لهُ هذه القصة بمداد الشكر حاسباً ذلك من الآثار الماسونية التي كانت السبب في هذا العمل الحميد. والحق يقال اني لم ادفع شيئاً لخلاص الشيخ محمد سوى اجرة التحارير ولم يخسر صديقي شيئاً على نجاتهِ ايضاً . ولا يزال الشيخ محمد الى الآن بين اهلهِ وخلانهِ يدعو للذي كان السبب في خلاصهِ

والذي اعلمهُ عن الماسونية في سورية انها كانت زاهية في بدايتها اكثر مما هي عليهِ الآن وكان حقها ان تتقدَّم ولكنَّ السياسة الحالية غير السياسة الماضية فلذلك تأخرت المحافل في اجتماعاتها وأبطل كثيرون من اعيانها الاجتماع خوفاً مما يحدثهُ المفسدون

محفل فلسطين

وسنة ١٨٦٢ أُسس محفل فلسطين نمرة ٤١٥ وهو تابع لمحفل اسكوتلندا الاعظم ورأْسهُ المرحوم المستر الدرج قنصل جنرال دولة انكلترا في بيروت وفلسطين فاقبل الناس عليهِ اي اقبال ودخلهُ كبار رجال سورية واعيانها على اختلاف طوائفهم . ولما دخلهُ المرحوم الحاج حسين بيهم من كبار رجال بيروت واصحاب المناصب فيها طُلِب منهُ ان يحلف اليمين واضعاً يدهُ على القرآن الشريف بان لا يخون الجمعية ولا يبوح باسرارها فاعتذر انهُ لم يتوضأْ ولذلك لا يجوز لهُ القسَم ولا وضع يديهِ على القرآن فسمحوا لهُ بالوضوء في غرفةٍ ثانية واقسم يمين الامانة امام السدة الماسونية . وقد ذكرت هذه

القصة لابيّن احترام الماسونية للدين والاديان ومساعدتها المتدينين على احترام دياناتهم

ودخل محفل فلسطين المرحوم ناصيف بك الجزيني من كبار الطائفة المارونية وانضم الى الماسونية من تلك الطائفة المحترمة ايضاً عمون بك عمون وانطون بك عمون وخطار افندي ثابت وكثيرون غيرهم. وزها محفل فلسطين في ايامهِ ومع ان رسوم الدخول فيهِ كانت نحو ثلاثين ليرة كنت ترى اقبال الكبراء عليهِ من كل جهة

وسافر المستر الدرج الى البلاد الانكليزية سنة ١٨٦٨ فأُنشئَ محفل لبنان اثناء غيابهِ سنة ١٨٦٩ ودخلهُ كثيرون من محفل فلسطين ونام محفل فلسطين

ثم عقدت فيهِ بعض جلسات التحقيق كاتب هذه السطور في احداها يوم الخميس الاول من يونيو سنة ١٨٨٠ * وسنة ١٨٨٨ اجتهد بعض الاخوان فاحيوا هذا المحفل في بيروت ورأسهُ الاخ فرنك ودخلهُ جماعة من التجار والموسرين ولا يزال يوالي اجتماعاتهِ تحت رعاية محفل اسكوتلندا الاعظم

الجزويت ماسون

ومما اتذكرهُ اننا حينما كنا نجتمع في المحافل الماسونية في بيروت كان يجتمع معنا جماعة من رهبان الجزويت وكنت استغرب دخولهم الماسونية وسألتهم مراراً عن سبب دخولهم فيها وقلت لواحد منهم مرةً لا تؤاخذوني اذا اعتقدت انك جاسوس جزويتي لاني اعهد ان الجزويت يكرهون الماسونية ويعملون على مقاومتها وخرابها فتبسم وقال اني اعذرك على فكرك فاني اقاسي في هذه الرهبنة اعظم انواع الآلام واود الخروج منها في اول فرصة تسنح وقد لاقيت في هذه الاثناء مقاومة لان رئيسي شعر بميلي الى الماسونية واخشى ان ازور المحفل بهيئتي الاكليريكية لذلك اغيّر لباسي كما تراني بهيئة افرنجية فسألتهُ اذا سألك رئيسك هل انت ماسوني بماذا تجيبهُ

فقال " أيسوعي ويعسر عليهِ الجواب "فضحكنا وقاطع احد الاخوان حديثنا واجتمعنا بعد ذلك مرارًا على صفاء وهناء وما زلنا حتى افترق كلٌّ منا الى بلاد

قال صاحب تاريخ الماسونية العام في الصفحة ١٩٧ ما نصهُ

واشدُّ مقاومي الماسونية في سوريا جماعة الجزويت وقد انشأُوا لهذا الغرض وغيرهِ جريدة دينية في بيروت دعوها جريدة البشير وموضوعها مقاومة كل المذاهب والاديان الاَّ المذهب الكاثوليكي والايقاع بكل الجماعات الاَّ جماعة الجزويت وليس من غرض كتابنا التكلم عما وراء ذلك

عود الى محفل لبنان

ولهذا المحفل (اي محفل لبنان) اعمال خيرية كثيرة واحسانات تفرَّقت على المساكين وذوي الاسقام من الاخوة وغيرهم

ومن غريب ما يحكى ان احدى الطوائف المسيحية في سوريا اصيبت بنكبة فاحتاجت لمساعدة اهل البر فقرر محفل لبنان صرف مبلغ من النقود لمساعدتها فما كان من روؤساء تلك الطائفة الاَّ انهم وضعوا حرمًا صارمًا على كل من يقبل شيئًا من تلك المبالغ فكف اولئك المحتاجون عن قبول ما هم في اشد الاحتياج اليهِ اما المحفل فاغضى عن تلك المعاملة وجعل يسعى في طريق يمكنهُ بها ايصال تلك المبالغ الى اولئك المنكوبين فرأى ان يجعلها في يد احد ابناء تلك الطائفة غير المتعصبين وهو يوصلها الى اصحابها وهكذا حصل

فقس على هذا كثيرًا من مثلهِ وتأمل ما اقيم في طريق الماسونية من مثل هذه العقبات التي تخور لها الهمم وتُكره من اجلها الاعمال . اما العامة فلا تسأل عما غرس في اذهانهم من الكره والاحتقار لجماعة الماسون حتى اصبح اسمهم مرادفًا لادنى صفات الاحتقار عندهم فكانوا اذا ارادوا المبالغة في وصف احد الكفرة او المنافقين لا يجدون انسب من قولهم « فارماسون » للافادة عما في ضميرهم فهي عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق مختلس وما شاكل وكانوا

يقولون عن اجتماعات الماسون اقوالاً ما انزل الله بها من سلطان كلها اختلاق ذوي الاغراض يموهون بها على عقول السذج تكريهاً لهم بتلك الجمعية التي ربما كان في مبادئها ما يكشف الغطاء عن خداع اولئك وكان العامة ينقادون الى تلك الاراجيف انقياد الاعمى لما تلبد على افكارهم من غياهب الجهل والتقاليد مما يحول دون ابصارهم . والحقيقة اما الآن وقد ازهرت سوريا وعلى الخصوص مدينة بيروت بالعلم والفلسفة وتعددت فيها المدارس والجرائد وانتشرت فيها حرية الافكار واستنار العامة بالمبادىء الحقيقية فلم يعد السوريون على ما كانوا عليهِ من مثل ما تقدم لكنهم اصبحوا ينظرون الى الماسونية نظر الاعتبار والى ابنائها نظرهم الى رجال العلم واصحاب النفوذ وبعد ان كان هؤلاء الاعضاء يتسترون في اجتماعاتهم واذا سئلوا تجاهلوا واذا اتهموا تبرأوا اصبحوا يفتخرون بذلك اللقب افتخارهم باشرف الالقاب واصبح الخوارج يودون لو انهم في عدادهم ليجتزئوا من ذلك الشرف . وما ذلك الاّ لان الحق يعلو ولا يُعلى عليهِ ولا بد من احقاقهِ اما الباطل فكان زهوقاً

اما ما خلا مدينة بيروت فقد اقيمت محافل عديدة في دمشق وحمص وحلب وعيناب والاسكندرية وانطاكية واطنه جميعها او معظمها تابع للشرق الاعظم الايطاليانى وكثير منها متعطل عن الاشغال لاسباب مختلفة اخصها الاضطهاد لان عامة تلك المدن لم يبلغوا درجة من الاستنارة تؤهلهم من ادراك الحقيقة المجردة عن الاغراض ولعلها تبلغها قريباً باذن الله " انتهى

قدمية الماسونية الرمزية

ويزعم جماعة ان الماسونية الرمزية قديمة في سورية ولكني لم التحقق ذلك ويروي كثيرون قصصاً واخباراً تقليدية عن العرب وارباب الطرق والاشاير تقرب من الاصطلاحات والآداب الماسونية واصطلاحاتهم ولا سيما في آداب الدروز

ويرغب كثيرون في الماسونية فينسبون لها القدمية وكل اثر يوافق رموزها بحسب اهوائهم واميالهم

جاء مدينة صور مرةً احد الاميركان وفتش عن آثارها ثم بنى قبرًا نخيمًا بجانبها ووضع عليهِ رخامة عليها زاوية وبيكار ودعا ذلك القبر قبر حيرام ابي الذي كان معاصرًا لسليمان الملك وقد ذكر في رموز الماسون وتقليداتهم اكثر من سواهُ كما يعلم كل استاذ ماسوني

محفل سليمان الملوكي

وينسب الماسون بناء هيكل سليمان الى اخوانهم ويستشهدون باشياء كثيرة وآثارات قديمة على احقية مدعاهم ولم اعثر في كل مطالعاتي على ما ينفي او يؤيد تمام التأييد كل هذا الكلام ولكني اظن كما يظن غيري ان الماسونية اقدم عهدًا في سورية وفلسطين مما ذكرهُ بعض الكتّاب . وسواء صحت دعواهم في ذلك او لم تصح فالثابت لنا ان اول محفل رمزي منتظم أُسس في مدينة اورشليم (القدس الشريف) كان تأسيسهُ في شهر مايو سنة ١٨٧٣ مسيحية تحت حماية المحفل الاكبر في كندا باميركا (وهي التابعة للحكومة الانكليزية) ولغتهُ الرسمية الانكليزية ويشتغل بالدرجات الثلاث فقط واسمهُ محفل سليمان الملوكي ونمرتهُ ٢٩٣ وقد دخل هذا المحفل جمهور غفير من نخبة اعيان القدس وما جاورها من البلاد وزارهُ كثيرون من اصحاب المناصب العالية من الوطنيين والافرنج وتأخرت اجتماعاتهُ مرارًا وكاد ان يقفل لولا الهمة التي بذلها في احيائهِ حضرة الفاضل رئيسهِ الحالي الاخ المحترم الخواجه وليم خياط كنشلير قنصلاتو انكلترا في القدس الشريف

وقد انتخب كاتب هذه السطور عضوًا فيهِ كما ترى في الكتاب الذي ارسلهُ هذا المحفل الموقر الينا وهو بحروفهِ

باسم مهندس الكون الاعظم

محفل سليمان الملوكي نمرة ٢٩٣ تحت رعاية المحفل الاكبر في كندا

حرية ∴ مساواة ∴ اخاء ∴

القدس الشريف في ٥ اذار (مارس) ١٨٩٧

حضرة الاخ الغيور الفاضل شاهين بك مكاريوس المحترم .

بعد القبلة الاخوية . . . . . بناء على خدمتكم للماسونية السنين الطوال وما لكم من الايادي البيضاء في خدمة الانسانية قرّر محفل سليمان الملوكي بجلستهِ القانونية المنعقدة في ٣ اذار (مارس) سنة ١٨٩٧ انتخاب اخوتكم رئيس شرف فيهِ بمصادقة جميع اخوان المحفل وكان لهذا الانتخاب ساعة سرور بيننا تبادلنا فيها عبارات الاخلاص والثناء على اعمالكم الجليلة . فنهنئكم من صميم الفؤاد ونسأل مهندس الكون الاعظم ان يديمكم لنصرة الانسانية والمبادىء الحقة الشريفة ويوطد بكم دعائم المساواة والحرية والاخاء . آمين

عن محفل سليمان الملوكي

محل ختم المحفل　　　　الرئيس

وليم اسعد خياط

وقد زارنا في شهري فبراير ومارس سنة ١٨٩٩ الاخ المحترم الخواجه وليم خياط المشار اليهِ واهدى الى محفلي اللطائف وبدر حلوان في مصر مدقات من خشب الزيتون للرئيس والمنبهين وحضرتهُ من اعضاء الشرف في المحفلين المذكورين . اما محفل سليمان فلا يزال يشتغل في القدس الشريف وقد تقلب على رئاستهِ جماعة من الافاضل وعادت رئاستهُ الى الاخ المحترم الخواجه وليم خياط مرارًا . والهمة مبذولة الآن في تأسيس محفل اكبر في اورشليم يدعى المحفل الاكبر الاورشليمي

وسنة ١٨٩٥ زار القدس الشريف جمهور غفير من ماسون اميركا وهم الذين زاروا مصر واحتفلت بهم محافلها كما ترى في غير هذا المكان وهناك انشأوا محفلاً دعوهُ محفل ام سليمان

محفل اسكلة سليمان الملوكي

وقد أُنشئ محفل في مدينة يافا على الطريقة المصرايمية في اواخر سنة ١٨٩٠ ودعي محفل اسكلة سليمان الملوكي وانتخب مؤلف هذا الكتاب عضو شرف فيهِ

ودعاني هذا المحفل الموقر الى حضور الاحتفال بافتتاحهِ رسمياً يوم الاحد في ١٢ ابريل سنة ١٨٩١ الساعة الثالثة بعد الظهر فكتبت اليهِ الكتاب الآتي

لمجد مهندس الكون الاعظم

ايها الاخوة الافاضل رئيس محفل اسكلة سليمان الملكي وانوارهُ واعضاءهُ الكرام حفظهم الله

اهدي اليكم التحيات الاخوية وابث اليكم اشواقي الفؤادية . وبعد فقد تلقيتُ كتابكم الكريم ودعوتكم اياي لحضور الاحتفال بافتتاح محفلكم الموقر وكنت اود لو مكنتني الفرص ان اتشرف بناديكم للتمتع بمرآكم ومشاركتكم في هذا العمل المبرور ولكن للضرورة احكاماً لا مردَّ لها فألتمس منكم صفحاً جميلاً وانتم خير من عذر . ولا أرى حاجة لان أؤكد لكم تعلقي بالماسونية وسروري بنجاحها وانتشارها ولذلك اقتبلت دعوتكم بالشكر والسرور وعندي ان كل ماسوني صادق يُسَرّ عند ما يرى ما انتم عليهِ من علو الهمة والثبات ويتمنى لمحفلكم كل تقدم ونجاح . ولا غرو ان تبلغوا ما تتوقون اليهِ وان يبلغ محفلكم ما تتمنون لهُ ما دام شعاركم الحرية والمساواة والاخاء وما دام اعتمادكم على مهندس الكون العظيم . وانني ارجو انكم تعيدون للماسونية ما كان لها

من العزّ والسؤدد في بلادكم التي هي مسقط رأسها ومنبت شعبتها ثم اهنئكم خالص التهنئة واسأله تعالى ان يمتعكم بتمام الغبطة والسرور

هذا ويسرّني ان اخبركم بالنهضة الماسونية في هذا القطر السعيد تحت حماية المحفل الاكبر الوطني المصري الموقر فقد تأسس حديثاً عدة محافل خاضعة له وزاد عدد الاخوان كثيراً وقد توفقتُ بحمده تعالى ومعاضدة نخبة من اخواننا المحترمين الافاضل الى انشاء محفل جديد باسم اللطائف تحت حماية المحفل الاكبر الوطني المصري ولغته الرسمية العربية·

ولنا وثيق الامل اننا نخدم الانسانية قدر الاستطاعة تحت رعاية سموّ الخديوي الانخم وبموازرة سعادة استاذنا الاعظم واخواننا الافاضل . واني اختم هذه الاسطر باهداء اذكى السلام واوفر التحيات اليكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن عموم الاخوان وابلغكم مشاركتنا لكم في العواطف الاخوية واكرر الدعاء بطول بقائكم غرة في جبين الزمان وتاجاً على مفرق الايام

مصر في ٨ نيسان (ابريل) سنة ١٨٩١ اخوكم

شاهين مكاريوس

فورد اليّ الجواب الآتي

محفل اسكلة سليمان الملكي بمدينة يافا

حضرة الاخ المحترم صاحب جريدة اللطائف الغراء

بعد المصافحة الاخوية الخ ... بيد المحبة والاعزاز تناولنا كتابكم الكريم . وتلي في محفلنا بحضور جميع الاخوان من اعضاء المحفل والزوّار من فرنسويين وانكليز وسوريين واتراك من الذين دعوا لحضور تكريس المحفل وقد تلاه حضرة الاخ عزتلو . . . . خطيب محفلنا الموقر فسرّ كل الحاضرين واثنوا على محبتكم وغيرتكم الماسونية جزيل الثناء. وحسب امر رئيسنا الاخ المحترم المسيو ميلو تسجّل بدفتر محفلنا تذكاراً شريفاً لخوتكم . وكُلِّفنا مع باقي اخواننا ان نقدمَ

لحضرتكم التحيات الاخوية والتشكرات على ما ابديتموه من الحب والغيرة الماسونية . . .

وتفصيل اجتماعنا على ما يأتي : في الساعة الثالثة بعد الظهر (١٢ ابريل سنة ١٨٩١) تم تكريس المحفل بحضور جمهور غفير من اخواننا من القدس الشريف والجهات المجاورة منهم الموسيو رونجيه مهندس السكة الحديدية بالقدس والموسيو سيمون مهندس سكة يافا والموسيو بيرو مهندس مينا بيروت والمستر وليم خيّاط محترم محفل سليمان الاورشليمي وفيس قنسلاتو دولة انكلترا الفخيمة بالقدس والمسيو لا نزون مدير الرجي والمسيو كريكوريان المصوّر المشهور والمسيو بريس رئيس معمل البارون روتشلد وغيرهم . . . . . وبعد انتهاء التكريس والاشغال الماسونية الشريفة توجهنا جميعاً الى نزل الاخ الفاضل الكافلير اسكندر عوض حيث أُعدّت لنا مأدبة فاخرة ولا استطيع ان اصف لكم ما لقينا من لطف اخينا صاحب النزل وانسهِ وما ابداه من مكارم الاخلاق والترحاب بعموم الاخوان . وفي اثناء مناولة الطعام خطب الاخوان خطباً كثيرة بالعربية والتركية واليونانية والفرنسوية . ثم انصرفنا ونحن نشكر مهندس الكون العظيم على ما اولانا من كرمهِ ونعمهِ

وفي اليوم التالي (١٣ ابريل) قبل في محفلنا اخ من اصحاب المقام في الحكومة . ثم اجتمع عموم الاخوان نهارًا في منزل حضرة الاخ الغيور اسكندر افندي عوض فاخذ حضرة الاخ المسيو كريكوريان المتقدم ذكرهُ رسم الجميع بالفوتوغراف بهيئة اجتماعية وانصرفنا ونحن نودُّ لو طال وقت الاجتماع . وكنا نشتهي ان تكونوا بيننا لنسر بمشاهدتكم ونلتذ بحديثكم المفيد ... نؤمل ان تقدموا تحياتنا لجمع اخواننا الماسون في مصر وتكرموا بافادتهم إننا نحسب انفسنا واياهم مرتبطين برباط المحبة والاخاء ونتمنى خدمة للعموم فنقضيها بمزيد الرغبة والشكر . ونهنئكم على تأليف محفلكم الموقر ونرجو لعموم اخواننا الصفاء والهناء والتوفيق والله يحفظكم لاخوانكم

يافا في ٥ نيسان و١٧ ابريل سنة ١٨٩١ . . الامضاءات . . . .

ودامت المراسلة بين اخوان المحفل ومؤلف هذا الكتاب الى الآن على اتم المودة والصفاء

مقلع حجارة هيكل اورشليم

اما الكلام عن هيكل سليمان الذي يقول بعض مؤرخي الماسون انهُ منذ بنائهِ كان الاخوان يجتمعون فيهِ ايام الماسونية العملية وعن حجارتهِ من اين أُخذت فاني انقل ما كتبهُ الاخ المحترم المستر اسكندر هنوَر في جريدة اللطائف السنة الخامسة والصفحة ١٢١ وما بعدها قال :

ان الذي يذهب الى الزاوية الجنوبية شرقًا من سور اورشليم يرى هناك بعض حجارة الهيكل القديم الذي بناهُ سليمان الملك و يرى مثل ذلك في الجهة الشرقية غربًا من الهيكل بنفسهِ

وقد اختلف الناس في امر المحل الذي جلب منهُ سليمان الحجارة وبقي امرهُ تحت طي الخفاء زمانًا طويلاً ولكن الجميع اتفقوا على ان هذا المقلع لا بد ان يكون قريبًا من اورشليم مستدلين على ذلك بانهُ لو كان بعيدًا عنها لكان قد تعذر اتمام بناء الهيكل في مدة سبع سنين

وحدث منذ ست وثلاثين سنة ان صيادًا رمى طيرًا خارج سور المدينة فدخل الطير في وكر عند اسفل السور فتبعهُ كلب الصياد ثم اختفى الكلب والطير ولم يقف الصياد لها على اثر فرجع الى المدينة واخبر بما كان واستحصل على رخصة بتوسيع ذلك الوكر وبعد ما وسعوهُ رأوهُ يؤدي الى مقلع واسع تحت الارض فلم يبقَ ريب في انهُ هو المحل الذي جلب منهُ الملك سليمان الحجارة العظيمة الى الهيكل. وقد نحتت في ذلك المقلع فلم يسمع صوت مطرقة ولا ازميل وقت البناء (وكان ذلك على ما هو مشهور ومعلوم في ايام الماسونية العملية حين كانت الاعمال تصنع سرًّا ولا سيما ما يتعلق باشغال البناء في انحاء كثيرة من المسكونة)

وقد ذهبتُ الى ذلك المحل برفقة حضرة الاخ المحترم السابق الجالس الآن على كرسي الرئاسة في هذا النادي الرحيب ومعنا ايضاً شقيقي الاخ القس هنور واستصحبنا معنا كمية من الشمع والمغنيسيوم للاضاءة . وبعد ان خطونا بضع خطوات نصب اخي شمعةً على دكة مرتفعة لنهتدي بضوئها الى طريقنا وقت رجوعنا . ودخلنا قلب ذلك المقلع العظيم فكنا نشاهد الصخور امامنا ونستغرب همة اولئك العملة ونظرنا كثيراً من الحجارة قد قُطِع ولم يتم نحتهُ وهندامهُ بعد. وما زلنا سائرين حتى وصلنا الى قاعةٍ كبيرة في وسطها عمود كبير وحولهُ عدة من الحجارة المنحوتة التي قُطعت من ثلاث جوانب فقط

اما كيفية قطع الحجارة في تلك الايام فلم تكن بالبارود بل بالخشب وذلك انهم كانوا فيما قيل يشقون الحجر ويدخلون فيهِ اسفيناً من الخشب ويبلونهُ بالماء فيتشقق. وربما كان لهم طرق اخرى لقطع الحجارة لم اقف عليها لان كثيراً من اعمالهم يدلُّ على مهارة عظيمة لم يتصل اليها علمنا في هذه الايام وبعد ما شاهدنا ذلك المنزل المهيب رجعنا الى قرب المدخل وسرنا نحو اليسار حتى وصلنا الى سطحٍ عالٍ فرأينا هنالك حوضاً من الحجر فيهِ ماء كان يشرب منهُ اخوتنا منذ نيف والفين وثمانمئة عام. وقد ذقناهُ فرأينا طعمهُ مالحاً وبقاء الماء كل هذه المدة على حالتهِ مما يوجب الاستغراب

وفيما نحن صاعدون رأينا اشعة نور ضعيف داخل من شقوق في سطح المقلع . فاستدللنا من هيئة المكان على ان جانباً منهُ تصدع اثر زلزلةٍ وبقي الجانب الآخر على ما هو عليهِ فحفظت بذلك آثار اخوتنا الذين كانوا يشتغلون هنالك جلاء نهارهم على نور السراج . ولا يخفى ما بذلك من التعب والعناء ولهذا السبب كانوا يأخذون اجورهم باستحقاقٍ جزاء همتهم وشغلهم المتقن المفيد . كل ذلك كان في ايام الماسونية العملية قبل تغيرها الى الحالة المشاهدة الآن. واذا كان اولئك الاخوة المتوفون مع قلة وسائطهم قد واظبوا على العمل بنشاط ولم يكن لهم سوى ذلك النور الضعيف الاصطناعي فعلينا

نحن خلفاءهم ان نقتدي بهم ونسير في اعمال هذه الحياة بنور السماء النازل علينا من فوق في هذه الفرصة المناسبة وفي وقت الحرية والاستعداد لنعمل كبنائين في مقلع هذه الحياة المظلم ناحتين حجارة الانسانية لتصير صالحة لبناء يرضي مهندس الكون العظيم " انتهى

محافظتي على عضويتي في محفل لبنان

ذكرتُ علاقتي بمحفل سليمان الملوكي بالقدس الشريف ومحفل اسكلة سليمان الملوكي في يافا ولم اذكر محافظتي على عضويتي في محفل لبنان مدة بعدي عن بلاد الشام مؤملاً ان انشر ذلك كلهُ عند الكلام عن الماسونية في القطر المصري ولكني رأيت ان ابيّن لقراء كتابي هذا ان فضائل الماسونية دعتني الى المحافظة على عهدي فثابرت اكثر من عشر سنوات على الاجتماعات الماسونية كلها مدة اقامتي في بيروت ولم اتأخر جلسةً واحدةً عن الحضور مهما كانت الدواعي الاّ لسبب مرض او سفر . ولما استوطنت مصر لم انقطع عن مكاتبات الاخوان عني منذ خمس عشرة سنة الى الآن ولم انقطع عن الكتابة اليهم وهذا مثال ما كتبتهُ في ٢٤ فبراير سنة ١٨٩١ الى محفل لبنان

باسم مهندس الكون الاعظم

ايها الاخوة الاعزاء رئيس محفل لبنان الموقر واعضاءهُ وانوارهُ المحترمون نقبلكم ونهدي اليكم اذكى التحيات الفؤادية والاشواق . وبعدُ فقد حظيتُ بكتابٍ من الاخ العزيز الغيور خليل الريس يفيدني بهِ عن تكرمكم علينا بانتخابي مع اخويَّ لوظائف شرفٍ في محفلكم الموقر فعينتم احدنا ناقلاً للعلم الماسوني والثاني حافظاً للعهد والعبد الفقير مدافعاً عن الماسونية فتلقينا هذا الانتخاب وهذه المنحة بالشكر والامتنان واثنينا على هممكم العالية وغيرتكم الاخوية ثناءً يقصّر هذا اليراع عن ايضاحهِ لانكم ذكرتمونا وقت احتفالكم السنوي وشربتم نخبنا وتمنيتم لنا الخير والنجاح وقد كان لذلك كلهِ احسن وقع

في نفوسنا ولم نرَ لدينا شيئًا يقوم مقام ما اظهرتموهُ من الحب والولاء الاّ ترديد عبارات الشكر والثناء

ايها الاخوة الاعزاء اني افتخر وافاخر بكم وبآدابكم وكمالكم وثباتكم وكفاكم شرفًا انكم مع اختلاف مذاهبكم وعقائدكم وتعصّب المنافقين عليكم وتألّب جيوش الشر لمحاربتكم غالبتم فغلبتم وصارعتم فصرعتم وفزتم بعد ذلك كلهِ الفوز المبين وبلغتم شأوًا لا يبلغهُ الاّ من كان لهُ مالكم من الحزم والتأني والثبات في الخطوب. ماذا اصف من فعالكم الحسنة وخلالكم الكريمة اتصدقكم على الفقراء والمساكين ام احسانكم الى الارامل والايتام ام مساعدتكم للاعمال العلمية والخيرية ان كل اعمالكم ايها الاخوة الاعزاء تستحق الذكر والشكر . وان لمحفلكم الموقر آثارًا يدهشُ الافكارَ اقلها فكيف اجلها ويستعبدُ الاحرارَ اكثرُها فكيف ايسرُها . ولا بدع اذا كان ذلك دأبكم ورئيسكم قد اشتهر بكمالهِ وفضلهِ وعلمهِ وعملهِ وخليلكم قد عرف بسلامة نيتهِ وصدق طويتهِ ومحترموكم السابقون لا تزال آثارهم الماضية والباقية تدلُّ عليهم وتشهد بفضلهم ونبلهم وخطيبكم قد احتمل اضطهاد اعداء الانسانية وهو العثمانيُّ الحرّ الذي اشتهر بالغيرة والثبات ثم بينكم الاخ العزيز الفاضل داود نحول والاخ الصادق الهمام ج . س وغيرهم من الاخوة الافاضل الذين لا عيب فيهم سوى سعة فضلهم وكمال صفاتهم ولقد كنتُ اودّ ان احلي جيد اللطائف بذكر اسمائكم جميعًا تخليدًا لمآثركم وآثاركم لولا خوفي ان اعداء الماسونية يغتنمون هذه الفرصة للطعن والتنديد ويسون آدابكم بما لا اريد . رعاكم الله ما احسن الاجتماع معكم تحت لواء محفل لبنان وسامح الله اعداءكم فانهم لو علموا بما انتم عليهِ وانصفوا لعضدوكم وشجعوكم ولم يصرفوا جلّ اهتمامهم الى احباط مساعيكم على ان من كان مثلكم لحريٌّ بان لا يكترث لهؤلاء القوم . فسيروا بعون القدير غير مبالين بسوى خدمة الانسانية يا جنودها وابناءها واذكروا اخوانًا لا يزالون يلهجون بذكراكم مهما بعد المكان واختلفت البلدان واعلموا ان

اخواننا الماسون في هذه الديار يردّدون ذكر مآثركم ويمتدحون اعمالكم ويحسبون انفسهم اخوانًا لكم في السرّاء والضرّاء ويتمنون ما نتمناهُ لكم من التوفيق والنجاح · والسلام

اخوكم

مصر في ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٨٩١ شاهين مكاريوس

***

وبعد كتابة ما تقدم زارنا جناب الاخ الفاضل خطار افندي ثابت احد اعضاء محفلي فلسطين ولبنان بمصر ولما كان من قدماء الماسون وافاضلهم الذين يشار اليهم بالبنان اطلعتهُ على ما كتبتهُ فاستحسنهُ وقال ان المرحوم يوسف بك ناصيف الجزيني وناصيف بك مشاقة قنصل الانكليز بدمشق والمرحوم الامير محمد الامين ارسلان كانوا من اول الداخلين في محفل فلسطين وان الذي انشأ ذلك المحفل هو ابو عزيز الاسرائيلي واول الماسون الذين اشتغلوا معهُ هم سليم افندي قشوع وحبيب افندي الجلخ ونقولا افندي حجي واخوهُ المرحوم لطف الله افندي حجي وخليل افندي شحاده . وفي مدة سفر المرحوم المستر الدرج اول مرة لانكلترا ناب عنهُ في القنصلاتو وفي رئاسة المحفل روجرس بك الذي كان وكيلاً للقنصلاتو في بيروت . وكان في جملة اعضاء محفل لبنان في اوائل تأسيسهِ سعيد بك تلحوق وبشير بك ناصيف وناصر الدين بك عبد الملك وحسن بك خضر وحمد بك حماده وسليم بك جنبلاط وغيرهم

***

ويتحجب الماسون في سورية اكثر من تحجبهم في كل بلادٍ دخلتها الماسونية لان كثرة الاديان وتشعباتها وتعصبات رؤساء الدين ضد هذه الجمعية يجعل التحجب كثيرًا

ولم اشاهد احتفالاً جهريًا ولا سمعت باحتفال جهري ماسوني مدة اقامتي في سورية كلها الاَّ يوم وفاة المرحوم لطف الله افندي حجي الذي كان

مدعياً عمومياً في بلاد الدولة العلية فانهُ لما توفي الى رحمة الله حمل نعشهُ
الاخوان الماسون وهم متقلدون لباسهم الماسوني جهراً وظلوا كذلك من منزلهِ
الى الكنيسة ثم من الكنيسة الى المدفن وهناك واروهُ التراب آسفين عليهِ
وخطب احد الاخوان بما ناسب المقام واعطي الماسون اشارة الحزن والاكتئاب
وفي ذلك الوقت استغرب الخارجون عن الماسونية حينما شاهدوا اكابر
الطوائف على اختلاف طبقاتهم واجناسهم من تلك الجمعية الشريفة في
مظهر لم يعلموهُ من قبل فاثر ذلك فيهم ايَّ تأثير

ومما اتذكرهُ ان احد رؤساء الدين وقف مرة في دمشق بالكنيسة
ووعظ عظةً مفيدة ثم تطرَّق الى ذكر الجمعية الماسونية فقبح في اوصافها وذكرها
بما هي بريئة منهُ وكان حاضراً المرحوم ميخائيل افندي نعمة وغيرهُ من
اكابر اعيان الدمشقيين الذين انضموا الى سلك الماسونية فخرجوا من الكنيسة
واظهروا للرئيس الروحي استياءهم من تعرضهِ لما لا يعنيهِ . وقد قابلتهُ بعد
ذلك مراراً في اوقات وازمان مختلفة فاظهر لي انهُ لا يعود الى مثل ذلك
ولاسيما لما تحقق ان اكثر اعيان طائفتهِ منها ولام المتسببين بهجوها

***

ومما يذكر بمداد الشكر لمحفل لبنان تعيينهُ لجاناً لافتقاد المحتاجين ايام
اعيادهم وكسو الفقراء وتوزيع المبرات على قدر طاقتهِ في اوقاتٍ مختلفة .
ولكن الذي يلام عليهِ ذلك المحفل تقصيرهُ في اجراء الصلح بين بعض
الاخوان الذين دخل بينهم الشقاق واتصل الى حد الاضرار بالمصالح المدنية

ولما رأى ماسون بيروت ان المحفل الاكبر المصري آخذٌ في التقدم
ولغتهُ الرسمية العربية التي هي لغة ابناء سورية كتبوا اليَّ لاسعى لهم في
التصريح بانشاء محفل في بيروت تحت حماية المحفل الاكبر المصري فخدمتهم
بذلك كما ترى على الصفحة ٦٢ من هذا الكتاب ودعوهُ فينيقية

ولما أُقفل ابدلوا اسمهُ بمحفل حرمون وصاروا يشتغلون فيهِ في محل

محفل لبنان ولكن احوال السياسة تلجئهم الى التستر فلا امل بنجاحهم

والذي يشتغل الآن في بيروت (سنة ١٨٩٩) محفل لبنان التابع لشرق فرنسا الاعظم برئاسة الاخ المحترم الخواجه جرجي ديمتري سرسق الترجمان الاول في القنصلية الالمانية الجنرالية ولغتهُ العربية

ومحفل فلسطين التابع لمحفل اسكوتلندا الاكبر ومحفل حرمون التابع للمحفل الاكبر الوطني المصري ورئيسهُ الحالي الاخ المحترم الخواجه خليل الريس . واشغال هذه المحافل متأخرة لاسبابٍ معلومة

واما محفل سورية في دمشق ومحفل حلب في حلب فمتوقفان عن الاشغال من مدةٍ لشدة الاضطهاد عليهما وكذلك محل الاسكندرونة

الجنرال يوحنا كُورسن سميث

GENERAL JOHN CORSON SMITH.

بين الرجال العظام العصاميين الذين اشتهروا بالاجتهاد والفضل وجعلوا لانفسهم اسمًا عظيمًا في الغيرة على الصلاح وعلو الهمة والنخوة وصيروا بلادهم في مقدمة البلدان ووطنهم على احسن حال وحافظوا على الامانة والاستقامة والمثابرة على الخير العام والصيت الحسن والاتضاع والفعل المبرور والمودة الجنرال يوحنا كورسن سميث صاحب هذه الترجمة

وُلد في مدينة فيلادلفيا في ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٨٣٢ وابواهُ اسكتلنديا الاصل وامهُ من بيت هارفي الشهير . وظهرت عليهِ مخايل النجابة منذ الصغر فكان نبيهًا ودرس الدراسة البيتية ثم مال الى العمل وهو حديث السن فوضعهُ ابواهُ في معمل القطن بوادي سكيلكل في مدينة نارستون ثم في ولنتون ولور كما يضع اكثر اهالي اميركا اولادهم في الصنائع لتعلمها من

صغر . وما زال يشتغل في هذه الاماكن حتى مال ميلاً شديدًا الى تعلم غيرها من الصناعات

وفي السادسة عشرة من عمرهِ دخل اجيرًا عند رجل يعمل بالتجارة والبناء في مدينة فيلادلفيا فمال الى هاتين الصناعتين واتقنهما حق الاتقان حتى عجب معلمهُ من ذكائهِ وواظب على العمل باجتهاد مدة خمس سنين متوالية فحصل بالاختبار ما لا يحصلهُ غيرهُ في كل حياتهِ وخصوصًا في البناء

ولما بلغ الحادية والعشرين من العمر وهو سن الرشد اشتغل مدة فصلي الصيف والخريف في رأس ماي وكيبورت نيوجرسي فاشتهر باتقانهِ الاعمال هنالك كما اشتهر بشغلهِ مدة فصل الشتاء في مدينة نيويورك

وفي صيف تلك السنة أُصيب بالهواء الاصفر الذي انتشر في شيكاغو ولما استطاع السفر سافر الى وادي مسيسبي واقام في غلينا يشتغل في صناعة البناء فبنى عدة مساكن عظيمة وجميلة الى الغاية منها كنيسة بنش ستريت شودست التي اشتهرت بانها الكنيسة العظيمة التي يصلي فيها الجنرال غرانت وعائلتهُ

وفي سنة ١٨٥٩ عين صاحب الترجمة بأمر الجنرال الي باركر المهندس المشهور رئيسًا لبناء ديوان الرسوم وادارة البوستة في ديبوكوايو فتوجه اليها وبقي يشتغل في هذا البناء الى حين ظهور الثورة فتوقف عن العمل ورجع الى غلينا واقام عدة جسور (كباري) على نهر ابل وغيرهِ من المجاري في مقاطعة جورافيس التابعة الآن لولاية الينويس

وفي سنة ١٨٦٢ ترك كثيرًا من المقاولات بعد ما خسر خسائر جسيمة وتطوَّع في سلك العسكرية وقيَّد اسمهُ في الالاي الرابع والسبعين في الينويس ففوَّض اليهِ الحاكم ياتس ان يجمع فرقة ويكون قائدها ومن ذلك الوقت ابتدئ بترتيب الالايات الى فرق فجعلوا كل ستة وتسعين الايًا فرقة وباختيار كل الذين جمعهم صاحب الترجمة انتخب ماجورًا في الجيش

وفي شهر اكتوبر (ت ١) من تلك السنة صدرت الاوامر الى الاي سميث بالذهاب الى سنسيناتي لمقاومة القوات الثائرة التي كانت تتهددها وعين حينئذٍ وكيلاً على الطبجية الحربية التي معها المدافع وذلك في حرب نيو پورت كڤنتون كنتوكي

وسنة ١٨٦٣ صدر الامر الى الايهِ السادس والتسعين لكي يأخذ رُوسكرانس من الثائرين الذين استولوا عليها فاستخلصها منهم بعد اظهارهِ بسالة عظيمة ثم حارب في فورت رونيلسون ثم أُرسل الى ناشفيل . وفي شهر مارس من تلك السنة ذهب الى فرنكلين وفان دورن ثم الى وتريون وفرنكلين

وبعد ذلك بقليل عين الماجور سميث ياورًا للعسكري الباسل الشجاع الجنرال ابسلوم بيرد الذي كان من الجيش القانوني فاقام بخدمتهِ زمنًا حضر في اثنائهِ عدة معارك فأظهر بسالة عظيمة وجعل اركان حرب للواء ستيدمان نخدم بكل امانة ونشاط وهمة وخصوصاً في حرب شيكاموغا وجبل لوك اوت وغيرها . وقد اقر الجنرالان جيمسن ستيدمان وغوردون غرنجر بشجاعتهِ وحذاقتهِ في حرب شيكاموغا فرقياهُ الى رتبة اسمى من رتبتهِ وتوجه بعد ذلك الى الحرب في شتانوغا فصعد في نصف الليل الى قمة موكاسن بسرعة وكان رصاص الاعداء المختلين جبل لوك اوت ينحدر عليهِ كالمطر وصوب المدافع الى قوات الاعداء وامر باطلاقها عند الصباح فاصابت قلب جيشهم وبدّدت شملهم فاشتهر اسمهُ كثيرًا

ثم استعفى وطلب ان يعود الى فرقتهِ فسُمح لهُ بذلك . وفي فبراير (شباط) سنة ١٨٦٤ توجه الى تنسي وكان مدعياً عمومياً الى ابتداء الحرب في اتكنتا حيث انضمَّ للمحاربة في روكي فايس ردج وريسالك وكنستون وعدة اماكن. وأُصيب في اثناء مقاومتهِ الاعداء مع فرقتهِ في كناسو ليلاً بجرح بالغ اضطرَّ بسببهِ الى الراحة اياماً. وفي شهر اكتوبر (ت ١) عاد الى ساحة القتال في ناشفيل مع انهُ لم يكن قد تعافى تماماً

وبعد ذلك بقليل عين رئيساً لمجلس الحربية ومأموراً في الجيش الى ناشفيل حيث بقي الى نهاية الحرب . وفي فبراير (شباط) سنة ١٨٦٥ رقي الى رتبة كولونيل وفي يونيو (حزيران) رقاهُ الرئيس جونسون الى نائب جنرال مكافأةً لهُ على خدمهِ الجليلة . وعند انتهاء الحرب جمع الجيش ورجع الى غلينا فعين معاوناً للتثمين في اواسط الولايات المتحدة وبقي في هذه الوظيفة الى ان تحوَّر العمل وأُحيل على الذين يجبون الاموال فانتقل الى شيكاغو وعينهُ حينئذٍ حاكمها جون بفردج نائباً دائماً لالينويس وذلك سنة ١٨٧٤ . وبعد تنظيم كل سواحل الولايات المتحدة عينهُ سكرتيراً لهُ وباجتهادهِ العظيم فاز على المقاومين في اظهارهِ حقوق الينويس وفاز في مطالبهِ

وانتخب الجنرال سميث في غضون الحرب سنة ١٨٧١ و ١٨٧٢ رئيساً اعظم للماسون حينما كان في غلينا في محفل اودفيلو بولاية الينويس وهو اول من نال كل الدرجات الماسونية واعلى وظائفها في تلك الولاية

وفي ربيع سنة ١٨٧٥ عين رئيساً لنظار ديوان التفتيش على الحبوب في شيكاغو وبقي فيها مدة كان في اثنائها عنوان الاستقامة فانس بهِ الحاكم بفردج وسلم اليهِ ادارة عموم المخازن وسكك الحديد . وفي ذلك الوقت كان الكلي الاحترام الرئيس الاعظم للمحافل الماسونية في ولاية الينويس الاخ جون بارسون وهو من اعزّ الاصدقاء لصاحب هذه الترجمة

وكان سميث من اشد المحبين للجمهورية فعين سنة ١٨٧٨ وكيلاً للخزنة في الولاية وكان بيت المال غير محكم البناء ولذلك لم يكن بمأمن من السرقات فنبه اعضاء المجلس الى ذلك الامر ولكنهم لم يصلحوهُ واتفق انهُ حصل انشقاق بين الاحزاب السياسية بسبب هرطقة غرينباك فسُرق منهُ خمسة عشر الف ريال فدفعها سميث من مالهِ الخاص ولم يسترجع منها شيئاً . وباتفاق كل الاحزاب انتخب ثانيةً اميناً للخزينة وذلك لثقة الناس بهِ ومحبتهم لهُ وكانت الولايات الاميركية تنضم الى حزبي الديمقراطيين والراديكاليين فانضمَّت

احدى عشر ولاية الى الحزب الديمقراطي ولكنَّ ولاية الينويس لم تنضم اليها لان رأي سميث وميلهُ راديكالي ومال الشعب ميلهُ لمحبتهم لهُ وفي المؤتمر الجمهوري الوطني الذي عقد من سنة ١٨٧٢ الى ١٨٧٦ في فيلادلفيا وسنسناتي كان نائباً عن مقاطعة غلينا ايضاً

وسنة ١٨٨٤ انتخب قائم مقام باكثرية الاصوات وعين عضواً في مجلس الاعيان عن ولاية الينويس فاكتسب مديح كل الاحزاب لعدم تشيعهِ فيهِ الى حزبٍ دون الآخر وحسن تصرفهِ في الامور وترقى الى رتبة جنرال فلم تزدهُ الرتبة الاَّ اتضاعاً وكمالاً وعين حاكماً لشيكاغو فحكم بالعدل والانصاف وحبَّب الناس اليهِ حتى كان يُضرَب بهِ المثل في اللطف والاتضاع

وقد اعتزل الاشغال حديثاً وخصص اوقات الفراغ للسياحة في البلدان الاجنبية فجاء الشرق في سنة ١٨٩٢ وبرفقتهِ المرحوم كليفورد مكله الذي توفي في بورت سعيد عند رجوعهِ من سورية وكان الجنرال سميث قد تخلف عنهُ في بلاد الانكليز لاصابتهِ بالنزلة الوافدة ولما تعافى جاء مصر وسأل عنا وزار ادارتنا ومنزلنا . فتعرفنا بهِ مع كثيرين وزار محفل الثبات الماسوني وتوجه الى الصعيد وعند رجوعهِ استدعى صاحب هذه الجريدة وبحضور جمهور من الماسون الافاضل في هوتيل شبرد قلدهُ النيشان الماسوني العالي الشان قائلاً انهُ لم ينلهُ سوى خمسة في الغرب وانت في الشرق وقد ودعهُ جماعة من الاخوان الماسون في مصر واكثر اعضاء محفل اللطائف فسافر الى سورية ومنها عاد الى وطنهِ في شيكاغو ولا زال يتحفنا بمقالاتهِ ومؤلفاتهِ وينشطنا بلطيف محرراتهِ

اما خدماتهُ الماسونية فاشهر من أن تذكر فقد رقي الى كل الدرجات والرتب من حارس الى رئيس اعظم وذلك في محفل مينر نمرة ٢٧٣ في غلينا في مايو سنة ١٨٥٩ . وفي ١٥ مايو سنة ١٨٦٠ دخل في الرويال ارش (العقد الملوكي) في مقام جودافيس تشبتر نمرة ٥١ في غلينا فبقي خمس سنوات

رئيساً على محفل مينر وسبعاً رئيساً في العقد الملوكي وغيرتهُ على الماسونية من يوم دخل فيها الى الآن لا تزال على ازدياد والاعمال الخيرية التي عملها والمشروعات المفيدة التي باشرها والاموال الوافرة التي انفقها تقدَّر بملايين من القروش والحمية التي رأيناها فيهِ مع اللطف والكمال لم نرَ مثلها الاَّ نادراً. وقد ارسل الينا حديثاً رسمهُ ورسم نجلهِ الاكبر وهو يشابه أباهُ في غيرتهِ وهو حائز ايضاً على الدرجة الثالثة والثلاثين الماسونية .

اما بيت الجنرال سميث فمنتدًى للاعمال الخيرية الصالحة وملجأٌ للمحتاجين والمعوزين والخيرات التي تصدر منهُ سنوياً قلما تصدر من بيت آخر مثلهُ . وقد اطلعنا على احدى الجرائد الشهيرة وعنها نقتبس بعض ما وصفت بهِ الجنرال سميث قالت :

تزوَّج بالسيدة شارلوت غلاير من غلينا سنة ١٨٥٦ وقد رزقهما الله اربعة ذكور وبنتاً ولكن توفي احد الاولاد وهو فردديك باركر سنة ١٨٦٣ في ناشفل تنسي بينما كان والدهُ في الجنوب . واولادهُ الثلاثة ايضاً اعضاء في الماسونية ولهم اربعة احفاد اثنان منهم ينتظرون الانتظام في سلك الماسونية . وقد كان بيتهُ كل هذه المدة بيت سلام وسرور وعائلتهُ من اسعد العائلات وكان ولا يزال قدوةً لجميع اصدقائهِ ومعارفهِ في كل اعمالهِ الداخلية والخارجية مدققاً فيها لا يخاطر بالشرف في سبيل الغنى محبوباً من الناس اميناً صادقاً ابيّ النفس الى درجة لا تحد حنوناً شفوقاً ذا مهارة ومقدرة عظيمة تتغلب على كل العقبات الاَّ التي يستحيل مقاومتها . وبالاجمال انهُ رجل فاضل يستحق كل مدح وثناء وشكر وولاء .

اما انتظامهُ في سلك الماسونية فلم يزد في مناقبهِ وحسن اوصافهِ بل جعل اخوتهُ مديونين للفرص التي سمحت لهم بمعرفتهِ وللخدم العظيمة التي خدمهم بها بعد ذلك .

وليس من ينكر مقدار الشقاء والويل الذي كان محيقاً بالجنود الذين

قضوا شهداء الحرب وخاطروا بحياتهم هائمين في البراري والقفار حيث لا مأوى لهم وحيث كانت كرات الرصاص تنهمر عليهم كالغيث مفضلين هذه الحياة الشقية على السكنى في بيوتهم والجلوس على بساط الراحة والهناء وذلك ريثما يخمدون نيران الثورة ويثبتون للملا ان الولايات المتحدة ليست مجرد ولايات قد ضم بعضها الى بعض. فان المترجم به الجنرال جون كورسن سميث كان احد هؤلاء الابطال المجربين وحسبنا ان نقول عنه ما قاله احد رؤسائه المشهورين وهو انه ليس بين الجنود جندي احذق ولا اصدق وطنية ولا اليق بالاعتماد عليه من الجنرال سميث

وللجنرال سميث منزلة عالية في العشيرة الماسونية وهو معروف في المشارق السامية والمحافل الكبرى كلها ونعت في بلاده وفي الجرائد " بالماسوني الحقيقي " وقد انتخبه المحفل الاكبر الوطني المصري استاذ اعظم شرف فيه لما زار هذه البلاد ثانية واهدى اليه البرنس اوف ويلس ولي عهد مملكة بريطانيا العظمى أعلى نيشان ماسوني يعطى للاساتذة العظام وكافأته حكومته وبلاده احسن مكافأة

ومنذ عرفناه الى الآن لم تنقطع مراسلاته عنا اسبوعاً واحداً وله في كتابنا الجوهر المصون في مشاهير الماسون ترجمة مطولة ذكرنا فيها رئاسته على مجمع ابطال الماسون القدماء وسياحته حول الكرة الارضية مرتين وزيارته المحافل الماسونية واعمال البر التي عملها والكتاب السنوي الذي يصدره حاوياً المراسلات الكثيرة من سائر انحاء العالم وفيه خطوط ولغات ورسوم كثيرة مع صور من كتاباته الى ملكة الانكليز بعيد يوبيلها وغير ذلك من المراسلات التي تفيد القارئ وتلذ السامع . اطال الله عمره كنزاً للانسانية وفخراً للماسونية

المساعدة وقت الضيق

روى لنا احد الاخوان الماسونيين من ادباء سوريا انهُ سافر مرة الى باريس بقصد الاشتغال بالتجارة فاقام فيها بضعة اشهر خسر في خلالها بالبورصة كل ما يملكهُ واصبح يوماً وليس في جيبهِ من المال الاَّ مبلغ خمسة فرنكات فاسودت الدنيا في عينيهِ وضاقت بهِ عاصمة الفرنسيس على رحبها وادركهُ الليل وهو تائه في شوارع باريس يتأمل بما صارت اليهِ حالهُ بعد فقد مالهِ وهو غريب في هذه المدينة العظيمة لا صديق لهُ فيها ولا معين وبينما هو على هذه الحالة من اليأس والقنوط وقد حدثتهُ نفسهُ بالانتحار غرقاً في مياه السين اذ خطر في بالهِ انهُ ماسوني وكان يسمع ان الماسونية معززة الجانب في فرنسا فلاح لهُ ان يستدل على احد المحافل ويعرض عليهِ خدمتهُ ويطلب منهُ المساعدة فاطمأَنت نفسهُ حالاً واراح هذا الخاطر بالهُ وكان كنور الامل سطع في دجنة يأسهِ وقنوطهِ فذهب الى غرفتهِ في الحال واخذ من صندوقهِ علامات الماسونية التي معهُ وكسوة رتبتهِ فيها ثم خرج فاستدلَّ على احد المحافل فأُرشد اليهِ ولما وصلهُ لبس كسوتهُ الماسونية وتقدم من الحاجب فلم يمنعهُ من الدخول فدخل الى حيث الاخوة مجتمعون وكان بارعاً في اللغة الفرنسوية وقد عرف ان رئيس هذا المحفل الذي دخل اليهِ هو روشفور الكاتب الفرنسوي الذائع الصيت ولكنهُ لم يكن يعرفهُ شخصياً ومن حسن الحظ كان الامير امين ارسلان من جملة الموجودين بالمحفل فلما راهُ رحب بهِ وقدمهُ الى اخوتهِ الاعضاء فاقتبلوهُ بالترحيب ولما استقرَّ بهِ الجلوس وقف والقى خطبة وجيزة فصيحة عرض بها على اعضاء المحفل حقيقة امرهِ وما صار اليهِ حالهُ وطلب من المحفل مساعدتهُ ليس بالمال بل بايجاد عمل لهُ يقوم بهِ بما عهد بهِ من النشاط والقدرة على ادارة الاشغال التجارية والكتابية وغيرها وكان كلامهُ فصيحاً موَثراً فوقف

زوشفور واثنى عليهِ وطلب من الاعضاء المداولة في امرهِ فاستقر الرأي على تعيينهِ في عمل تجاري براتب ٣٠٠ فرنك بالشهر وبقي بهذا العمل بضعة اشهر بعزم ونشاط وكان في خلال تلك المدة معززًا مكرمًا شاكرًا الله على كونهِ ماسونيًّا الى ان أُصيب بداء اقعدهُ عن العمل فادخلوهُ احسن مستشفيات باريس ولبث فيهِ شهرين يعولهُ الاخوان وينفق عليهِ المحفل مع حفظ راتبهِ الى ان اشار عليهِ الاطباء بالعودة الى وطنهِ فسافر الى مصر على نفقة المحفل نفسهِ وهو الآن في هذه العاصمة وقد نال الشفاء التام ولا يزال يلهج ليلاً ونهارًا بفضل الماسونية وكرم الماسونيين

الماسون واولادهم

ارسل اليَّ صديقي الجنرال سميث من مدينة شيكاغو في اميركا جريدة انكليزية فيها رسم ثلاثة اشخاص باللباس الرسمي الماسوني وهم الجد والوالد والولد وهم من نخبة اعيان الولايات المتحدة الاميركية وانقيائها وعقب ارسال هذه الجريدة حضرت جلسة في احد المحافل الماسونية الانكليزية في مصر فنظرت في الحفلة شخصًا جليل القدر كبير السن فسألت عنهُ من هو فقيل لي انهُ الخواجه ووكر اتى من بلاد الانكليز لمشاهدة ابنهِ التاجر في مصر يرتقي الى درجة الرئاسة في محفلهِ. ولما كنت في بيروت بمحفل لبنان حضرت جلسة في ليلةٍ ماطرة دخل فيها شفيق بك المؤيد ياور جلالة السلطان عبد الحميد (الآن) وكان المرحوم والدهُ احمد باشا المؤيد العظم حاضرًا وكان شيخًا مسنًّا اتى من راس بيروت الى المحفل ماشيًا وكان محلهُ يبعد نحو نصف ساعة عن منزلهِ وكنا جيرانًا فعدنا ماشيين بعد نصف الليل فقال لي يا اخي ان اكثر اولادي من الجمعية الماسونية وقد دخلوها في حياتي وكنت خائفًا ان يفاجئني القدر واموت ولا انظر ولدي الصغير ماسونيًّا فالحمد

لله على جبر خاطري واني مع كبر سني افرح وأُسر بحضوري الاجتماعات الماسونية ويزيد سروري وانتعش عندما ارى احد افراد عائلتي انتظم في سلك هذه العشيرة الطاهرة وكان يكلمني والمطر يهطل علينا مدرارًا وكنت نشوان من طلاوة حديثهِ واتضاعهِ . ولما زارنا في مصر الجنرال سميث كان اول حديثهِ ان اولادي ماسون مثلي ايضًا وابني الكبير رئيس محفل واعطاني جريدة فيها قصة غريبة عن ابنهِ وهي انهُ اشتغل يومًا وليلة في محفلهِ بطولها فكرس ورقى ٢١ اخًا وهو مما لم يسبق لهُ نظير في التاريخ الماسوني وكان يتهلل ووجههُ يطفح نورًا عندما يكلمني

وعندما زرت الامير عبد القادر الجزائري الحسني بمنزلهِ في دمشق الشام قال لي الحمد لله فان ولديَّ محمدًا ومحيي الدين اخوان ايضًا وقد اجتمعت بالامير محمد باشا في محفل سورية بدمشق كما اشرت الى ذلك في غير هذه النبذة وما ذكرت هؤلاء الافاضل الاَّ لابيّن ان الجمعية التي يسعى الوالد لضم ابنهِ وفلذة كبدهِ اليها ليست الاَّ جمعية طاهرة أُنشئت على دعائم الفضيلة ولا انكر ان كثيرين من الوالدين الماسون ربما منعوا اولادهم من الانتظام في عضويتها اما لعدم اهليتهم او لانهم هم انفسهم كانوا يظنون ان في الجمعية اشياء توافق مرامهم ولما دخلوها وجدوا العكس فلا هي رغبت فيهم ولا هم رغبوا فيها ولذلك لم يفلح فيها الوالد والولد وقد يكون الوالد ماسونيًا غيورًا مثل المرحوم الدكتور ي . ج في مدينة بيروت وبعد وفاتهِ تقوم الجمعية بتربية بنيهِ وتعضيدهم واسعافهم ولا يدخلها واحد منهم بل ربما كانوا من اول المنادين بهجرها والابتعاد عنها

وقد أُتيح لي ولجماعة من الاخوان الافاضل انشاء محفل في مدينة حلوان دعوناهُ محفل بدر حلوان وكان من حظي ان الاخ المحترم المسيو نادل ادخل نجلهُ فيهِ وكذلك الخواجه ميرس . ولما ارتقى الموسيو جاك نجل المسيو نادل الى الدرجة الثالثة وقف في المحفل وقال " اني اشكر فضل سيدي الوالد

الذي سمح لي بالانتظام في سلك هذه العشيرة الطاهرة وبما اني اتممت رغائبهُ في الجمعية التي يحبها فاعاهدكم على اني ابذل جهدي وصحتي وآخر نقطة من دمي حبًّا بها وبوالدي الذي لما كبرت احب مؤاخاتي ايضاً" وكان ابوهُ يسمع كلامهُ واسرتهُ تبرق ولم يتمالك عن البكاء من الفرح

ولما أُتيح لي ادخال ولدي سليم الى محفل بدر حلوان وقفت لاشكر المحفلْ والاخوان على سرورهم معي فلم استطع الكلام الاَّ قليلاً فقلت بالاختصار اني منذ واحد وعشرين سنة سألتُ الله ان يحيي الولد حتى اذا بلغ السن القانوني للانتظام في الاخوية الماسونية وشاء الدخول فيها بلا اجبار ولا اكراه ساضمهُ اليها واتبع المثل الدارج (اذا كبر والدك آخيه) وقد منَّ الله عليَّ بهذه المنة فاهنئ نفسي . ولما قام ولدي وتكلم في المحفل قال في جملة كلامهِ ما معناهُ " اني اتممت رغائب ابي في انتظامي بسلك هذه الجمعية الشريفة واعاهدكم على السير بموجب قانونها متبعاً خطة والدي الذي خصص نفسهُ لخدمتها وخدمة الانسانية حياتهُ بطولها " فصفق لهُ الجمهور استحساناً

نشرتُ هذه النبذة مؤملاً ان قراء كتابي هذا ولاسيما الماسون منهم يبذلون جهدهم في بث روح الفضيلة ليقتدي ابناؤهم بهم ويسيروا كما سار والدوهم فيكونوا حجارةً صالحة في البناء الانساني

- عشرة لا يندم على فعلها الماسوني وهي

(١) عمل الخير للجميع (٢) الاحتراس من الغيبة (٣) التروي قبل الحكم (٤) التذبير قبل النطق (٥) كبح اللسان عند الغضب (٦) الرقة نحو المسكين (٧) الاستغفار عن الزلل (٨) ابداء اللطف والبشاشة (٩) صم الآذان عن النم (١٠) عدم تصديق كل محدّث

الاخلاص الحقيقي في الحياة والموت

قال احد رؤساء الماسونية انهُ جاء مصر شابٌ ماسوني من اعضاء محفل الكمال الذي كان في طنطا وكنت اعرفهُ من الصغر فطلب مساعدتي ادبيًّا وماديًّا فلبيتهُ وابتدأ بعملٍ تكلل بالنجاح غير انهُ لم يتم توفيقهُ لان بعض الاصحاب امالوهُ للسهر معهم واغروهُ بلعب القمار ولما تورَّط في معاشرتهِ للمسرفين خسر مالهُ وصار يستدين من الآخرين ولما شعر بعظم خطائهِ ولم يعد يمكنهُ الرجوع الى حالتهِ الاولى ادَّى بهِ الهم الى مرضٍ عضال القاهُ طريح الفراش

ومع انهُ كان لي دين عليهِ كنت ازورهُ واعطيهِ كل ما يطلبهُ مني وكنت اشعر ان علاقتي الماسونية معهُ تزيدني لهُ حبًّا وشفقةً على حالهِ . وما زال المرض يشتد عليهِ حتى توفي وليس عندهُ شيء وترك والدةً واخوةً يبكونهُ ويعولون عليهِ ولا شيء عندهم من حطام الدنيا فاتيت مع قرينتي واستأجرنا آخرين وحضر بعض اخوان الماسونية في مصر والاصحاب اجابةً لدعوتنا الحدادية وخرجنا بهِ باحتفال حافل ودفعنا نفقات جنازتهِ وكل ما يلزم من المال واتينا بعائلتهِ من حلوان الى منزلنا وساعدناها قدر استطاعتنا حتى خففنا احزانها — كل هذا عملناهُ ابتغاء لوجه الله الكريم ومحافظةً على الواجب الاخوي الماسوني

ولا ازال اتحسَّر عند التفكر بحالة ذلك الشاب التعيسة والآخرة المرة التي لقيها في آخرتهِ مع انهُ كانَ من الطف الرجال وارقهم حديثًا وكنت اشتهي ان افديهُ بكل ما عزَّ لو امكن دفع البلاء ولكنهُ قضاء الله فلا مرد لحكمهِ

الامير عبد القادر الجزائري

هو الامير الشهير السيد عبد القادر بن محيي الدين بن المصطفى بن محمد ابن المختار بن عبد القادر بن احمد بن عبد القادر بن احمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن بشّار بن احمد بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي ابن احمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن سبط الرسول ابن علي بن ابي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم وامّ الحسن فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم

ولد في شهر مايو (ايار) سنة ١٨٠٧ مسيحية الموافقة شهر رجب سنة ١٢٢٢ هجرية في قرية القيطنة التابعة لايالة وهران في جزائر الغرب وكان المرحوم والدهُ من مشاهير العلماء الافاضل محبوباً ومحترماً من جميع ابناء بلادهِ معروفاً بحسن السجايا وكرم الاخلاق والوداعة

وربى ولدهُ عبد القادر حتى بلغ سن التمييز ثم ادخلهُ المدرسة التي انشأها في القيطنة لحفظ القرآن الشريف فيها وبعض مبادىء العلوم ونبغ في الذكاء وقوة العارضة ولما بلغ الرابعة عشرة من العمر ارسلهُ الى وهران ليتم درس العلوم والفنون فيها

واشتهر في السابعة عشرة من عمرهِ بشدة البأس وقوة البدن والفروسية حتى كان يشار اليهِ بالبنان بين الفرسان لمهارتهِ في ركوب الخيل واللعب على ظهورها ومطاردتهِ الحيوانات البرية في الغابات واصطيادها

وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٥٢ مسيحية الموافقة ١٢٤١ هجرية سافر مع والدهِ برّاً قاصداً الحجاز لزيارة الحرمين الشريفين واداء فريضة الحج فمرّا بحاشيتهما بالاسكندرية وزارا القاهرة وفيها المغفور لهُ محمد علي باشا فاكرمهما مزيد الاكرام . ومن القاهرة قصدا الحجاز عن

طريق السويس وبعد اداء فريضة الحج قصدا المدينة المنوّرة وعرّجا بعد الحج على دمشق مع الركب الشامي فقضيا فيها زمناً وسارا منها الى بغداد لزيارة مقام سيدي عبد القادر الكيلاني فنالا كل رعاية واكرام واخذا الاجازة بالطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري نقيب الاشراف وشيخ السجّادة القادرية ورجعا الى دمشق . ثم عادا من هناك الى الحرمين فحجا ثانيةً ورجعا الى وطنهما فوصلاهُ في اوائل سنة ١٨٢٨ م الموافقة سنة ١٢٤٣ هـ . وكان عبد القادر متوليًا خدمة ابيهِ في مدة سفرهما احترامًا لهُ مع كثرة الخدم الذين كانوا معهما وهذا دليل فضلهِ من الصغر ليقتدي الابناء بهِ في معاملة والديهم

ولم يزدد عبد القادر بعد هذا السفر الاّ شغفًا في العلم فاعتزل لتحصيلهِ ولازم الخلوة يطالع كتب العلم والفلسفة فدرس رسائل افلاطون وفيثاغورس وارسطوطاليس وتعمق في درس الفقه والحديث والجغرافية والفلك والتاريخ وكتب العقاقير وجمع مكتبة من اثمن مكاتب تلك الايام

وفي سنه ١٨٣٠ استولى الفرنسويون على الجزائر ونشروا المنشورات الرسمية بامتلاك البلاد واخراجها من ايدي العثمانيين فشق ذلك على القبائل العربية القاطنة في تلك الانحاء وانقضوا على الفرنسويين . وكان الفرنسويون تحت قيادة الجنرال برمونت وقد بلغوا جبل الاطلس فاضطروا للتقهقر الى الشطوط واخذوا في تحصينها ثم عادوا فاستولوا على مدينة وهران

ونتج عن مداخلة الفرنسويين وخروج جانب من تلك البلاد من حوزة الدولة العلية اختلال في الاحوال وسادت الفوضى فاجتمع المرابطون ورؤساء القبائل وفي جملتهم الامير محيي الدين والد صاحب الترجمة وتشاوروا في الامر فقرَّ رأيهم على الانضمام الى سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن فبعثوا اليهِ بذلك فوافقهم فدخلت الجزائر في سلطانهِ وخطب الجزائريون لهُ وبايعوهُ فغضب الفرنسويون وبعثوا الى مولاي عبد الرحمن يتهددونهُ

بالحرب او ينسحب جنوده من الجزائر ففضل الانسحاب فاجتمع كبار اهل الجزائر وتفاوضوا في امرهم فقرّ رأيهم على ان يقيموا عليهم الامير محيي الدين سلطانًا يرجعون اليهِ فذهبوا الى القيطنة (بلدتهِ) وطلبوا اليهِ قبول اقتراحهم وارادوا مبايعتهُ فامسك عن الاجابة فاصروا عليهِ وتهددوهُ بالقتل اذا تمنع فاجابهم الى ذلك على ان تكون تلك السلطة لولدهِ عبد القادر فقبلوا وكانّ عبد القادر يحارب الفرنسويين في مكان يقال لهُ حصن فيليب فبعثوا اليهِ وبايعوهُ وذلك سنة ١٨٣٢ م. الموافقة سنة ١٢٤٨ هـ . وسنهُ اذ ذاك ٢٥ سنة وهذه صورة المبايعة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد من لا نبيّ بعدهُ

الحمد لله الذي جعل نصب الامام من مهمات الدين لتصان بهِ النفوس والاموال وتجتمع كلمة المسلمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآلهِ وصحبهِ اجمعين . وبعد فقال صلى الله عليهِ وسلم ان الله يحمي بالسلطان . ما لا يحمى بالقرآن . هذا في الزمان. الذي فاض فيهِ العدل . وارتفع فيهِ الجهل . فما بالك بزماننا الذي كثر فيهِ الباطل وانتشر . وارتفع الحق ولم يظهر لهُ أثر . حتى ان عداءً ملكوا كثيرًا من بلاد الاسلام . وتشتت الكلمة واختلّ النظام . ولم يجد الناس لقتالهم سبيلاً . ولا من يكون للجهاد دليلاً . فلجئوا الى الله تعالى ان ييسر لهم من يقوم بامر دينهم فما وجدوا من تتفق عليهِ كلمة اهل الحل والعقد سوى السيد محيي الدين بن المصطفى بن المختار . فلهُ على الدين اعوان وانصار . فطلبوا منهُ ان يبايعوهُ على السمع والطاعة فاعتذر لهم فاتاهُ بعض اعيان اهل غريس وقال لهُ ان اولياء الله اتفقوا على نصب ولدك الحاج عبد القادر خليفة لنصر دين الله فوافقهم على نصرتهِ لكونهِ ذا حزم وشجاعة واقدام . وعقل سليم صالح لتنفيذ الاحكام . فاتفق عليهِ اهل الحل

والربط ونصروه من غير طلب منه للامارة . ولا متابعة للنفس الامارة. بل بايعوه رغماً عليهِ . لانهم طلبوه بالله وتوسلوا اليهِ . برسول الله مدة تقرب من ثلاث سنين فوافقهم على البيعة موافقة لهم ورعاية لرفع الظلم عن الضعيف. ودفعاً للفساد والتعنيف. فحضر لبيعتهِ جميع اهل غريس الحشم شرقي وغربي وعباسي وعوفي وجعفري و برجي واولاد سيدي دحوا واولاد سيدي احمد بن علي والزلامطة ومغراوه والخلوية وبني شقران وغيرهم من اهل غريس واعلنوا لنصرتهِ والدعاء له وان يحموه بما يحمون بهِ انفسهم واموالهم واولادهم ونصروه نصراً موزراً فمن نكث فانما ينكث على نفسهِ واتفق علماء الاقليم على نصرتهِ ولم يخالف منهم احد وهم في حال طوعهم ورضاهم وفرحوا بهِ اشد الفرح لما كانوا عليهِ من الضيق والترح وكل من سمع بهِ من اهل الآفاق لا يزداد فيهِ الا رغبةً واشتياقاً لعلمهم بعقلهِ ونجدتهِ وصلاح رأيهِ فعلى من بايع ان يبذل جهده في النصرة ومن خذل فالله يتولى امره لقول الصادق الامين الدين النصيحة لله ولرسولهِ ولائمة المسلمين حضر ما ذكر من اعيان العلماء سيدي الاعرج والسيد محمد بن حوا ابن يخلف واخوته والسيد عبد الرحمن بن حسن بن ارحوا وابناء عمهِ ومن الزلامطة السيد محمد بن الثعالبي وابناء عمهِ وكافة جماعة اولاد السيد احمد بن علي حاصلة جميع علماء غريس حاضرون راضون وبحضرة كاتبهِ وابناء عمهِ وكتب في اوائل رجب الفرد سنة ١٢٨٤ ه .
محمد بن امنة بن عبد القادر عامله ربهُ بلطفهِ في الباطن والظاهر

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ وصحبهِ وسلم تسليماً

بعد انعقاد البيعة للامام الاعظم والسلطان الانجم ابن اخينا السيد الحاج عبد القادر ابن السيد محيي الدين احيا الله بهما دين الاسلام واعانهما على اقامة امور اهل الاسلام ودمر بهما الظلمة واهل البغي والعناد والفساد اجبناه بالسمع والطاعة وامتثال الامر ولو في ولد الانسان او نفسهِ وقدمناه على

نفوسنا وحقه على حقوقنا بعد حقوق الله ورسوله واداءهما واوصيه واياي بتقوى الله في السر والعلانية والوقوف على حدود الشرع ورد مسائله اليه واجتهاده وتشميره في زجر الشياطين اهل الاذاية كالمحاربين وقطاع السبيل واهل الغيلة والسرقة وغيرها ليتم بذلك امره ويتضح به تأييده ونصره وتشرق شمس الظهيرة على قلوب المؤمنين وتطمئن بخدمته وطاعته والمسارعة والانقياد والاذعان لتكاليفه واوامره اللهم ايده وانصره نصرا تعز به الدين وانفح التقوى على قلبه وقوة اليقين بجاه سيد الاولين والآخرين واحي به ما دثر من احكام الخلفاء الراشدين يا مالك الدين والدنيا والآخرة وادم فرحنا وفرح جميع اهل محبته ومحبتنا بما نحن فيه معتقدون واتمم لنا المقصود بما ينقطع به قلب الجحود امين وكتب علي بن مصطفى بن المختار امنه الله امين

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بعد انعقاد البيعة للعالم النبيه الصدر الوجيه الناظم الناثر ابي محمد السيد الحاج عبد القادر ابن عضد الملة والدين شيخنا السيد الحاج محيي الدين ابن شمس النهار شيخ مشائخنا واسلافنا ابي عبد الله السيد مصطفى بن المختار بوأ الله الجميع دار القرار من اهل الحل والعقد والامضاء والرد ممن ذكر اعلاه واطلاعنا على ما اتفق عليه السواد الاعظم وبه فاه لم يسعنا الا الموافقة عليه والجنوح لما استندوا اليه فالله يلهمه رشده ولا يمنعه رفده وان ينصر به الدين الحنيفي ويظهر به من امره ما كان خفي وان يصلح به وعلى يديه وان يجنبه راي المفسد والسفيه واوصيه واياي بتقوى الله في علانيته وسره ونجواه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قاله بفمه ورقمه بقلمه كاتبه عن عجل والقلب في وجل عبد ربه سبحانه ابن عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسني عفي عنه

الحمد لله

لما فتح الله للمسلمين ابوابهُ ويسر للخيرات اسبابهُ باجابة الولي الصالح القطب السالك الناجح شيخ اهل الفضل والدين مولانا السيد الحاج محي الدين لما طلبهُ منهُ المسلمون من تقديم ابنهِ الناسك الانجد العلامة الاسعد على الايالة الغربية وما انضاف اليها بعد اعراض دولة الاتراك . . . . عنها وابقاء اهلي الاقطار هملاً لعدم الامراء وتوهين النبلاء اجتمع من بهِ اتصاف بالحل والعقد على نصرة الابن المذكور مذعنين متلقين تلك النصرة بالفرح والسرور فعقد لهُ البيعة جملة من لهُ دخول لتدبير الامور من عالم وقارىء وشريف ورئيس من اي ناحية من اهل الراشدية وغيرها فبذلك ثبتت لهُ النصرة السلطانية على الخاص والعام يأمر وينهي فلا يسقط من امرهِ ونهيهِ ادنى كلام فعليهِ بتقوى الله فيما تولاهُ وهو ناصرهُ ومعينهُ على ما اولاهُ وكان من جملة مبايعيهِ الفقير كاتبهُ احمد بن التهامي وفقهُ الله امين

الحمد لله وحدهُ وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ وصحبهِ وسلم

ولما فسد الزمان وضاقت بالمساكين الاركان من كثرة النهب وقلة الامان ولم يجدوا من يصلح بأمر المسلمين من الاعيان سوى من ذكر فاتفقت كلمة المعتبرين من اهل الوطن على البيعة للسيد المذكور بالاعلي وانا عبد الله من جملة من اتفق معهم على ذلك فنسأل الله الغني الكريم الوهاب ان يسددهُ في جميع افعالهِ وان يمهد لهُ البلاد ويصلح بهِ الفساد ويهدي لهُ العباد وكتب محمد بن حوا كان الله لهُ

الحمد لله وحدهُ وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ وصحبهِ وسلم

وعلى ما تضمنهُ رسوم العلماء بالامام وافق الموافقة التامة كاتبه عبد ربه ابن المختار بن عبد الرحمن بن روكش امنهُ الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الطيب
الكريم وآلهِ واصحابهِ ذوي الفضل العظيم

حمدًا لمن فضل امة محمد عليهِ السلام . وخصها بمزايا لم يعطها احدًا من الانام . وجعلها خير امة أُخرجت للناس . يأمرون بالمعروف وينهون عن الارجاس والانجاس . هداهم بهِ الى الرشاد . وطهرهم من عبادة الاوثان والاصنام والانداد والاضداد . وجعلهم الشهداء على من سواهم من الانام . فشرف بذلك امرهم . ورفع قدرهم . وجعل اجماعهم حجة . وسبيلهم اقوى محجة . واوجب عليهم نصب امام عدل . وفرض عليهم اتباعهُ في القول والفعل . ليكف الظالم وينصر المظلوم . ويجمع شملهم بالخصوص والعموم . ويكافح بهم عدوّ الدين . لتكون العليا كلمة المسلمين . وصلاة وسلامًا على من صدع بالحق . ودعا الخلق الى القول بالصدق . وجاهد في الله حق جهادهِ . حتى استقام المعوج من فسادهِ . سيدنا ومولانا محمد اشرف رسول . واكرم شافع مقبول . صاحب المقام المحمود . والحوض المورود . وعلى آلهِ واصحابهِ اهل ودادهِ . وسيوف جلادهِ . الذين بذلوا انفسهم واموالهم في طاعتهِ . واوضحوا شريعتهُ . وبينوا طريقتهُ . فحازوا بذلك اسنى المراتب . ونالوا الدرجات العلا والمناصب . فهم نجوم الاهتداء . ومصابيح الاقتداء . هذا ولما تخلت الدولة العثمانية . . . . عن ولايات الجزائر واستولى الفرنسيس على مدينتي وهران والجزائر . اعادها الله دار ايمان وسلام . بجاه النبي عليهِ السلام . وطمحت انفسهم الى تملك الصحراء والجبال . والفدافد والتلال . وصارت الناس في هرج . وحيص بيص ومرج . لا ناهي عن منكر . ولا من بوعظ ينزجر * ولا بمفاجأة العدو يعتبر . قام من وفقهُ الله للهداية . وظهرت عليهِ العناية . من رؤساء القبائل وكبرائها . وصناديدها وزعمائها . فتفاوضوا في نصب امير يبايعونهُ . يسمعون لامرهِ ونهيهِ ويتابعونهُ . وجالوا

في ميدان افكارهم ممن يكون لذلك اهل . من ذوي الكمال والفضل . فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل . والمقام الجزيل . الاَّ ذا النسب الطاهر . والكمال الماهر . راس الملة والدين . قامع اعداء الله الظالمين . ابا المكارم السيد عبد القادر بن مولانا سيدي محي الدين . ايد الله بهِ امر المسلمين . واحيا بهِ ما درس من معالم اليقين . فبايعوهُ على كتاب الله العظيم . وسنَّة نبيهِ الكريم . ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدُ الله فوق ايديهمْ . ثم قدمت عليهِ الوفود . من سائر الجهات والحدود . فبايعوهُ بيعة تامة . كاملة عامة . بيعة سمع وطاعة . افرادًا وجماعة . بيعة عز وتعظيم . وتبجيل وتكريم . بيعة يعز الله بها الاسلام . ويخذل بها الفجرة الاثام يمنعونهُ بما يمنعون بهِ انفسهم واموالهم واولادهم . ويبذلون في مرضاتهِ ارواحهم واكبادهم . ان امرهم سمعوا . وان نهاهم خشعوا وخضعوا . يطيعونهُ ما ساسهم بالشريعة الغراء . وينصرونهُ في السرَّاء والضرَّاء . فمن وفى بيعتهُ . ينال مسرَّتهُ . واتقى مضرتهُ . ولاقى مبرتهُ . ومن نكث فانما ينكث على نفسهِ . وخسر في يومهِ وامسهِ . والله المسئول في هداية الخلق . الى الطريق الحق . والرأفة والرفق . ولما تممت هذه البيعة بكمالها . وطرزت بجلالها وجمالها . كمل سرورها . وتمت بدورها . بوزارة ذي النسب الاصيل . والكرم والسلسبيل . البطل الضرغام الشجاع المقدام . ليث الحروب . ومنجي الكروب . ابا المحاسن السيد الحاج محمد بن سيدي اعريبي اقام الله بهِ هذه الدولة السنية . وايد بهِ هذه الملة البهية . وممن حضر هذه البيعة وبايع . وسمع لها وتابع . من القبائل الشرقية . والاحياء الغربية . الوزير المذكور وروساء بني عمهِ من اهل الاعتبار السيد ابو عبد الله نفعنا الله بهِ . والاولياء والعلماء والفقهاء انجاد مدينة معسكر واحوازها كقبيلة بني شقران واهل قلعة هواري واحوازها من اقليم غريس واحيائهِ وعمائرهِ وعشائرهِ وشعوبهِ والقبائل الشرقية روساء العطاف وسنجاس واولاد القصير ومرابطي مجاجه وكبراء اصبيح

واولاد اخويدم واولاد العباس وعكرمه والمحال واحياء قبيلة افليته وافخاذها ورؤساء المكاحلية واحلافها وكبراء مجاهر والبرجية الشراقة والغرابة والزمالة والدوائر ثم القبائل اليعقوبية من الجعافرة والحساسنة واولاد ابرهيم ثم النجوع القبلية اولاد الشريف واولاد الاكرد واصدامه وخلاّفه وغير ذلك من قبائل المغرب الاوسط وافخاذهُ وعمائرهُ سهلهُ ووعرهُ ثم الكل ممن ذكرنا بايعْ عن نفسهِ وعن قبيلتهِ بالاذن العام . عن الخواص والعوام . حضر هذه البيعة القطب الرباني ابو المقامات والمنازل . والارتقاء الى مشرب مناهل اهل الله الاماثل . العارف بالله تعالى السيد الاعرج بن محمد بن فريحة . والولي الناسك . السالك . السيد محمد ابن حوا بن يخلف وحافظ العصر . وعلامة الدهر . الشيخ القاضي السيد ابن عبد الله ابن الشيخ المشرفي والعلامة ابو العباس السيد احمد بن التهامي وغيرهم من العلماء اهل الحل والعقد وقعت هذه البيعة العامة في ١٣ رمضان من سنة ١٢٤٨ كتبها خديم الشريعة السمحاء محمود ابن حوا حفظهُ الله وكلاهُ امين

وبعد المبايعة ذهب الى الجامع وصلى وحثّ الناس على الطاعة والسير بمقتضى الشرع الشريف والاقتداء بالخلفاء الراشدين (رضه) . واول شيءٍ باشرهُ جمع كلمة القبائل وضمها بعضها الى بعض حتى يقووا على مقاومة العدوّ الاجنبي واخراجهِ من بلادهم. وحارب بهم عدة مواقع فاز في بعضها ولاسيما في موقعة وهران فانهُ انتصر فيها انتصارًا مبينًا وكان يتقدم الجيش بنفسهِ ولا يبالي بكثرة العدد ولا برشق الادوات الحربية وكانت الجنود الفرنسوية تحت قيادة الجنرال ميشيل فصار يهابهُ الفرنسويون ويخشون بطشهُ . ومما قالهُ من قصيدةٍ طويلة في ذلك الوقت

ونحن سقينا البيض في كل معركٍ ... دماء العدا والسمر اسعرت الجوى
الم ترَ في خنق النطاح نطاحنا ... غداة التقيناكم شجاعٌ لهم لوى
وكم هامة ذاك النهار قددتها ... بجد حسامي والقنا طعنهُ شوى

واشقر تحتي كلمته رماحهم ثمان ولم يشك جوى بل وما التوى
بيوم قضى نحباً اخي فارتقى الى جنان لهُ فيها نبيٌّ الرضا اوى
فما ارتدَّ من وقع السهام عنانهُ الى ان اتاهُ الفوز راغم من عوى
ومن بينهم حملته حين قد قضي وكم رمية كالنجم من افقهِ هوى
ويوم قضى تحتي جواد برميةٍ وبي احدقوا لولا اولو البأس والقوى
واسيافنا قد جردت من جفونها وردت اليها بعد ورد وقد روا
ولما بدا قرني بيمناهُ حربة وكفي بها نارٌ بها الكبش قد شوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا يولي فوافاهُ حسامي مذ هوى
شددت عليهم شدة هاشمية وقد وردوا ورد المنايا على الغوى
نزلت ببرج العين نزلة ضيغمٍ فزادوا بها حزناً وعمهمُ الجوى
وما زلت ارميهم بكل مهندٍ وكل جوادٍ همهُ الكر لا الشوى

وكانت فرنسا على رغبتها في التفرد بسلطتها في الجزائر لا تحب المخاطرة بحملة كبيرة من جندها لقهر عبد القادر فاوعزت الى الجنرال ميشيل ان يعقد معهُ معاهدة صلح فذاكرهُ بذلك وتمت المعاهدة سنة ١٨٣٤

ولما هدأت الاحوال تفرغ عبد القادر لاصلاح شؤون داخلية بلادهِ واعداد المعدات الحربية لاعتقادهِ ان الحرب لا بدَّ من العود اليها فانشأ معامل لعمل الاسلحة وصبّ المدافع واصطناع البارود ونظم الجند . فاضطرَّ من اجل كل ذلك الى النفقات الطائلة فطالب القبائل بالزكاة عن المواشي فانتقض عليهِ بعضهم ولكنهُ تمكن بحسن درايتهِ من اخضاعهم ولم شعثهم فاتسعت سلطتهُ وامتدَّ نفوذهُ فشقَّ ذلك على الجنرال دي اورلين القائد الفرنسوي اذ ذاك فبعث اليهِ ان يلازم حدودهُ ولا يمد يدهُ الى خارج وهران فاجابهُ ان دائرة سلطانهِ غير محدودة بمقتضى المعاهدة المارّ ذكرها. فدارت المداولة بين الفريقين بالمسالمة ولكن مطالب عبد القادر لم تحز قبولاً لدى الفرنسويين فاضمر لهم الشرّ وامر بعض القبائل المقيمة بجوار وهران

ان تنزح الى داخل البلاد نخاف هؤلاء بطش الفرنسوية وطلبوا حمايتهم فطلب الامير الى الفرنسويين ان لا يحموهم فاستاؤوا وشهروا عليهِ القتال وساروا في خمسة آلاف ماشٍ وعدة من الفرسان وبعض المدافع ولكنهم رأوا من رجالهِ ما اضطرهم الى الانسحاب حالاً فعلم الامير بجهة انسحابهم فسار لملاقاتهم في مضيق وهم لا يعلمون فلما بلغوا المضيق هجم عليهم برجالهِ فأبلوا فيهم ولم يبقوا الاَّ على نفر منهم

وكان لهذه الغلبة رنة في باريس وقام الخطباء يحثون الحكومة على ارسال القوَّات اللازمة لقتال ذلك الامير البدوي وقهرهِ وكان عبد القادر يعرف كل ما يدور في باريس من هذا القبيل لانهُ كان يطَّلع على الجرائد الفرنسوية بواسطة تراجمة يحسنون فهمها فكان على بينة من مقاصد عدوّهِ

وفي نوفمبر سنة ١٨٣٥ قدمت الجنود الفرنسوية الى وهران لمحاربتهِ فقاتلهم ولكنهُ لم يفز فتفرَّق رجالهُ فعاد الى عاصمتهِ (مسكرا) ونزل في بلدٍ على مقربةٍ منها وهو في حالة اليأس الشديد خوفاً من نهوض الفرنسويين عليهِ وكانوا معسكرين في مسكرا فأصبح يوماً وقد اخلوها لغير سبب يعلمهُ فعاد هو اليها ونزلها فعاد اليهِ رجالهُ واشتد ازرهُ واخذ في مقاصة الذين عصوهُ

اما الفرنسويون فاحتلوا تلمسان فلاقاهم اهلها بالترحاب ولكنهم ضربوا على يهودها ضريبة كبيرة اعتذروا عن دفعها فاجبروهم عليها فندم هؤلاء على التسليم وصاروا يودون العود الى عبد القادر وكان ذلك مما شدَّد عزم الامير فجاء وطارد الفرنسويين واخرجهم من تلمسان ومما نظمهُ في ذلك الحين قولهُ

الى الصون مدت تلمسانَ يداها	ولبت فهذا حسن صوت نداها
وقد رفعت عنها الازار فلج بهِ	وبرّد فؤادًا من زلالِ نداها
وذا روض خديها تفتق نورهُ	فلا ترض من زاهي الرياض عداها
ويا طالما صانت نقاب جمالها	عداة وهم بين الانام عداها
وكم رائمٍ رام الجمال الذي ترى	فارداهُ منها لحظها ومداها

وحاول لثم الخال من ورد خدها   فضنَّت بما يبغي وشط مداها
وكم خاطبٍ لم يدعَ كفوءً لها ولم   يشم طرفًا من وشيِ ذيل رداها
وآخر لم يعقد عليها بعصمةٍ   وما مسها مسٌّ ابان رضاها

فغضب الفرنسويون في باريس وبعثوا النجدات القوية فحاربها عبد القادر مرارًا ولكنهُ انكسر في واقعة منها انكسارًا رديئًا انتقض من اجلهِ العرب عليهِ وفي جملة المنتقضين قاضٍ يقال لهُ سيدي ابرهيم وكان في نيتهِ خلع عبد القادر والاستيلاء مكانهُ فحمي غضب الامير لتلك الخيانة فجرَّد سيفهُ وعلقهُ بسرج جوادهِ وركب واقسم انهُ لا يغمد ذلك السيف حتى يقطع رأس ذلك الخائن . فلما بلغ منزلهُ امر باحضارهِ فاحضروهُ وهو يرتعش فضربهُ ضربة قطعت راسهُ فكان لذلك وقع عظيم في قلوب رجال عبد القادر فاجتمعوا اليهِ واستهانوا الموت في سبيلهِ فحمل بهم على مواقع الفرنسويين وضايقهم مضايقة عظيمة حتى قلت المؤن لديهم وقلت الذخائر لديهِ

فدارت المخابرة بين الفريقين في ان يتبادلوا التجارة فيبتاع كلٌّ من الفريقين ما يحتاج اليهِ وتمَّ الاتفاق على ذلك وهدأت الاحوال

وبعد ذلك بيسير قدم الجنرال بوجيد من قِبَل حكومة فرنسا الى وهران يستحث الجند الفرنسوي على القتال حتى يبيد الامير ورجالهُ او يقبل بهذه الشروط وهي

(١) اعتراف عبد القادر بسيادة فرنسا
(٢) تحديد مملكتهِ الى نهر الخليف
(٣) اداؤهُ الجزية لفرنسا

فعظمت هذه المطالب على عبد القادر واجاب انهُ لا يحق لفرنسا ان تشترط هذه الشروط وهي ليست المنتصرة في مواقع الحرب معهُ وتهدَّدها فشقَّ ذلك على الفرنسويين ولكنهم فضَّلوا الصلح على الحرب لعلمهم ان عدوَّهم عنيد باسل

وبعد المخابرات والاخذ والرد رأى بوجيد ان الحرب اولى لهُ لانهُ لم يستطع التوصل الى وفاق موافق لدولتهِ فعرض عساكرهُ فاذا هم لا يستطيعون مناوأة عدوّهم فاستأنف المخابرة بشأن الصلح وطال الجدال بشأنهِ حتى تمّ القرار عليهِ في ٣٠ مايو (ايار) سنة ١٨٢٧ فعقدت المعاهدة المعروفة بمعاهدة التافنا وفي جملة بنودها ان لا يسلم الامير شيئًا من شواطئ بلادهِ لدولة اجنبية الاّ بعد مشورة فرنسا وان يكون لكلٍّ من الامير وفرنسا قناصل في بلاد الآخر

ولما هدأ بال الامير من هذا القبيل وجه انتباههُ الى اصلاح الداخلية وتنظيم مملكتهِ والاستعداد للحرب لانهُ علم لحسن فراستهِ ان الحرب لا بدّ من استئنافها فعصاهُ بعض القبائل فاخضعهم بالسيف وحسن الدراية وكان الفرنسويون ينصرونهُ عند الحاجة. ومن جملة القبائل التي اقلقت راحتهُ بعصيانها قبيلة ارازق ولكنهُ ما انفك حتى اذلها وادخلها تحت لوائهِ

ثم بنى مدينة دعاها تقدمة وجعلها مركزًا تجاريًا وانشأ كثيرًا من المعاقل على النمط الافرنجي الحديث تحت قيادة قوّاد اوربيين وانشأ معامل للمدافع والاسلحة في تلمسان وغيرها واستخرج المعادن ونشط الصناعة والزراعة والتجارة واخذ بناصر العلم فافتتح المدارس حتى في الاحياء الصغيرة وكان في عزمهِ انشاء مدرسة جامعة في تقدمة تجمع بين العلوم الدينية الاسلامية والعلوم الحديثة . وضرب نقودًا فضية ونحاسية نقش على احد وجهيها « هذه مشيئة الله وعليهِ توكلت » وعلى الوجه الآخر « ضرب في تقدمة السلطان عبد القادر » وكان شديد السهر والتيقظ على مصالح بلادهِ حتى كان يتفقدها بنفسهِ

ولكن الاقدار لم تسمح باستمرار الامن لان الفرنسويين بعد ان استولوا على قسطنطينة ارادوا مدّ سلطتهم على البلاد الواقعة بجوارها وكانت في حوزة الامير فعارضهم بدعوى ان معاهدة التافنا تقضي لهُ بها فأصرّوا على

عزمهم وانكروا عليهِ الامر بتحريف كلمة من كلمات المعاهدة فاستأنف امره الى باريس فلم تنصفهُ الحكومة الفرنسوية فاخذ على نفسهِ الدفاع بالقوَّة وحصَّن الاماكن التي عليها الخلاف وبعث الى قائد الحملة الفرنسوية والى الموسيو تيير وزير فرنسا الشهير اذ ذاك ينذرهم بأن الاصرار على طلبهم لا يفيدهم الاَّ سفك الدماء فلم يعبأُوا بتهديدهِ ولكنهم قوّوا جندهم واخذوا يتظاهرون بالتأهب للحرب ظنًّا منهم انهُ يخاف عددهم وعدَدهم فيذعن بغير حرب وكان الامر بالعكس فانهُ ثبت على عزمهِ حتى انتشبت الحرب ونقهقر الفرنسويون الى الشطوط

فعظم الامر على الحكومة الفرنسوية وبعثت بالنجدات القوية فاشتدَّ ازر الفرنسويين وقاتلوا الامير بجوار جبال الاطلس وتغلبوا عليهِ وكان جندهُ النظام الافرنجي فعدل عنهُ الى النظام القديم فقوي على اعدائهِ واعادهم على على اعقابهم وكان يفوز عليهم في كل موقعة ودامت تلك المواقع ست سنوات . فتعبت فرنسا منهُ وهو لم يتعب فابدلت قائد الحملة وبعثت القائد القديم الجنرال بوجيد ومعهُ الجيوش المجيَّشة ولكنهُ لم يثبت امام ذلك البطل المغوار

ولما رأى الامير ان البلاد اصبحت برمتها ميدانًا للحرب بنى مدينة نقالة دعاها الزملة يلجأُ اليها المنهزمون بنسائهم واولادهم و يقيم فيها الصناع والعمال والخفر فحيثما انتقل الجند انتقلت تلك المدينة معهم وهي مؤلفة من خيم جعلها على نظامٍ فاذا نقلت من مكان الى آخر يعرف كلٌّ مكان خيمتهِ وامر رجالهُ ان لا يقتلوا اسيرًا واجاز من يأتي بالاسير حيًّا

وعلم الفرنسويون بالزملة وبما لها من المنفعة للامير ورجالهِ فاهتدوا اليها بخيانة بعضهم وهاجموها فاحرقوا وقتلوا ونهبوا ولم يبقوا عليها وكانوا قبل ذلك بقليل قد احرقوا تقدمة المدينة التي ابتناها الامير لنفسهِ

وكان الامير في احراش سيرسو فبلغهُ خبر حرق الزملة وتقدمة فتكدَّر

كدرًا لا مزيد عليهِ لعلمهِ ان ذلك يقلل من نفوذهِ ويقود رجالهُ الى الفشل ولكنهُ اظهر الجلد وقال لمن حولهُ « لا تخافوا ولا تحزنوا لان اخواننا الذين قتلوا قد مضوا الى النعيم » ثم نهض وجدد قوَّتهُ والف زملة جديدة واستنجد حكومة انكلترا فلم تنجدهُ ثم استنصر سلطان مراكش فلم ينصرهُ فاضطرَّ لان يقوم باعمالهِ بنفسهِ وهو ثابت العزم لا يثنيهِ شيءٌ ولا يخيفهُ امر

ولكن فرنسا انجدت جندها واغرت سلطان مراكش على معاضدتها فاشتدَّ الامر على الامير ووقع في وهدة اليأْس حتى حدَّثتهُ نفسهُ بنشر راية الجهاد والمسير برجالهِ الى مكة المكرمة تاركًا البلاد خرابًا لمحتليها وفيما هو يفكر في ذلك جاءتهُ نجدات عديدة من بعض القبائل فاشتدَّ عزمهُ وعاد الى الحرب حتى اصبحت الجزائر بجملتها ميدانًا للقتال وما زالت الحال كذلك الى نهاية سنة ١٨٤٦ فملَّ العرب وانحاز جانب منهم الى سلطان مراكش فاغتنم الفرنسويون تلك الفرصة واثاروا المراكشيين وانهضوهم على الامير وقتالهِ فبعثوا اليهِ جيوشًا حاربتهُ في اماكن مختلفة وكان الامير يقاتل بالامر الممكن لا تثنيهِ كثرة اعدائهِ ولا شدتهم ولكنهُ استاءَ من خيانة سلطان مراكش فبعث اليهِ يذكرهُ بالصداقة القديمة فاجابهُ اما ان يسلّم نفسهُ او ان يرحل الى براري الجزائر فكظم الامير على نفسهِ وفضل الاعتزال عن الناس على التسليم فاقام على الصلاة وتلاوة القرآن الشريف

وفي اواخر سنة ١٨٤٧ علم بقدوم المراكشيين لغزو زملتهِ ولم يكن فيها اكثر من خمسة آلاف اما المراكشيون فكانوا يزيدون على الخمسين الفًا فخاف الامير على رجالهِ وان يكن لم يعرف الخوف قبلاً وذلك لقلة رجالهِ ولكنهُ عادت اليهِ نخوتهُ فهجم ليلاً بذلك الجيش القليل وفرَّق شمل المراكشيين ثم عادوا فاجتمعوا ثانيةً وهاجموهُ فطاردهم وظهر عليهم ولكنهُ خسر جانبًا من رجالهِ فرأَى الانسحاب أفضل لهُ فرجع الى الجزائر فوصل مكانًا علم بعد وصولهِ اليهِ ان الجيش الفرنسوي على مسافة ثلاث ساعات

منهُ ورأى ان جيشهُ قد انهكهُ السفر والحرب فخشي ان يقع هو وزملتهُ في يد الفرنسويين لانهُ لا يستطيع الرجوع والمراكشيون من ورائهِ يطاردونهُ ولكنهُ عاد فرأى انهُ قد بذل قصارى جهدهِ فجمع اليهِ رجالهُ وخطب فيهم مفصحاً عما هم فيهِ من الضيق وقال " أراكم قد وفيتم بما بايعتموني بهِ و بذلتم جهدكم في معاضدتي واما الحالة الراهنة فتقتضي علينا بالتسليم للعدو وعندي ان التسليم للفرنسوية خيرٌ من التسليم للمراكشيين فما رايكم »

فأجابوهُ انهم على رأيهِ فنظر اليهم فاذا هم عدة من احسن الرجال واشدهم وقد رافقوهُ في حروبهِ خمس عشرة سنة فشق عليهِ ان ينتهي جهادهُ هذا بالتسليم للعدوّ ولكنهُ اذعن لحكم الضرورة قسراً وهو غير خائب لانهُ جاهد الجهاد الحسن مدة ١٥ سنة حتى نفدت الحيلة

واراد ليلة ٢١ دسمبر سنة ١٨٤٧ كتابة شروط التسليم فلم يستطع لتساقط الامطار وهبوب العواصف فبعث اثنين من خاصتهِ دفع اليهما ختمهُ شاهداً على صدق نيابتهما عنهُ امام قائد المعسكر الفرنسوي الجنرال لاموريسير فذهبا وعرضا الشروط ومن مقتضاها ان يبرح الامير بلادهُ و يسكن في مدينة الاسكندرية في القطر المصري بما معهُ من الرجال والنساء والاولاد او في مدينة بورصة فقبل الجنرال الشروط بغير تردُّد وسرَّ لانتهاء متاعب فرنسا في حروب هذا الامير واخبر فرنسا بذلك فابتهجت باريس بالخبر وهكذا سلم الامير وعند ما جاء لمقابلة الجنرال لاموريسير احتفل بهِ عند قدومهِ احتفالاً عظيماً وقابلتهُ الجنود الفرنسوية بالتعظيم والاحترام

وفي ٢٥ دسمبر سنة ١٨٤٧ سافر الامير عبد القادر بمن اراد مرافقتهُ من رجالهِ وعددهم ثمانون على دارعة الى طولون فقوبلوا بالترحيب ثم طلب الفرنسويون اليهِ التنازل عن اشتراطهِ السكنى في الاسكندرية او غيرها من المدن العثمانية وان يقيم في فرنسا بكل احترام وبكل ما يحتاج اليهِ فابى. ثم انقلبت حكومة فرنسا من الملكية الى الجمهورية و بعد اخذ ورد اجابوهُ

الى ما اراد ولكن اشترطوا عليهِ ان يتعهد بعدم الذهاب الى الجزائر فتعهد بذلك كتابةً هو ورجالهُ في اذار « مارس » سنة ١٨٤٨ وبات ينتظر الامر بالذهاب فورد عليهِ الجواب على غير المراد ومفادهُ ان الجمهورية تعدهُ اسيرًا كما تركتهُ الحكومة السالفة وجعلوهُ في السجن مع رجالهِ فتكدر الامير كدرًا لا مزيد عليهِ ولكنهُ كان يتأسى في سجنهِ بالكتابة والتأليف ورأى رجالهُ يتذمرون من الاسر فألحَّ عليهم ان يتركوهُ ويذهبوا لانهم غير مكلفين احتمال الاسر من اجلهِ فابوا الاَّ مرافقتهُ في السراء والضراء وبقوا في ذلك الاسر الى اكتوبر سنة ١٨٥٢

فقدر الله ان البرنس نابوليون كان متجولاً في انحاء المملكة فمرَّ بابيس حيث كان الامير مأسورًا فزارهُ ووعدهُ بالانقاذ وبعد بضعة ايام اطلق سراحهُ ودعاهُ الى زيارتهِ في باريس فقوبل فيها بالتجلة والاكرام وكان الباريسيون مطلين من الشبابيك والكوى لمشاهدة الامير البدوي الذي شغل دولة فرنسا ١٥ سنة بالحروب ثم دُعي الى زيارة البرنس نابوليون في قصرهِ فسار مع اربعة من اخصائهِ وكانت الحفلة حافلة فتكلم الامير معتذرًا عن عدم معرفتهِ العوائد الجارية في فرنسا وطلب الاغضاء عما ربما يأتيهِ مما يخالف ذلك وتعهد لهُ بعدم الرجوع الى الجزائر فشكرهُ البرنس واكرم وفادتهُ وبعد الغداء طاف بهِ في القصر واهداهُ جوادًا عربيًا . وبالاختصار ان احتفال البرنس نابوليون بالامير عبد القادر كان عظيمًا جدًا وبعد مضي شهر في باريس اتفق اجماع الفرنسوية على ارجاع الامبراطورية فكان الامير في جملة المنتخبين ووقع الانتخاب على البرنس نابوليون ولما تنصب زارهُ وهنأهُ فلقي منهُ كل رعايةٍ وبشرهُ بالتسريح الى بلاد الاسلام وفرَّق على اتباعهِ عشرين الف فرنك واخذ عليهِ العهد ان لا يرجع الى الجزائر واهدى اليهِ سيفًا مرصعًا مكتوبًا عليهِ « من الامبراطور نابوليون الثالث الى الامير عبد القادر بن محيي الدين » ورتب لهُ خمسة آلاف ليرة سنويًا تصرف لهُ شهريًا

وفي ٢١ دسمبر سنة ١٨٥٢ برح الامير فرنسا فوصل الاستانة فاحتفل بهِ سفير فرنسا هناك احتفالاً شائقاً وقابلهُ بعض الوزراء على الميناء ومعهم العجلات السلطانية والجياد الجياد وذهبوا بهِ الى المابين وقابلهُ جلالة السلطان عبد المجيد خان واحتفل بهِ احتفالاً عظيماً بما يليق بمثلهِ واكرمهُ غاية الاكرام واهدى اليهِ داراً عظيمة في مدينة بورصة بما اشتملت عليهِ من الاثاث والرياش فاتاها وسكنها مع آلهِ وحشمهِ واقبل على بث العلم وافادة الناس وقد اهدى اليهِ السلطان عبد المجيد النيشان المجيدي الاول فقال فيهِ

ولم ارَ اعظم من نعمةٍ منحت ولم تكُ لي في حساب
ساشكرها شكر وقت السرور واذكرها ذكر وقت الشباب
ايا سابقاً بالذي لم يجل بفكري ثواباً ونعم الثواب
كذا فلتكن نعم الاكرمين تفاجي بلا منة او طلاب

وزادت المودة في بورصة بينهُ وبين خليل باشا والي بورصة وصهر جلالة السلطان عبد المجيد خان ولما انفصل خليل باشا عن الولاية نظم فيهِ ما يأتي

ألاَ فاقري الخليل خليل باشا سلاماً طيباً عبقاً نفيسا
لهُ قل يا شقيق الروح مني علامَ هجرت بلدتنا بروسا
لقد كانت تفاخر كل مصرٍ وتطلع من شمائلكم شموسا
فعادت بعدكم شمطا عجوزاً وكانت تجتلي بكم عروسا
وعهدي سوقها بالوفد ملأى فاضحت بعدكم خلواً دروسا
وكنت لنا بها غيثاً مريعاً وكهفاً مانعاً ضراً وبوسا
وكان لنا الزمان بكم ضحوكاً فصار لنا بفقدكم عبوسا
بمن اعتاض عنك فدتك نفسي وكنت بقربكم فرحاً انيسا

وسنة ١٨٥٤م . الموافقة ١٢٧١ هـ . عزم على مبارحة بورصة لتوالي الزلازل بها واختار الاقامة بدمشق الشام فاستأذن في العود الى فرنسا فعاد ومكث فيها مدة ثم عاد الى بورصة حيث قضى فيها بضعة اسابيع ريثما اعدَّ نفسهُ

ورجاله ومتاعه وبرحها الى بيروت فوصلها في ٢٤ يونيو "حزيران" سنة ١٨٩٦ ومنها الى دمشق فخرج للقائه جماهير كبيرة بالاحتفاء اللائق رجالاً ونساء حتى وصل المحل المعد لاقامته ثم اتخذ مسكناً له في محل يقال له العمارة في دمشق واقام فيه وقد طابت له المعيشة في تلك المدينة الفيحاء الى آخر ايامه لما لاقى من لطف اهلها وانسهم وكان يقضي معظم وقته في المطالعة والصلاة والتأليف ولا يخلو مجلسه من العلماء والفضلاء ومما نظمه في ذلك الوقت قوله

احباب قلبي كم بيني وبينكم ... من البحر وصفها قد صين عن حد

تحار فيها القطا والعي يدركها ... حتى الجهات بها تخفى عن القصد

ما كنت ادري بان الدهر يبعدكم ... عني ويتركني من بعدكم وحدي

قد خانني الصبر ما اجدى بمنفعة ... سوى المدامع قد سالت على خدي

والطيف مثّل لي اوصافكم فبدا ... بشري ومذ قمت غير الحزن ما عندي

هل الغزال الذي اهواه يسعفني ... بالوصل يوماً كما قد كان في العهد

هل النفور الذي اهواه يسعدني ... بالقرب من بعد ما ابدى من الصد

يا ذا النفور الذي في القلب مرتعه ... ارتع به لا ترع فالصب في بعد

اني وان كنت مني نافراً فلقد ... ارضى بطيف خيال منك لا يجدي

وسنة ١٨٥٦ م. الموافقة سنة ١٢٧٣ هـ. توجه الى زيارة بيت المقدس والخليل ثم رجع الى دمشق واقبل على قراءة الكتب العلمية كالبخاري ومسلم وكان بعض الاجانب قد استولى على قسم من دار الحديث فسعى في استخلاصه منه ببذل اموال طائلة

وفي سنة ١٨٦٠ م. الموافقة سنة ١٢٧٧ هـ. كانت الثورة المشهورة في دمشق وهي المذبحة التي ذبح فيها المسيحيون وكان الامير من اكبر المعارضين لاجرائها ولما نفذت حيلته في منعها اصرّ على بذل قصارى جهده في كف الاذى عن المسيحيين

فلما علم يوم الاثنين في ٩ يوليو «تموز» سنة ١٨٦٠ بابتداء المذبحة تكدر جداً وبعث حالاً الى مغاربة دمشق ففرقهم في احياء المدينة لانقاذ من يستطيعون انقاذهُ من المسيحيين فكانوا يهجمون كالاسود بقلوب لا تهاب الموت ورؤوس قد ثارت فيها الحمية والمروءة فيأتون بمن يستطيعون انقاذهُ رجالاً ونساء واولاداً الى دار الامير. ولما علم المسيحيون بما عزم عليهِ الامير كانوا يفرون اليهِ من تلقاء انفسهم ويقيمون في بيتهِ حتى غصت دارهُ بهم فأخذ البيوت المجاورة لهُ واخلاها واقام فيها اللائذون بهِ ومن جملتهم قناصل الدول وغيرهم وكان ينفق عليهم كل ما يحتاجون اليهِ من الطعام وغيرهِ وممن عضدهُ في هذا العمل الخيري العالمان الشريفان محمود افندي حمزة واخوهُ اسعد افندي رحمهم الله اجمعين

وفي ثالث يوم المذبحة هجم الاكراد الثائرون على بيت الامير للقبض على المسيحيين فدافع الامير ورجالهُ والشريفان عنهم بكل ما في وسعهم فعاد الاكراد خاسرين ثم ان والي دمشق وعد النصارى انهم اذا سلموا ودخلوا القلعة كانوا فيها آمنين من القتل فاجتمع فيها نحو من خمسة آلاف وكانهُ اراد بهم الغدر بعد ذلك بجماعة من الدروز كانوا قادمين للنهب فخرج الامير ورجالهُ اليهم وتهددوهم بالرصاص فخافوا وكروا على اعقابهم

وبقيت الثورة سبعة ايام متوالية لم يفتر الامير فيها لحظة عن نصرة المظلومين وانقاذهم من القتل وتطبيب الجرحى وتعزية الثكالى والارامل واليتامى

وكان يقضي اكثر الليالي ساهراً والبندقية في يدهِ حرصاً على من هم في حماهُ فاذا غلب عليه النعاس اسند رأسهُ الى فمها قليلاً

وهذا ما كتب في نكبات الشام في الصفحة ٢٣٠ وما بعدها عن هذا الامير الجليل

" على ان الارض لم تقفر من الكرام في ذلك الزمان المرّ ولا يخلو زمان مهما كثر توحش اهلهِ من بقيةٍ تبقى من اهل الفضل والمروءة فقد وجد في

وسط اولئك الظالمين رجلٌ عظيم المقام رفيع القدر عالي الهمة كثير التمسك بفضائل الاسلام شريفٌ في الحسب والنسب اميرٌ ساد بالسيف وساد بالادب بطلٌ مغوار وليثٌ كرار شهد الحروب والاهوال وفعل فيها فعال الابطال وكان خصومهُ في ايام عزهِ اناساً من المسيحيين فحاربهم كما يحارب الرجل الرجال ولما خانهُ الدهر وضاعت مملكتهُ من يدهِ آثر الانزواء في دمشق ليقضي بقيَّة عمرهِ الشريف في ما يرضي الله وكان يكرهُ قتل الضعفاء بالدسيسة والغدر وينهي عما يحرمهُ دين المسلمين فظهر بين تلك الجموع المنحطة مثل لؤلؤة في وسط حجارة صماء سوداء وعلت نفسهُ علوًّا كبيرًا عن الدسائس ومكايد المفسدين وفعال المتوحشين . هو السيد السند والفرد الامجد والبطل الاوحد الامير الخطير والمليك الشهير عبد القادر الحسني الجزائري صاحب بلاد الجزائر طيب الله ذكرهُ ورحمهُ الف رحمة ورحمة واكثر الله من امثالهِ بين الآدميين . هذا هو الرجل العظيم الذي اشتهر بالمروءة والنخوة في تلك الاوقات السيئة

وكان هذا الامير العظيم قد رأى امارات الشرّ ونيَّات السوء باديةً على الوجوه ولحظ من تقاعد الحكام عن ردع الاشقياء ان لهم ضلعاً في هذه الامور او انهم هم الذين كانوا يثيرون الخواطر ليقدم الناس على الفتنة فاجتمع يوماً بوجوه المسلمين في حضرة احمد باشا الوالي و بعد المداولة الطويلة اقنعهم ان مثل هذا الغدر بفئة ضعيفة لا تبلغ عشر عدد الساكنين في دمشق يعد جبناً ونذالةً وعارًا على المسيء وان الايقاع بآل الذمة ما داموا في طاعة الحكومة الاسلامية منافٍ للشرع الشريف ولا يجوز في دين من الاديان . فلم يرَ الوالي بدًّا من التسليم برأيهِ واتفق معهُ على ان يعمل على تهدئة الخواطر والذود عن المسيحيين حتى ان الامير عبد القادر برّد الله ثراهُ لما علم بذهاب الالاي الذي ذكرناهُ الى حارة النصارى قبيل الجزرة اطمأنَّ باللهُ وظنَّ انهُ قام بالواجب عليهِ ونجح في فعلهِ الشريف . ولكن الحاكم ومن

معهُ خانوا العهود واتوا ما اتوا من المنكر ولما شعر بذلك الامير بعث رجاله في الليل في كل ناحية من انحاء دمشق فجعلوا يدورون في جوانبها ويفتشون عن النصارى فيقودونهم الى سراي الامير اينما وجدوهم ويردون عنهم جموع الهائجين . ومضي الليل كلهُ والنهار التالي والامير عبد القادر يجمع هؤُلاء المساكين في بيتهِ وهو يطعمهم ويسقيهم من مالهِ ويؤَاسيهم ويخفف احزانهم ويعدهم بتفريج الكرب ويهدئ روعهم وما سمع الناس باشرف من هذا السيد العظيم . وكان يخرج بنفسهِ احيانًا كثيرة فيمرّ في الشوارع التي يكثر القتل فيها ويرد القاتل عن فريستهِ بيدهِ الشريفة ويقصد الحوانيت والكنائس ومنازل القناصل حيث اجتمع الفارون بالمئات والالوف فيخلصهم ويقودهم الى دارهِ ثم يعود الى تخليص غيرهم وكلما لقي واحدًا من رجالهِ الكرام يفعل هذا الفعل شجعهُ ليبقى مثابرًا على ذلك العمل المبرور حتى اجتمع لديهِ حوالي اثني عشر الف نفس فضاق بيتهُ ذرعًا عن مؤَاواتهم ورجا من الوالي احمد باشا ان يأمر بقبولهم في القلعة بعد ان تعهد لهُ باعظم الايمان انهُ لا يمد الى هؤُلاء المساكين يد سوء فوضع هؤُلاء المنكودو الحظ في القلعة حيث ظلوا اياماً واسابيع بلا كساء ولا غطاء ولا غذاء وذاقوا كل لون من الوان الشقاء بعد ذلك المصاب وذلك البلاء. والله يعلم مقدار حسرة هؤُلاء المساكين على الذين فقدوا لهم وكانوا أعزّ الناس لديهم وعلى الذي ضاع منهم وعلى ما صاروا اليهِ من الهوان لاسيما وان اكثرهم كانوا يخافون ان تكون القلعة شركًا لهم مثل سراي حاصبيًا وديرالقمر وراشيًا وان تفتح يومًا ابوابها فيؤْمر بقتلهم عن آخرهم كما فعل باخوانهم من قبلهم وقوي فيهم هذا الظن يومًا اذ جاء ضابط من قبل الوالي وامر ان يفصل النساء عن الرجال لغايةٍ لم يعلمها القوم فأيقنوا بالهلاك وضاعت آمالهم في السلامة واستعدوا للموت وهم يطلبون الرحمة للذين سبقوهم الى دار البقاء والذين امكن لهم السلامة في دار الشقاء ولكن هذا لم يحصل لحسن الحظ وكان اكثرهُ بمساعي

ذلك الشريف سيد المروءة والبسالة ورب الانسانية والشهامة الامير عبد القادر واما مساعي القناصل فلم تجدِ نفعاً لان الحكام كانوا يعدونهم في جملة الاعداء

ولما كثر عدد اللاجئين الى بيت الامير عبد القادر — هذا غير الذين ارسلوا الى القلعة — قصد الاشقياء ان يقتلوهم عن آخرهم ونقموا على هذا الامير العظيم كيف انهُ انقذ المسيحيين فتجمهروا حول دارهِ افواجاً كثيرة وبدأوا يصيحون ويصخبون ويطلبون اليهِ تسليمهم اليهم في الحال او يحرقون بيتهُ ويهلكونهُ مع الذين حماهم . وظنوا ان عبد القادر مثل غيرهِ يخاف التهديد او يؤثر فيهِ الوعيد . فلما سمع هذا الضرغام نداءهم امر بجمع رجالهِ في الحال حول قصرهِ وكانوا من نخبة الابطال المجرَّبين حضروا المواقع الهائلة مع سيدهم الباسل وانتصروا على جيوش المراكشيين (كما تقدم) هؤلاء حافظوا على الولاء لمولاهم الطيب الذكر وجاء الذين سلموا من المعارك منهم معهُ الى دمشق فلما ناداهم في ذلك اليوم العصيب داروا بهِ في الحال من كل جانب حتى اذا رأى اشقياء دمشق مناظرهم وهيئة الاقدام تلوح عليهم عولوا على الفرار من وجههم وعند ذلك تقدم الامير وحدهُ الى وسط الثائرين وخاطبهم بما معناهُ : يا انذال الانسانية . أَبمثل هذا تكرمون النبي وتطيعون اوامرهُ الكريمة يا اكفر الكافرين . أَبمثل هذا اوصاكم رسول الله في آل الذمة الآمنين في ظلكم . او بمثل هذا تقضي عليكم البسالة العربية تغدرون بالنصارى وتفتكون بهم وهم اقل منكم عدداً واضعف حالاً وتعدون هذا شهامة وهو العار بنفسهِ فارجعوا في الحال او اني لا اغمد هذا السيف حتى ارويهِ من دمائكم وآمر رجالي بالهجوم عليكم فلا يبقى منكم جبان يخبر بقصة اخوانهِ واعلموا انكم سوف تتوبون وتندمون حين يأتيكم الافرنج للدفاع عن هؤلاء المظلومين . حين يجعلونكم عبرة للمعتبرين . فارجعوا الآن وانتهوا عن غيكم او اجعل هذه الساعة آخر عمركم واقتص منكم على ما اتيتموهُ من المنكر

وكان لهذا المولى العظيم مهابة في القلوب ارجفت اولئك الجماعات فعادوا على اعقابهم خاسرين وسلم ١٢ الف نفس بواسطة هذا الشهم الفريد. وسوف يبقى ذكره ما ذكر الشرف وما ذكرت المروءة . اه "

وفي ١٥ يوليو سنة ١٨٦٠ جاء دمشق والٍ جديد وعزل القديم واخذت الاحوال في الهدوء وقد كان في حمى الامير من النصارى يوم جاء ذلك الوالي نحو اربعة آلاف نفس وفي القلعة نحو ستة آلاف وبعد يسير جاء فؤاد باشا لتحري المسألة ومقاصة المعتدين وهكذا انتهت المذبحة

اما النصارى فهم كافةً مقيدون بفضل هذا الرجل العظيم لانهُ جاء عملاً برهن على سامي همتهِ ومروءتهِ وشهامتهِ وقد نال جزاءهُ من الدول الاوربية فبعثت اليهِ بوسامات الشرف العالية من الدرجة الاولى ورسائل الثناء وخصوصاً الدولة العلية

ولما هدأت الاحوال عاد الى السكينة وعكف على المطالعة والصلاة والتدريس . وفي سنة ١٨٦٣ م . الموافقة ١٢٧٣ هـ . استأذن الامبراطور نابوليون في الذهاب الى الحج فأذن لهُ فزار الحرمين وقضى فروض الحج كما يجب وزار الطائف والمدينة المنورة وكان حيثما حل يلاقي كل رعاية واكرام واقام هناك سنة ونصف سنة

دخول الامير عبد القادر الجزائري الماسونية

وكان قد سمع كثيراً عن الجمعية الماسونية وما لها من صحيح المبادىء وفعل الخير فتاقت نفسهُ الى الانضمام اليها واغتنم فرصة مروره بالاسكندرية اثناء عودتهِ من الحجاز سنة ١٨٦٤ فانتظم في سلكها في ١٨ يونيو " حزيران " بمحفل الاهرام التابع للشرق السامي الفرنسوي ووافقت مشار بهُ من كل الوجوه فاحبها واحب اهلها ومال اليها واليهم كثيراً وكان لا يخفي نفسهُ وطالما جاهر انهُ من اعضائها

وبعد ايام عاد الى دمشق وعكف على ما اعتادهُ من التدين والصلاة

واشتهر بالتقوى حتى كان الصوفيون يعدونهُ مكاشفاً وينزلونهُ منزلة سيدي محيي الدين ابن العربي والشيخ عبد الغني النابلسي وكان لهُ في قلوب اعيان دمشق منزلة رفيعة جدًّا وقد كتب كتباً في التصوُّف والتوحيد ولم يترك ملابسهُ العربية مطلقاً وكان نابوليون يدعوهُ صديقهُ الباسل لما بينهما من العهود والمواثيق

وفي سنة ١٨٦٤ م . الموافقة سنة ١٢٨١ هجرية توجه الى الاستانة لزيارة ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان والسعي في اسعاف الذين نكبوا سنة ١٨٦٠ وتخفيف العقاب عن الآخرين فاجتمع بهِ واكرمهُ غاية الاكرام واهدى اليهِ الوسام العثماني من الدرجة الاولى وهو اكبر وسام في ذلك العصر وعضدهُ بمطلوبهِ ثم توجه منها الى باريس للقصد نفسهِ فكان لهُ الفضل في المسألة بدءًا وعودًا واحتفل بهِ الماسون هناك اعظم احتفال

وقد زادهُ في ذلك الوقت الامبراطور نابوليون الثالث على مرتبهِ السابق الفين وخمس مئة ليرة وكان لهُ فرط شغف بهِ لمكارم اخلاقهِ ثم توجه من باريس الى لندن فاحتفلوا بهِ غاية الاحتفال ايضاً . ثم عاد الى الشام ومن ذلك الوقت قويت العلائق بينهُ وبين ملوك اوربا والرؤساء المشهورين هناك فكان ذلك وسيلة لقضاء حوائج المسلمين الذين هم في مستعمراتهم وحصل لهم بذلك من المنافع ما لا يوصف

وكان الشعراء يمدحونهُ باحسن قصائدهم فيجيزهم بكرمهِ الحاتمي وهذا مثال ما امتُدِح بهِ من نظم المرحوم سليمان افندي الصوله حيث قال يهنئهُ بهدية غدارة اهديت لهُ من جمهورية اميركا بعد حادثة الشام

يامنية القلب ما اجرى الدموع دما	الاَّ فراقك دون الآل والندما
ولا اطار منامي عن مواطنهِ	الاَّ الصدود الذي سرَّت بهِ الخصما
دكَّ التباعد اعزازي واثبت بي	ذلاًّ لو اكتنف البحرين ما التطما
وزادني ولهي روعاً نفى ورعاً	كنت الصؤُول بهِ طفلاً ومحتلما

لمن لمن اشتكي جورَ الغرام لمن وانت انت غدوت الخصم والحكما
حكمتَ لي بالهوى والجور عادتهُ أأشتكي جورهُ ام جورَ من حكما
اللهُ بي فلقد اصبحت في وجلٍ لو حلَّ ايسرهُ في الزهرِ ما ابتسما
وشفني كمدٌ من فرطِ هجرك لي اخفى بها عَلَمي عن اعين العلما
لا صبر لي بعد فيك العذب ياسكني و بعد شهد اللمي صبر المحب لما
اقسمت بالثلج الوضاح والدعج الـ فضاح والأرج الفيَّاح مُتُّ ظما
فهل تعودُ ليالينا التي سلفت بالربوتين فننسى باللمي الالما
وهل نقصر ذيل الصدّ مكرمةً تبني لنا من مقاصير الصفا حرَما
واحرَّ مهجة صبٍّ لا يبرّدها غير الحبيب الذي اورى بها الضرما
صار الصفا كدرًا والحبُّ صار قلًى والودُّ صار جفًا والدمع صار دما
ان دمت سالية عني فقد شمتت بنا الوشاة واما ان وصلت فما
اما انا فكما تدرين مكتئبٌ لم اسلُ منك رضابًا باردًا وفما
ولا افضّلُ ماءً ساغ مشربهُ على لقاك وبي وسط الهجير ظما
رضيت ريقك قوتًا والوفا وطنًا والحب دينًا وسلطان الهوى حكما
فليت من قسم الحب العليم بما عندي من الحب ساوى بيننا القسما
سقمان لم ادرِ تعذيبي بايهما سقم اصطباريَ ام اجفانك السقما
ضاق الخناق وضيقي ما لهُ فرجٌ الاّ العناق فهذا الضيق افرج ما
وشت شملي ولكن قال لي املي اذا تلافاهُ عبد القادر انتظما
حامي الشام وقد قامت اراذلها الـ ظلاّم تفتك في ساداتها الكرما
ربُّ المقامِ الذي اضحى لنا حرمًا والسيف يختبط الصبيان والحرما
الهاشميُّ الابيُّ اللوذعيُّ ابو الـفضل الذكيُّ وليُّ السادة العظما
درّ الغمامة بل درّ الكرامة بل تاج الامامة بل اسمى الورى شيما
الجوهر الفرد والسيف الذي انتثرت بهِ العدى وبهِ شمل الهدى انتظما
حيّ اللثام الذي في الحرب لم يكن الـ سرحان اوقح منهُ ان رأى الغنما

قد طهَّرَ الله قبل الناس فطـرتهُ ... واختـارهم لابيهِ المصطفى خدما
تهديـ الملوك وسامات السمو لهُ ... وهو الذي فوق هامات السموّ سما
فان نقبلها كان القبول لهم ... نعم البديل وخير الشيء ما كُرما
وربَّ جارحةٍ مـا للحمام اذا ... اوحى بهـا قدماً بجنازهـا قدما
شادت اميركة العظمى لها ورشاً ... مخصوصةً شدهت آلاتها العظما
وعطلت بعد ان تمت معاملهـا ... كيلا تبرّ بثانٍ مثلها حكما
جاءت لشكتهِ والناس قائلةٌ ... باهى النجـوم بها ان حادث نجما
فاكرم بها ذات نارٍ كلما قُذفت ... من جوفها قذفت اعداءها رجما
واكرم بهِ بطلاً من غير راحته ... ما للبنادق هولٌ يدفع النقما
يا من تخوّف دهراً عاث فرعلهُ ... يمّم حماهُ تجد مما تخاف حمى
ان الامـير ادام الله نعمتهُ ... يوماهُ يوم ندًى هامٍ ويوم دما
سريرهُ في الفيافي ظهر سابحةٍ ... تليلهـا ومـولاها لهـا علما
نقلُ اولــ محمودٍ واخر محـ ... سودٍ واشرف مولودٍ من العلما
يا مشبع الطير ابطالاً ان انتقما ... ومشبع الناس اطياراً اذا رحما
عبيدك الدهر ساءتني حوادثهُ ... فانظر اليهِ يرينا بؤسهُ نعما
ما انت مفتقرٌ للشعر تسمعهُ ... فكل قولك شعرٌ يجمع الحكما
لكنَّك البحرُ والاشعارُ من دررٍ ... ومن يعود الى مأواهُ ما ظلما
وكل ناظم شعرٍ فيهِ مقصدهُ ... وانت تعلم مقصود الذي نظما
كانت جوائز شعري عندكم ذهباً ... فاليوم اقنع ان تعطى لنا كلما
ان الثناء الذي اربى سناهُ على ... زهر النجوم وراق العرب والعجما
قد غاظ حاسدك الشاني فثقّف لي ... من النميمة رمحـاً يفضل الخذما
أعد عوائدك الحسنى عليّ وثق ... ان الفؤاد بما نوجيت ما علما
وارحم عبيدك في الدنيا يثيبك في ... يـوم القيامة ربٌّ يرحم الرحما

وفي سنة ١٨٦٩ مسيحية الموافقة سنة ١٢٨٦ هجرية دعي الى مصر لحضور

الاحتفال بافتتاح خليج السويس الذي دعي اليهِ ملوك اوربا وامراؤُها فذهب وفتح القنال رسميًّا في ٧ اكتوبر من تلك السنة وشاهده ُ واجتمع بالملوك والامبراطورين ولقي كل اكرام وبعد الاحتفال عاد الى دمشق

وفي سنة ١٨٧١ الموافقة سنة ١٢٨٨ ارسل نسخة من الفتوحات المكية مع عالمين جليلين الى قونيه لمقابلتها وتصحيحها على نسخة موجودة هناك بخط مؤلفها الشيخ الاكبر وبعد تصحيحها بكل اتقان قرأها على بعض الخواص من العلماء فحصل لهم بذلك نفع عظيم

وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٨١ زرته ُ في دارهِ بدمشق برفقة الاخ المرحوم المبرور المشهور السيد اسعد افندي حمزه فرحب بي واجلسني بجانبهِ وسألني عن الاخوة الماسون وعن محفل لبنان وشكر سعيي الماسوني (وكنتُ سكرتيرًا لمحفل لبنان في بيروت) ومكثت معه ُ اكثر من ساعة ونصف ساعة دعاني في اثنائها للطعام معهُ فاعتذر عني المرحوم السيد اسعد حمزة لاني كنت مدعوًّا الى تناول الطعام عندهُ في ذلك الوقت وعند الانصراف ودعني الى الباب الخارجي وهو يقول " أَعِدِ الزيارة يا أَخي " ولم انسَ تلك الساعة الثمينة كل ايام حياتي

وقد اشرت الى هذه الزيارة في رسالةٍ نشرت بالمجلد السادس من المقتطف صفحة ٢٩٢ حيث قلت

" هذا ومما يجب عليَّ ذكرهُ اني تشرَّفت بمقابلة صاحب السيادة والفضل الامير عبد القادر الحسني الجزائري فأذهلني ما لقيتهُ في منزلهِ العامر من الوقار وما وجدت في سيادتهِ من اللطف والاتضاع وما توسمتهُ فيهِ من سيماء العلم والصلاح مما هيج لهُ في نفسي اعمق حاسَّات الاحترام والاعتبار . وقد تكرَّم علينا نجلهُ صاحب السعادة والقاب الشرف الامير محمد باشا بكتابهِ النفيس الجديد عقد الاجياد في الصافنات الجياد وعنهُ نقلنا صورة المبايعة المدرجة آنفًا ولسعادتهِ منزلة رفيعة عند اهل العلم والادب كما يشهد بذلك كتابهُ المذكور "

وفسّر المرحوم السيد محمود افندي حمزة مفتي الشام القرآن الشريف بالحروف المهملة ولما تمّ تأليفهُ قرظهُ الامير عبد القادر بقولهِ .

سرح سوادك والطروس سماه	ما للسماك لدى العروس علاه
حمدًا للمهم اوحد العلماء محـ	ـمودًا علومًا ما لها احصاه
هو أعلم العلماء واحد عصرهِ	هو طود سر هدى لهُ اهداه
وهو الامام واهل كل محامدٍ	ما دعد ما علوى وما اسماه
اهدى الورى السحر الحلال وكم لهُ	هممٌ لهُ دومًا عطاً وولاه
الله اولى آل طـه سؤددًا	ومحامدًا لعلومها املاه
والله ودهم واعطاهم حمًى	سرًّا علاهُ للسماك سماه
لله ما احلى واملح موردًا	اهداهُ وهو الى الهموم دواه

وفي منتصف ليلة السبت التاسع عشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٠٠ هجرية الموافقة سنة ١٨٨٨ مسيحية انتقل هذا الامير الجليل الى رحمة الله تعالى في قصرهِ الكائن قرب قرية دمر التي تبعد عن دمشق مسافة ساعة بعد ان مرض نحو خمسة وعشرين يومًا وكان مشتغلاً فيها بالمراقبة والذكر ولم تبدُ منهُ شكوى وانما كانت تلوح عليهِ سماه الاستبشار بلقاء الله تعالى والرضى باحكامهِ وقد تولى غسلهُ وتكفينهُ نزيلهُ الشيخ عبد الرحمن عليش احد علماء الازهر وحمل نعشهُ المبارك على اكتاف الرجال الاماجد الى الجامع الاموي و بعد الصلاة عليهِ شيعهُ اهل دمشق بغاية الاحتفال والتعظيم ولم يزالوا سائرين بجنازتهِ وعليها من الهيبة والوقار ما تخشع لهُ القلوب وتشخص لهُ الابصار الى ان اوصلوهُ الى حجرة الشيخ الاكبر فدفن بها في جوارهِ ورجع الناس متأسفين على فراقهِ لمحاسن اوصافهِ ومكارم اخلاقهِ

وقد خلف رحمهُ الله عشرة من البنين اكبرهم الامير محمد و يليهِ الامير محيي الدين والامير الهاشمي والامير ابرهيم والامير احمد والامير عبد الله

والامير علي والامير عمر والامير عبد المالك والامير عبد الرزاق وخلف ايضاً ستًّا من البنات وزوجة واربع امهات اولاد

وقد كان (طيب الله ثراهُ) مربوع القامة معتدل الجسم ابيض اللون اسود الشعر كثّ اللحية اقنى الانف اضبط (اي يعمل بيسارهِ جميع ما يعملهُ بيمينهِ) اشهل العينين يمشي الهوينا وكانت لهُ مبرات كثيرة من جملتها انهُ كان يوزع مئتي ليرة في الشهر على العلماء والفقراء فضلاً عما كان ينفقهُ في وجوهِ البر وكان خرجهُ اكثر من دخلهِ الوافر حيث توفي وعليهِ ديون اقتضت بيع بعض املاكهِ لايفائها وهذا اكبر دليل على وفور كرمهِ وكان يعظم اهل العلم حسن المسامرة لطيف المعاشرة لا يرد سائلاً ولا يخيب قاصداً وكانت رسائلهُ تترى الى سائر الجهات بحيث لو جمعت لبلغت عدة مجلات لا ينسى احداً من الذين تعودوا احسانهُ ولم يكن عندهُ شيء من الكبر الذي تنزهت عنهُ نفسهُ المطمئنة ولا يتأنق في الملابس والمطاعم لتحققهِ بالزهد والتواضع وعدم النظر الى زينة الحياة الدنيا ولهُ رحمهُ الله خلوة بمنزلهِ في قرية اشرفية صحنايا كان يتحنث بها في شهر رمضان مع العزلة التامة وكان مدة عمرهِ يتعبد على مذهب الإمام مالك وكان يتنافس بزيارة الفضلاء و يتمثل باشعار الادباء وكانت تأتي اليهِ من كل فج و يكافئ عليها بالجوائز العظيمة حتى جمع لهُ من القصائد التي مدح بها في حياتهِ ديوان ضخم ورثاهُ الشعراء البلغاء بابكار افكارهم من ذلك ما قاله فيهِ المرحوم سليمان افندي الصولة

ناحت عليك الغارة الشعواء	واللامة الحسنية الغراء
والخيلُ والبيداء والصمصامةُ الـ	ـحمراء واليزنية السمراء
وتيتمت من بعدك العلماء والـ	ـحكماء والفصحاء والبلغاء
وسطا الجريض على القريض وصوح الـ	ـجود الاريض وزالت السراء
وابيض طرف المجد واحمرَّ الثرى	بدموعهِ واسودَّت البيضاء

وهوت ربوع العلم والحلم انقضت   ايامـهُ وطوتهما الدهنـاءُ
وتناثرت درر النجوم تخلتهـا   دررًا بهـا رثت العلى العلمـاءُ
يا قطب دائرة المعارف لم يدم   للعلم بعدك كوكبٌ وضـاءُ
فضت المعارف والعوارف نحبهـا   لمـا انقضت ايامـك الغرّاءُ
والخيل من بعد الجهاد تقدمت   نحو الحصاد يقودهـا الطُلَقاءُ
والجودُ بادَ وبدّد البخـل الرجا   ودجى الوجود واظـلم الانبـاءُ
فنهارنا بعـد ارتحالك مقلةٌ   عميـاءُ او ديجورةٌ دهماءُ
والليل كان سناك يفتق جيبهُ   فاليوم جيب قميصـهِ عصماءُ
لا تحسبنّ الصبر بعدك يرتجى   الصبر زورٌ والسكون رياءُ
جاورت محيي الدين يا ابن سميهِ   فتقدست بضريحك الشهداءُ
وسما الضريح على السماء بكوكب   حسّادهُ السـيّارة العظماءُ
تجري السيول عليهِ وهي مراحمٌ   وتذودهُ العبرات وهي دمـاءُ
ما قام يستسقي الغمام بهِ امروءٌ   الأَ وفاضت حولهُ الانـواءُ
فهو المقام لمن يجل مقامـهُ   عن ان يقال علت عليهِ سماءُ
السيد الوهـاب والمتعبـد الا   أواب عبد القـادر الوفاءُ
العالم العلاّمـة الفهامـة الا   حكمُ الحكيم الفارس الاباءُ
اسفي عليهِ وان تبرج جنّةً   خضراءَ تغبطهُ بهـا السعداءُ
اسفي على العلم الذي افتقرت لهُ الا   علمـاءُ واحتاجت لهُ الحكماءُ
والبحر بحر الجود والكرم الذي   رُزئت بهِ الفقراءُ والشعـراءُ
اسفي عليهِ مؤبـدٌ لِعنَاهُ بي   يوم الشآم وفي الشآم عنـاءُ
والناس تذبحُ في البيوت وبيتهُ   الحرم الذي يأويـ لهُ الضعفاءُ
صلى عليك الله ما عرت الصبـا   زهر الربى وتغنّت الورقـاءُ
وسقى الرحيق ثراك لا ترضى لهُ   غير الرحيق عبيدك الشهـداءُ
يا بضعـة المختار ما انقى ولا   والله اطهر من اديك مـاءُ

فبما غُسلت وانت بحرٌ زاخرٌ ومتى نجست وامك الزهراءُ
وبما دُفنت وانت يا علم الهُدى الا علم الذي ما طاولتهُ سماءُ
ما كنت احسب ان يحل بمسمعي قول ابن داية مانت الكرماءُ
سكن ابن فاطمة الضريح وعزةُ الا غظ الشحيح تقلّهُ الغبراءُ
وكأن جود يديهِ ساعة دفنهِ مسّ الثرى فاخضرّت الحصباءُ
بك يازمان السوء تبرح انجم الا مجد الرفيع وتمرح السفلاءُ
ما كنت احسب قبل يحمل نعشه انّ الجبال تقلها الامراءُ
كلاّ ولا ايقنت قبل ضريحهِ ان البدور تضمها البطحاءُ
مات الامير فنحن بعد مماتهِ الا اموات والموتى همُ الاحياءُ
وسرى لفردوس النعيم مخلفًا شرفًا تخرّ لجدهِ الجوزاءُ
وفطاحلاً ما شاركوا بفخارهم بشرًا وفي اموالهم شركاءُ
شم الانوف كليمةٌ شفراتهم وعروضهم موفورةٌ شماءُ
لي يابني المختار بعد ابيكم وجد الدفين وللحياة بقاءُ
ولكل ناصحةٍ عليهِ دموعها سيل الغمام وللغمام رغاءُ
حتى كأن قلوبكم وقلوبنا ودموعكم ودموعنا اكفاءُ
فعليكم بالصبر يا آل التقى والفضل فهو اللامة المنعاءُ
لولا الحمام لاغلقت ابوابها دار السلام وقلّت الصلحاءُ
فهو السبيل لجنةٍ نحيا بها بعد الممات ولا يكون فناءُ

وللامير عبد القادر تآليف مفيدة اشهرها المواقف في التصوّف وتعليق على حاشية لاحد اجدادهِ في علم الكلام والمقراض الحاد وذكرى العاقل وتنبيه الغافل وكل من اطلع على موّلفاتهِ عرف قدر فضلهِ وسعة علمهِ . وكانت لهُ سليقة جيدة في نظم القريض. وكان يتمثل في المعارك ببيت من قصيدتهِ الحماسية المشهورة وهو

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وبي يحتمي جيشي وتحرس ابطالي

هذه لمعة من ترجمة حياة هذا الامير الشهير مأخوذة عن اوثق المصادر وقد جمع لهُ ترجمة عظيمة في نحو مجلدين ضخمين طيب الله ثراهُ واغدق عليهِ سحائب رحمتهِ ورضوانهِ

ماسوني ناكر الجميل

اتاني مرة رجل عليهِ سيماء الوقار والهيبة طويل القامة ممتلئ الجسم وسأل عن اسمي فقلت انا هو فركع امامي وقبَّل ركبتي وهو يكاد يبكي وقال استجير بك مما انتابني وهذا مبلغ مئة وخمسين جنيهاً اجرة مركبة لتقابلني بعظيم . . . وذكر اسمهُ فقلت اخبرني من حضرتك وما اسمك وما هي قصتك ودع دراهمك لك فاخبرني انهُ محكوم عليهِ بتجريدهِ وعزلهِ من وظيفتهِ وسجنهِ ستة اشهر ومسألتهُ متعلقة مع واحد لا غير وهو الذي في يدهِ انفاذ الحكم او تعديلهُ فقلت لهُ يا رجل اني لا اعرفك وهذه اول مرة نظرتك فيها ولا يمكنني المداخلة في امر لا يعنيني ولو تداخلت لا امل لي بالنجاح . فقال نعم اني اعرفك وتعرفني واشار باشارة الماسونية مستغيثاً فقلت لهُ ان الماسون لا يذنبون كما اذنبت والعشيرة تعرفهم وحكمها فيهم تابع للحكم المدني. قال انا مظلوم ولدى مراجعة اموري يظهر ظلمي فرأيت بعد المناقشة ان عمل المعروف واجب ولو لم انجح في سعيي . فاستعنت بالله وكتبت للعظيم كتاباً ماسونياً التمست فيهِ منهُ ان يسمح بمقابلة المحكوم عليهِ مقابلة خصوصية ولو عشرة دقائق فما اجاب فكتبت اليهِ ثانية وطلبت منهُ ان يقابلهُ فقابلهُ وعفا عنهُ وقال لهُ اصلح سيرتك وسريرتك وانا اعيدك الى احسن من وظيفتك وهكذا كانت الماسونية واسطة لانقاذ ذلك الرجل من السجن وحفظت كرامتهُ وكرامة عائلتهِ ويشهد الله انني لم ادعهُ يخسر قرشاً واحداً ولم آخذ منهُ شيئاً وعاد الرجل الى اهلهِ قرير العين طيب الخاطر . اما الرجل

الذي سعيت لهُ هذا السعي وخدمتهُ هذه الخدمة فما عدت رأَيتهُ من زمن مديد ولم يشكرني على صنيعي معهُ وقد استغربت عملهُ ولما سأَلت عنهُ علمت انهُ (فلانٌ) وهو من محفل الشمس في مصر التابع للمجلس الاعلى الفرنسوي وهذا المحفل غير معروف الآن رسميًّا لدى المحفل الاكبر الوطني المصري

موتمر لوزان الماسوني

في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٧٥ قرَّ القرار في موتمر لوزان الماسوني على خلاصة المواد الآتية

اولاً تقرُّ الماسونية الحرَّة كما اقرَّت منذ نشأتها بوجود خالق معروف باسم مهندس الكون الاعظم

ثانيًا لا تمنع احدًا من البحث عن الحقائق بما لهُ من الحرية وهي تطلب من الجميع الاحتمال والصبر لتضمن لهم تلك الحرية

ثالثًا تفتح ابوابها لقبول الجميع من اي جنس وأَي عقيدة كانوا

رابعًا تمنع في محافلها كل مجادلة سياسية او دينية وتقبل اي اجنبي كان مهما كانت آراؤُهُ السياسية والدينية بشرط ان يكون حرًّا حسن السيرة

خامسًا غاية الماسونية الحرة هي مقاومة الجهل في جميع احوالهِ وهي مدرسة متحابة وبيان اعمالها ينحصر في ما يأْتي

في الطاعة لشرائع الوطن والمعيشة بحسب الشرف واستعمال العدل وحب النوع الانساني والشغل بلا توانٍ في مصلحة بني الانسان والمثابرة للوصول الى درجة النجاح

سادسًا يجب على كل ماسوني تابع للطريقة الاسكوتلاندية القديمة المقبولة ان يتبع قرار مجلس طريقتهِ السامي . ثم ان الموتمر يريد ان يبين العقائد التي تركن اليها الماسونية ويرغب كل احد في معرفتها ليعرف الانسان

قدر نفسهِ وما هو الغرض الوحيد من وجودهِ في هذه الدنيا فيعلم ان مبادئ الماسونية هي ان الخالق وهب الانسان اعظم نعمة وهي الحرية التي هي من مزايا الانسانية ونور ربّاني لا يطفأ باي قوّة كانت ومنبع لجميع العواطف الشريفة

ان الماسونية لا تمنع احدًا عن ممارسة فروض ديانتهِ لانها ليست بديانة ولا بمذهب وانما تقصد تعليم العالم وكل تعليمها منحصر في هذا المبدإ وهو محبة بني الانسان . وهي تنادي ايضًا الذين يخشون الاختلافات السياسية بقولها اني امنع من اجتماعاتي كل اختلاف سياسي وكل مناظرة سياسية فكن ايها الماسوني خادمًا امينًا لوطنك ولست اطالبك بشيء عن ذلك ولا يخفى ان المحبة الوطنية لا شيء فيها ينافي ممارسة كل الفضائل وقد زعم بعضهم ان الماسونية خالية من المبادىء الادبية مع انها منشأها الاصلي الذي لا تشوبهُ شائبة وهي راس الفضائل او محبة الانسانية والماسوني الحقيقي يصنع الخير ويساعد المعوزين على قدر الاستطاعة على اختلاف اجناسهم وعلى ذلك فلا يجوز لهُ ان يحتقر المبادئ الادبية. هذه هي الاساسات التي بنيت عليها الماسونية وهي تضمن لجميع اعضائها الاتحاد الوثيق مهما تباعدت المسافة بين الاقطار التي يقيمون فيها وكفاهم انهم مشمولون جميعًا بجامعة المحبة الاخوية

ومما يثبت حقيقة ذلك هو الاجتماع العام الذي حصل في مؤتمر لوزان فقد حضرهُ جمع غفير من اقطار مختلفة يجهل بعضهم بعضًا ولكن بمجرد التحية اصبحوا اخوانًا يجمعهم الاتحاد وظهرت مقاصدهم البالغة من الاهمية مبلغًا عظيمًا . فيا ايها البناؤُون الاحرار من اي قطر كنتم ولاي وطن انتميتم هذه هي المبادي الماسونية وهذه هي شرائعها وهذه هي اسرارها ومهما رماها السفهاء بسوء المقاصد فذلك لا يؤثر فيها ولا يزعزع اركانها بل تستمر متقدمة في طريق السلام محفوفة بالنصر والظفر وموسعة في كل يوم نطاق عملها السامي بنشر الآداب والتمدن والتقدم

نفع ماسوني

طلب عضو من اعضاء محفل الثبات الموقر واسمهُ ج. ش ان يساعدهُ المحفل بالتوسط مع رئيسهِ في مصلحة الا . . . . المصرية وكان اخوان المحفل يظنون ان مدير تلك المصلحة من الماسون واثبت لهم ذلك احد الاخوان بالتأكيد انهُ ماسوني ونظرًا لان الماسون يستطيعون مكاتبة بعضهم لما بينهم من العهود والولاء كتب محفل الثبات الى سعادة مدير المصلحة يطلبون منهُ انصاف الاخ الموظف والالتفات اليهِ وغير ذلك فلما وصل الكتاب الى مدير المصلحة اقتبلهُ بالاكرام وكتب الى محفل الثبات يشكرهُ على ثقتهِ بهِ ويقول اني وان لم اكن ماسونيًّا كان سعيكم الحميد وحبكم لاخوانكم واستعداد الذين توسطتم لهُ يجعلني اجيبكم الى طلبكم ومع احترامي لمبادئكم ومساعيكم المشكورة اكرر القول انهُ لم يسعدني الحظ للانتظام في سلك جمعيتكم الممدوحة وهكذا تم للاخ النجاح عن يد الماسونية

المحافظ والقاضي

اخبرني احد القضاة الافاضل انهُ كان مرةً في بورت سعيد فبلغهُ ان البعض يفسدون في المدينة بتقليدهم مشايخ الدين والقسس وغيرهم بما يشبه السخرية فاخبر البوليس ليعاقبهم على مسأوليتهِ ولما قبض عليهم البوليس اطلق المحافظ سبيلهم وكتب الى الحقانية يشكو القاضي واستخدم نفوذهُ ليضرهُ . ولما كان القاضي استاذًا ماسونيًّا والمحافظ كذلك ذهب القاضي الى محفل مجمع البحرين واخبرهُ بالقصة طالبًا منع المحافظ عن اذيتهِ فطيب الرئيس خاطرهُ ولم تمضِ ثلاثة ايام حتى جاء المحافظ الى منزل القاضي معتذرًا عما فرط منهُ واهتم القناصل الماسون فابعدوا اولئك السفلة المقلدين ارباب الدين بالهزء والسخرية وبقي المحافظ والقاضي يود الواحد الآخر ويشكران المحفل الى ان انتقل كل واحد الى جهة ولا يزالان يتوادَّان

المرحوم السيد أسعد حمزة

هو صاحب الحسب والنسب المشهور بالفضل والادب . فرع شجرة الكمال المرحوم السيد اسعد حمزة . كان نصير الفقير وغوث المظلوم وملاذ الضعيف وكان دأبهُ التأليف بين القلوب وخرق حواجز التعصب

وقد كان اول تعرفنا بالمرحوم المشار اليهِ في شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٨١ فانني في ذلك الوقت زرت دمشق الفيحاء فقابلني جميع الاخوة الماسون على مسافةٍ منها والى ذلك اشرت في رسالتين ادرجتا في الصفحة ٣٩١ و٣٧٢ من المجلد السادس الكبير من المقتطف اثبتُّ فيهما بعض ما فرضهُ عليَّ الوفاء من الثناء على مكارم اهلها و بيان مآثرهم السنية وفضلهم الباهر ولطفهم الذي لا انساهُ مدى العمر فهم كما قلت واقول لا يزالون على ما اشتهر بهِ العرب من حب الغريب واكرام النزيل ونحو ذلك من المزايا الحميدة التي امتازوا بها على سواهم

وفي تلك الاثناء دخل الشريف المرحوم السيد اسعد حمزة محفل سورية الماسوني وكنت حاضرًا احتفال دخولهِ فأُجريت لهُ كل الرسوم المعروفة عند الماسون ثم خضع امام السدّة الماسونية كغيرهِ من الشرفاء والعظماء واقسم على عمل الخير ومعاضدة البائسين والسعي وراء كل فضيلة ومقابلة الشر بالاحسان ومحبة القريب واتباع القاعدة الذهبية . و بعد ذلك رُقي حسب قرار المحفل و باجماع الاخوان الى عضوية الشرف فأُجلس في الشرق حيث يقيم الماسون الممتازون بالاعمال الصالحة . وهو قد نال هذا الاكرام لانهُ حمى جمهورًا غفيرًا من المسيحيين في حادثة الستين مع اخيهِ الشريف المرحوم السيد محمود حمزة مفتي الشام فعالاهم بالمال والزاد وصانا اعراضهم واولادهم ولا تزال البيوت التي غمرها فضلهما شاهدة على ما لهما من الايادي البيضاء والمآثر الحسناء

ولما انتظم اسعد افندي في سلك الماسونية اولم لهُ المحفل وليمة شائقة حضرها عموم الاخوان من وطنيين واجانب وقد زانها كثرة الفاكهة التي يعزُّ وجودها في غير دمشق جنة الدنيا وعروس الشرق . وكان تبادل احاديث المحبة والوداد نائباً عن تبادل اقداح الراح التي يتدنس بعض المحافل من ادخالها اليها وحبذا لو أُبطلت عادة الشرب في مثل هذه الاحوال فان ذلك اليق بالمحافل واشرف . وبعد تمام الاحتفال خرج الإخوان وقد أُفعمت افئدتهم فرحاً وسروراً وما زالوا يتناوبون الاجتماع كل ليلة في منازلهم وذلك مدة ١٥ يوماً قضيتها بين ظهرانيهم ولا ازال اذكرها حتى الآن

وقد زرت بيت فقيد الفضل في خلال تلك المدة فاهدى اليَّ كتاب عنوان الشرف فشكرت فضلهُ واتخذت عنوان الشرف منهُ عنوان شرف لي وقلت انني شاكر هذه الهدية لانها ستذكرني بمكارم اخلاقكم مهما بعدت الدار وشطَّ المزار . وكنت آنس برؤيتهِ يوميًا واتشرف بمرافقتهِ مدة اقامتي في دمشق وزرت برفقتهِ الخالد الذكر الجليل الاثر المرحوم الامير عبد القادر الجزائري الحسني كما اشرت الى ذلك في ترجمتهِ فقابلنا سيادتهُ مصافحةً جريًا على عادة الماسون وجلست بينهُ وبين الشريف السيد اسعد افندي فسألنا رضوان الله عليهِ عن الاخوة الماسون في بيروت ولاطفنا كل الملاطفة وخرجت مع المرحوم اسعد افندي حمزة نثني على ما لقيناهُ من لطفهِ وفضلهِ رحمة الله عليهِ

وكان المرحوم اسعد افندي حمزة غيورًا على الماسونية مع حداثة عهدها لا يفتر عن مديحها والثناء عليها ولاسيما بعد دخولهِ فيها واطلاعهِ على كنهها ومبادئها . وقد زار محفل لبنان الموقر في مدينة بيروت ايام خدمتنا فيهِ فقابلهُ الاخوان بالاعتبار والاكرام وأُجلس في الشرق اجلالاً لمقامهِ السامي وفوَّض المحفل اليَّ والى بعض الاخوة ان نقوم باداء الواجب لسيادتهِ والثناء عليهِ

ومن صفاته التي يحق ان تخلد في سطور الاوراق انه كان كريماً متواضعاً يكره التعصب ويمقت الكبرياء وكان عالماً فاضلاً وشاعراً مجيداً . وقد تقلد عدة وظائف في دوائر الحكومة رحمه الله تعداد حسناته

الآداب الماسونية

ارسل الينا حضرة الاخ الموقر السرادون هولت الحائز اعلى الدرجات الماسونية واحد اعضاء فرسان محفل اللؤلوء الموقر في فيلادلفيا نسخاً كثيرة من اوراقه الماسونية وعلى بعضها صورته بالفوتغرافيا بحجم طابع البوسطة وعلى الآخر صورته وهو ممتطٍ جواداً بملابس المحفل الرسمية وعلى الوجه الآخر من الرقعة آداب وحكم تستحق ان تكون قاعدة لسلوك الاحداث في هذه الدنيا منها قوله على احدى هذه الرقع تحت عنوان

مشتهاي

اسأل الله ان يسبغ عليك وافر بركاته وينجحك في كل عملٍ تعمله ويرسل ملائكته لتحفظك في دخولك وخروجك انت وجميع من يلوذ بك . واسأله تعالى ان يبعد عنك الاحزان والمصائب ويعطيك حياة مفيدة لمجد اسمه ومتى بلغت عمراً كاملاً وحان زمان انتقالك يرسل ملائكته لتحمل نفسك الخالدة الى مقام الابرار

وكتب على اخرى ما مؤداه

لا انتظر ان اعبر الدنيا الاّ مرة واحدة ولذلك ساجتهد ان لا اتوانى في اي عمل صالح يعود بالنفع على الآخرين وان ابذل جهدي لمساعدة اخواني فاني لا اعبر هذه الدنيا مرة أخرى

وكتب على أخرى ايضاً

تذكر يا بنيَّ انك فرد من افراد الجنس البشري وانهُ قد قام في الدنيا الوف وملايين مثلك وافضل منك فذهبوا جميعاً ولم يدرِ احد بهم . لا تكن متمسكاً برأيك . لا تحتقر اباك لان منظرك اجمل من منظرهِ او لان ثيابك اقرب الى الزي الجديد من ثيابهِ فانهُ قد حاز في الاختبار ومعاركة الدهر ما لم تحزهُ انت بعد. لا تقنط من نجاحك في الدنيا فاذا كنت اهلاً لذلك اتاك وقت تنال فيهِ بغيتك وكما انك محتاج الى العالم فالعالم ايضاً محتاج اليك والناس تفتش عن المجتهد كما تفتش عن الالماس الذي لم تمنعهم ندرتهُ عن الذهاب ورائهِ.

وكتب على الاخرى

لا تخفِ حبك لاصحابك الى ما بعد مماتهم بل اظهرهُ لهم في حياتهم وردد كلمات التعزية والتنشيط لهم وهم احياء فذلك خير من تعداد اوصافهم وهم اموات وان الرياحين التي تريد ان تضعها على نعشهم بعد مماتهم ارسلها اليهم في حياتهم ليتمتعوا برائحتها ومنظرها . فان كلمات التعزية والتنشيط تخفف الاحزان والآلام وتلطف المصائب والكروب وتساعد الانسان على احتمال مصائب هذه الدنيا فاذا كان في جعبتك شيءٌ من ذلك فلا تبخل بهِ على اصحابك قبل ان يصيروا في غنًى عنهُ

وكتب على رقع أخرى نصائح لارباب الاعمال والاشغال ليحسنوا السلوك مع الجميع اذ في ذاك منفعة ادبية ومادية لهم

ان اكبر الماسون عمراً الاخ يوحنا هولانبك ولد سنة ١٧٩٢ في مدينة برلنكتي في الولايات المتحدة الاميركية ودخل الماسونية سنة ١٨١٣ . وثانيهُ داود داكنيال ولد في مدينة جُونسن ودخل الماسونية سنة ١٨١٤ وكلاهما حيَّان

البرنس اوف ويلس

ولي عهد مملكة بريطانيا العظمى

واستاذ اعظم المحافل الماسونية العظمى الانكليزية كلها

ولد البرنس البرت ادورد في قصر بكنهام في ٩ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤١ ولُقّب برنس اوف ويلس بامرٍ عالٍ في الرابع من ديسمبر تلك السنة وتلقى العلوم في اشهر مدارس الانكليز الجامعة في اكسفورد وكمبردج وايدنبرج ونال من كلٍّ منها لقب دكتور في الشرائع المدنية وهو بمثابة دكتور في العلوم كلها ونال هذا اللقب من مدرسة دبلن ومدرسة كلكتا الجامعتين

وهو رئيس جمعية الفنون وعضو من اعضاء جمعية لينيوس النباتية واليهِ ينسب انشاء الدار الكبرى المعروفة بالندوة الملكية التي ربطت بين البلاد الانكليزية والممالك التابعة لها زراعةً وصناعةً وتجارةً وعلمًا ومعرفةً فانهُ اول من اشار بانشاء هذه الندوة واول من سعى في جمع المال لها وكان المجموع الى آخر سنة ١٨٨٨ خمس مئة الف جنيه

اما القابهُ ورتبهُ العسكرية فكثيرة جدًّا فهو برنس ويلس ودوق سكسونيا وبرنس سكس كوبرج وكوتا وقهرمان سكتلندا ودوق كرنول وروتساي وارل شستر وكرك ودبلن . وبارون رنفرو ولورد الجزائر وشفاليه الكارتر واثسل وسان بترك وقومندان كوكب الهند العظيم ومعهُ صليب رتبة الباث وصليبا سان ميخائيل وسان جورج . وهو المستشار الخصوصي وسر ياوران جلالة الملكة ومارشال العساكر الانكليزية واميرآلاي في فرقتي حرس الحياة الاولى والثانية والحرس الملكي والفرقة العاشرة من الهوسار ويوزباشي شرف في فرقة الطوبجية واميرآلاي شرف في فرقتي اكسفرد وكامبردج وفرقة المتطوعين ويوزباشي في البحرية الملكية الاحتياطية ومارشال في الجيش الالماني الى غير ذلك من الالقاب

والبرنس اوف ويلس هو الملك الحقيقي في بلادهِ ولهُ شهرة واسعة بين اترابهِ وعلم تام باصول السلوك وما يجب على الملوك يرجع اليهِ في المسائل الاجتماعية و يعد ذكرهُ واجباً في كل جمعية ملوكية وهو صحيح البدن قوي البنية جميل الوجه بديع الملامح وقد ساعدهُ هذا الجمال على الوصول الى ما بلغهُ من السلطة والنفوذ العظيمين في بلادهِ ولو شئنا الكلام عن هذا الامير الخطير لملأنا الكتب والمجلدات ولكننا نقتصر على القول بانهُ تولى النيابة عن امهِ في امور البلاد والسعي وراء ترقية الصنائع وتنشيط العلوم وتوسيع المتاجر والعمل على راحة العباد من يوم توفي والدهُ الامير البرت صاحب امارة ساكس كوبرغ وغوتا التي ورثها اخوهُ الديوك اوف ادنبرو ثاني انجال الملكة الذي جاء حلوان منذ سنة وتوفي من عهد قريب وكان البرت ادورد اكبر انجال الملكة وولي عهد السلطنة الانكليزية أحق بوراثة هذه الامارة فاتفق ذووهُ من يوم ولادة اخيهِ الثاني المتوفى على ان تعطى لهذا الاخ لان اخاهُ سيرث اعظم الممالك ويحكم اقدر الامم فهو في غنى تام عن امارة صغيرة في وسط الامبراطورية الالمانية

وقد جرى البرنس البرت ادورد من يوم نشأتهِ على خطة رسمتها لهُ جلالة والدتهِ هي انهُ رئيس البلاد الانكليزية وزعيم الهيئة الاجتماعية فيها ومقدام التمدن ونصير التقدم في انحائها فهو الذي يضع حجر الاساس في كل بناء عظيم يقصد منهُ النفع وهو الذي يفتح خطوط سكك الحديد والجسور الكبيرة وهو الذي يعطي اسمهُ للجمعيات الادبية والعلمية والصناعية لتفتخر بهِ وتتشجع بتعضيدهِ وهو الذي يشرع في جمع المال لكل عملٍ خيري يقصد منهُ تخفيف البلاء سواء في بلاد الانكليز او في غيرها وهو الذي ينوب عن والدتهِ في كل استعراض او استقبال او احتفال وهو بالاجمال الملك الحقيقي والرئيس العام لمعشر الانكليز

واما عن نفوذهِ الواسع فحدّث ولا حرج فهو كما قدمنا الرئيس الحقيقي

في بلاد الانكليز اليوم يأمر وينهي ويرفع ويخفض ويحل ويربط كما يشاء ولكثرة اختلاطهِ بالناس على طول عهدهِ وعلمهِ بشؤونهم وافكارهم صار يعلم طريقة التصرف معهم في كل الامور وللانكليز عادة لا تتغير هي انهم يعتبرون اكابرهم ويوقّرون عائلاتهم المشهورة ولهم ولع غريب في المحافظة على شرف الفروع الفخيمة من بيوتهم ولما كان الملك اشرف الناس في بلادهم عدّ هو رئيس الهيئة الاجتماعية بينهم وصار ولي عهد انكلترا اعظم رجال البيت الملكي من يوم بلوغهِ سن الرشاد والرئيس في كل ما يختص بامور الهيئة الاجتماعية في بلاد الانكليز . وأحسن هذه الرئاسة لما أوتي من جمال الوجه وطلاقة اللسان وبديع الخصال والذكاء واللطف فصارت عائلات انكلترا في قبضة يدهِ وتحت تصرفهِ وصار الناس يتمثلون بهِ ويتخلقون باخلاقهِ في كل حال اعتقاداً منهم انهُ زعيم الشرف وقائد الهيئة الاجتماعية فاذا لبس بدلة بيضاء لبس كل اكابر الانكليز الثياب البيضاء مثلهُ وان ساح في فرنسا تقاطر اغنياء الانكليز على مدن فرنسا ليقال انهم من فئة الاشراف الذين يجارونهُ وان ركب زورقاً قامت قيامة الزوارق واقتنى كل كبير منهم زورقاً او زوارق وان صلح شعر رأسهِ او لحيتهِ على نسق معلوم حكم حاكم الزي على كل عميدٍ ووجيه منهم في الحال ان يقتفي اثرهُ او يعد من زمرة المتوحشين وان لبس حذاء من صنع احد الناس اثرى صانع ذلك الحذاء وصار كل الاشراف يلبسون من عندهِ وان وضع في يدهِ خاتماً او فصا من الحجارة الكريمة راجت سوق الحلي والجواهر وان زار سوقاً للاحسان بيعت ادواتها في الحال وزادت ارباحها عن المطلوب لهذا الاحسان وان حضر مرقصاً في احد البيوت كان السابق اليهِ من اشراف الانكليز وشبانهم وشاباتهم هو الرابح في ميدان الفخر السابق في حلبة الشرف وان اعرض عن زيارة امير او كبير اجتنبهُ اصحاب المقامات وبعدت عنهُ العائلات ومات في بلادهِ موتاً ادبياً وان اشار على إحدى السيدات بابعاد فلان او فلانة عن سهراتها

ومجتمعاتها صار هذا المبعد مثل الاجرب بين قوم من الاصحاء وان تلطف مع غريب او قريب يريد الانتظام في سلك الهيئة الاجتماعية والدخول في مصاف العائلات الانكليزية صار التسابق الى اكرام هذا الكثير الحظ من اول واجبات الانسانية . وهذه حال الانكليز في كل امر مع ولي عهدهم وامراء مملكتهم فهم اليوم مع استقلالهم السياسي والاداري عبيد ارقاء للملكة واولادها بحكم العادة والادب وفي هذا النظام كل العجب .

وقد اشتهر هذا الامير العظيم باللطف والتنازل الى حدّ لم يروَ عن غيره من امراء الانكليز واكابرهم ولهُ ولعٌ غريب في الاجتماع بالناس ومحادثتهم في امور شتى فهو يجمع الناس حولهُ او يقصدهم في بيوتهم ويطيل الاقامة بينهم ويدخل بيتهُ كل كبير او شهير او محدث او راوية لا فرق ان كان من اصل شريف او حقير ولهُ اصدقاء معلومون يحبونهُ ويحبهم وقلما يفارقونهُ وقد ادى بهِ هذا الميل في اوائل ايامهِ الى ما لا يحمد فتحدث الناس بامرهِ واتهموهُ بامور كثيرة ولكنهم لم ينكروا عليهِ لطفهُ واتضاعهُ وسلامة ذوقهِ وطيب قلبهِ وان يكن الذين يكرهون العائلة المالكة في انكلترا لا يفترون عن اشاعة الامور الكاذبة عنهُ كل يوم وهو بحكم العادة المتبعة في انكلترا لا يقدر على تكذيب هذه الاشاعات ولا يتظاهر بالعلم بها لان ذلك يعد تنازلاً وخرقاً لحرمة الملك فالملك عظيم فوق كل قانون في بلاد الانكليز لا يجوز لهُ ان يحط مقامهُ الى درجة بقية الآدميين ويهتمّ بما يقولون عنهُ ولطالما عجب الناس من عدم التفاتهِ الى الامور المهينة التي ترميهِ بها جرائد المتطرفين في بلادهِ في حين ان ابن اختهِ امبراطور المانيا يحاكم كل ناطقٍ بما لا يسرهُ وابن خالتهِ قيصر روسيا ينكل بكل من يفوه بكلمة لا تنطبق على الاكرام التام ولكنها بلاد الانكليز ونبع الحرية وتنور الافكار فلا غرو ان كان مليكها ارفع نفساً واعظم قدراً من ان يتنازل مثل سواهُ من الملوك الى قراءة ما يكتبهُ عامة الناس او ان يهتز لطعن اصاغر الآدميين

وهو في مركزهِ السامي يطل من اعالي مجدهِ على بقية الناس لطفاً منهُ واحساناً . على ان الذي يرزق ما رزق هذا الامير العظيم من جمال الوجه واعتدال القد وقوة الجسم وتوفر اسباب الطرف والاحاطة بدواعي النعمة والعظمة لا يكثر عليهِ الميل الى اعطاء النفس هواها واشراف الانكليز على اختلاف الجنس والرتبة يتفانون في سبيل مرضاتهِ ونيل انعطافهِ

ولا يذكر الناس هذا الرجل العظيم حتى يخطر في بالهم قرينتهُ سيدة اللطف والظرف وربة التعقل والرزانة والمحاسن ومحامد الصفات الاميرة الكسندرا ولية عهد السلطنة الانكليزية وهي ابنة كرستيان التاسع ملك الدنمارك التي اقترن بها في سنة ١٨٦٣ واختها على ما يعلم الجمهور قيصرة روسيا الاخيرة واختها الاخرى اميرة كمبرلندن واخوها ملك اليونان وكل اقاربها ملوك في ملوك

وجاء في المقتطف ان البرنسس الكسندرا زوجة البرنس اوف ويلس ولدت سنة ١٨٤٤ ولم يكن ابوها ملكاً ولا كان قريباً من سرير الملك بل لم يكن نسبهُ متصلاً بنسب ملك الدنمارك الاَّ في اسلافهما في القرن الخامس عشر . ثم ترجح ان الملك سيموت بلا عقب فيخلفهُ ابوها اذ لا أقرب منهُ اليهِ ويقال انهُ لم يكن على شيء من الثروة في ذلك الحين ولكن لما ظهر انهُ ولي العهد حسنت حالهُ حتى اذا صارت البرنسس الكسندرا في السادسة عشرة من عمرها كان قادرًا على السياحة معها في مدائن اوربا . واتفق ان برنس اوف ويلس لقيها اكثر من مرَّة في سياحتهِ فوقعت عندهُ موقعاً عظيماً وخطبها من ابيها سنة ١٨٦٢ فسرَّ اهالي انكلترا واهالي الدنمارك بهذه الخطبة لاسيما وان البرنس خطبها حبًّا بها لا لغرض سياسي كما يحدث كثيرًا في زيجة الملوك . ولما حان الوقت المعين للزيجة جاء بها ابوها وامها واخوتها الى البلاد الانكليزية فبلغوها في السابع من شهر مارس سنة ١٨٦٣ فرحبت بها البلاد اعظم ترحيب واحتفل بالزيجة في العاشر من مارس في

كنيسة قصر وندزور ولم تحضر الملكة الاحتفال رسميًّا لحدادها على زوجها بل اقامت وراء مشبَّك ترى منهُ الاحتفال ولا تُرَى

ومن ذلك الحين الى الآن امتزجت حياة هذه الاميرة بحياة زوجها واولادها فلا يراها الانكليز الاَّ معهم او مهتمة باعمال البر. وقد احبوها حبًّا صادقًا لجمالها ودعتها وفضائلها الكثيرة حتى قال احد اساقفة الكنيسة الانكليزية "انها مقيمة في قلوب شعبها"

واصيب ولي العهد بمرض عضال سنة ١٨٧١ فاهتمت الامة الانكليزية كلها بمرضهِ اهتمامًا شديدًا كان في كل بيت منها مريضًا. وكانت البرنسس تجلس بجانب سريرهِ نهارًا وليلاً تمرضهُ بنفسها . واشتدَّ عليهِ الداء وغاب عن الصواب ولم يعد يعي على شيء لكنهُ فتح عينيهِ ذات يوم وكان عيد ميلادها فقال "اليوم عيد ميلاد البرنسس" ثم غاب عن الصواب ثانيةً فاظهر بهذه الكلمات الوجيزة ان اهتمامهُ بها لم يكن اقل من اهتمامها بهِ ولو تغلب عليهِ الداء حتى اخرجهُ عن دائرة الشعور

ومنَّ الله عليهِ بالشفاء فاجتمع الناس في الكنائس الوفًا مؤلفة ليشكروا الله على ذلك وقد زادوا اكرامًا لزوجتهِ على ما بدا منها من الحب لهُ والاهتمام بهِ

ولا يغرب عن الاذهان ان نصف نوع الانسان نساء وان للنساء في البلاد الانكليزية وفي كل الممالك الاوربية شأنًا لا يقلُّ عن شأن الرجال . فاولئك النساء ينظرنَ الى الملكة فيكتوريا والى كنتها البرنسس الكسندرا كمثال الكمال الواحدة في رفعة المقام ونفوذ الكلمة والثانية في حسن المنظر وجمال الطلعة والعطف على البائسين فهما قدوة النساء والمثال الذي يحاولنَ النسج على منوالهِ

وكان بعض عامة الانكليز عند اقتران اميرهم بهذه الاميرة الفريدة يتأففون لانهم لا يحبون الاميرات الاجنبيات ويؤثرون ان تكون ملكتهم

القادمة من احد البيوت الانكليزية فما لبثت هذه الاميرة ان اقامت بينهم زمنًا قصيرًا حتى رأوا من جمالها وكمالها وطيب عنصرها واصابة رأيها وحبها للخير ودأبها على البر ما صيرهم عبيدًا ارقاء لها يكرمونها اكرامًا زائدًا ويحلفون باسمها ويحنون الرؤوس حبًا وتعظيماً عند ذكرها و يعتبرونها احسن اميراتهم وافضل سيداتهم و يحاولون الاقتداء بها في كل امرٍ وهي مثل زوجها جميلة المنظر رقيقة القلب محبة للناس صارت معهُ زعيمة الهيئة الاجتماعية القول ما قالت والحق حيث مالت اذا عرضت عن جماعة ماتت وان رمقت عائلة عاشت وسادت وان لبست سلعة ربحت وراجت وان كرهت بضاعة خسرت وبطلت ولهذا ترى اصحاب المعامل والمخازن الكبرى يحاولون اكتساب رضاها ولو بدفع كل اموالهم لانهم اذا اعلنوا ان البرنسس اوف ويلس تشتري منهم البضاعة صاروا اغنى التجار واشهرهم ولطالما اثرى بعض التجار من شيءٍ صغيرٍ ابتاعتهُ مثل مشطٍ تلبسهُ فتلبس سيدات المملكة مثلهُ في اليوم التالي او حزامًا تمنطقت بهِ فيباع من ذلك الحزام الف الف واحد حالما يراهُ الناس على جسمها اللطيف . ولم نزل نذكر ان صناعة الجواهر كسدت في سنة ١٨٨٦ وابطل السيدات لبس الحلى والجواهر فقصدها اصحاب المخازن الكبرى ورجوها ان تلبس بعض حليها فتعيد الى الناس الرغبة في الماس والياقوت واللؤلؤ وغيرها ففعلت اكرامًا لخاطرهم وعوّض التجار خسارتهم ووسعوا ثروتهم من بعد ذلك باسبوع واحد .

وقد رزق البرنس اوف ويلس من هذه القرينة الكريمة ابنين وثلاث بنات وكان بكر انجالهِ المرحوم البرت فيكتور الذي سمّي يوم بلوغهِ سن الرشاد الديوك اوف كلارنس وقصفتهُ يد المنون بعد مرضٍ قصير بالانفلونزا في الاسبوع الذي عينهُ لاقترانهِ بابنة عمهِ البرنسس اوف تك فاشتد حزن الامة الانكليزية عليهِ ولبس الناس السواد في كل اقطار المملكة . ولم يروَ ان هذه الامة العظيمة جزنت على فقيد عزيز قدر حزنها على الديوك اوف

كلارنس لانهُ كان من انقى الناس سيرة واطيبهم قلبًا واغتالتهُ المنية في الثامنة والعشرين من عمرهِ وهو يتهيأ للفرح ونيل الملك من بعد ابيهِ

وثاني انجال البرنس اوف ويلس ابنهُ الحالي البرنس جورج المعروف اليوم باسم الديوك اوف يورك وهو شاب في الثانية والثلاثين من عمرهِ ناصع البياض معتدل القامة واسع العينين اسود الشعر جميل الوجه ذكي الفؤاد طيب القلب كثير الاشفاق على غيرهِ ولهُ ولع بالفنون البحرية لانهُ قضى معظم صباهُ على البواخر مع عمهِ المرحوم الديوك اوف ادنبرو (امير ساكس كوبرغ) لما كان هذا الامير قائد الاسطول الانكليزي في البحر المتوسط. وقد اقترن بالفتاة التي خطبها اخوهُ من قبلهِ وهي مثال الظرف واللطف ورزق منها ولدًا سماهُ ادورد وسوف يصير هذا الطفل ملكًا عظيمًا وامبراطورًا كبيرًا من بعد والدهِ وجدهِ ووالدة جدهِ الملكة فكتوريا وقلَّ ان يتفق وجود وريث للمملكة في الجيل الرابع مثل هذا الامير الصغير

واما بنات البرنس اوف ويلس فأولهنَّ البرنسس ڤيكتوريا اقترنت من بضعة اعوام باللورد فيف وهو شريف اسكوتلاندي من بيت عريق في النسب والفخر اسمهُ بيت " دف " ولها اليوم ابنتان صغيرتان ورقي زوجها الى رتبة ديوك اوف فيف قبيل الاقتران بها وقد سرَّ الانكليز بهذا القران سرورًا عظيمًا لانهم يؤْثرون ان يزوج اميراتهم من اشراف بلادهم بدل الامراء الالمانيين الذين تميل اليهم جلالة الملكة فكتوريا . وعرفت دوقة فيف التي نحن في شأْنها برقة القلب والشفقة الكثيرة والنفور من كل تأَنق وزخرفة حتى انها تؤْثر العزلة والبعد في اقاصي الجبال الاسكوتلاندية على العيش بين عائلات لندن وزخارفها

والابنة الثانية من اميرات ويلس وهي اكثر حذقًا وذكاءً واوفر جمالاً وزهاءً من اختها واسمها البرنسس مود وهي من اجمل اميرات هذا الزمان واكثرهنَّ علمًا وتهذيبًا اشتهرت بالانفة والترفع عن كل ما لا يليق بالملكات العظام

واما ابنة البرنس اوف ويلس الثالثة فهي البرنسس لويز تقصر عن اختها التي مرَّ ذكرها في الذكاء والجمال ولا يعرف عنها غير انها ترافق امها واختها في كل امرٍ وتتصف بصفاتهما الحميدة

دخول البرنس اوف ويلس الماسونية

انضم البرنس اوف ويلس الى الماسونية باحتفال نادر المثال في الثاني عشر من اكتوبر سنة ١٨٧٠ وكان دخولهُ فيها عن يد جلالة تشارلس الخامس عشر ملك اسوج ونروج ولما انتخب سموهُ حامياً للمحفل الاكبر الاسكوتلندي وسائر المحافل العظمى الماسونية في المملكة البريطانية وقف امام الاعضاء وفاه بالكلام الآتي

لا استطيع ان اعرب لكم عن عظم سروري بهذا الاحتفال ومزيد امتناني للشرف الذي اوليتموني اياهُ بانتخابي حامياً للعشيرة في اسكوتلندا . وقد تأثرت جدًّا من الكلام الرقيق الذي خاطبني بهِ ايها الرئيس الاعظم الكلي الاحترام ومع اني ايها الاخوان حديث العهد في الماسونية فاني اؤمل ان اكون مستحقًّا لعضويتها . وتأكدوا اني في كل زمان ومكان مهما تنوعت الظروف وانقلبت الاحوال لا ابرح باذلاً ما في وسعي للقيام بالواجبات المفروضة عليَّ كاخٍ ماسوني. واسمحوا لي ثانيةً ان اشكركم على الشرف العظيم الذي خولتموني اياهُ ذلك الشرف الذي تمت سعادتي في الماسونية بالحصول عليهِ ألاَ وهو ان اكون حامياً لعشيرتكم الشريفة في هذه البلاد

وقد زاد عدد المحافل الماسونية في ايام رئاستهِ في سائر انحاء العالم ولاسيما في المملكة البريطانية وبقية المستعمرات وجعل لها احتفالات واعمال خيرية نذكر لمعاً منها في هذه العجالة منها الاحتفال العظيم الذي احتفلوهُ بعيد الخمسين لجلوس جلالة الملكة فكتوريا على عرش السلطنة يوم الاثنين الواقع في ١٣ يونيو (حزيران) سنة ١٨٨٧ في قاعة فسيحة بمدينة لندن حيث

اتفقوا على تقديم تهنئة لجلالة الملكة بعيدها السعيد . وكان عدد الحاضرين منهم نيفاً وسبعة آلاف عضو يرئسهم سموّ البرنس البرت ادورد ولي عهد انكلترا . وكان الجميع بملابسهم الرسمية وكبارهم في صدر القاعة بحسب درجاتهم وآخر من دخل القاعة سمو الرئيس المذكور فلما اعلنت الموسيقى خارج القاعة خبر قدومه قام الجميع واقفين اجلالاً لسموّه ثم ابتدأ البرنس بخطبة اعرب فيها عن سروره الزائد بهذا الاحتفال الحافل الى ان قال : اني افتخر بكوني من ذرّية ملوك ساعدوا الماسونية منذ عهد قديم ونشطوها لعلمهم ان مبادئها صادقة واعمالها وان خفيت على بعض الناس مآلها كلها الى خير الانسانية . واردف كلامهُ هذا باظهار الغاية من اجتماعهم وهو تقديم خطبة لجلالة والدته الملكة يعرب فيها ماسون كل الممالك الانكليزية وتوابعها عن سرورهم بطول حكم ملكتهم والدعاء لها ببقاء ملكها اعواماً عديدة . ثم جلس وقام الكولونل شدويل كلارك كاتب سرّ الجلسة وقرأ على مسامع الحاضرين صورة الخطبة المشار اليها وخلاصتها ان اعضاء جمعيتهم في كل اقطار المسكونة الخاضعة لحكومة بريطانيا يعربون عن اخلاصهم للحكومة وحبهم لشخص الملكة ويطلبون من مهندس الكون الاعظم ان يطيل بقاءها وايام حكمها . ثم قام اللورد كارنارفون واستدعى ان تُقبل الخطبة والمع الى مساعدة العائلة المالكة الانكليزية للماسونية وقال ان هذه الجمعية ترأس عليها سبعة عشر اميراً من بيت الملك في اوقات مختلفة وان جلالة الملكة فكتوريا هي ابنة ماسوني وان اكثر اعضاء عائلتها الشريفة ماسونيون وثنّى الاستدعاء اللورد لاثوم فاجمع الاعضاء على قبولها . ثم صدحت الموسيقى بالسلام الملكي وفي آخرها وقف الجميع وصفقوا ثلاث مرّات للملكة وعقب هذا عزفت الموسيقى ايضاً

وكان هؤلاء الاعضاء كلهم حاضرين بالنيابة عن المحافل الماسونية في جميع اقسام المملكة الانكليزية وعدد المحافل التي نابوا عنها الف وتسعماية

محفل وكان الامير الرئيس في صدر القوم والى يمينهِ اخوهُ الدوك اوف كونوت واللورد كارنارفون وسلطان كوش بهار (من الهند) واللورد ولسلي والى شمالهِ الامير البرت فكتور واللورد لاثوم

وقبل الانصراف قام سمو الرئيس واعطى رتباً لبعض الحاضرين ومنها رتبة لسلطان كوش بهار ورتبة لكلٍ من السر رجنلد هاتسون محافظ لندن والقاضي فيلد والكولونل بين والسر فرنسيس نوليز . وبعد ذلك قدَّم الاعضاء حجراً كريماً لرئيسهم هديةً ثم أُدير صندوق الاحسان على الحاضرين حسب العادة فجُمع منهم في الحال اكثر من ستة آلاف ليرة انكليزية لتنفق على الاعمال الخيرية . ثم انصرفت الجلسة

واحتفل بجلسة ماسونية اعظم من هذه في يوبيل الملكة الستيني في ٢٢ يونيو سنة ١٨٩٧ برئاسة البرنس اوف ويلس ولي العهد المشار اليهِ وجمعت الاموال الطائلة في تلك الجلسة وقدّم لجلالة الملكة كتابة تهنئة أُمضيت من ثمانية آلاف رئيس وكان كاتب الجلسة دوق اوف كنوت الذي زار مصر من عهدٍ قريب وبعد ما امضى الرئيس كتابة العريضة ووقع على خلاصة الجلسة اخذ دوق كنوت القلم الفضي وخبأهُ قائلاً هذا اعظم قلم كتب كتابة ماسونية في تاريخ البشرية وساحفظهُ اثراً خالداً لهذا الاجتماع فصفق الجمهور حتى كادت اساسات البناء تتزعزع وتواردت رسائل وتلغرافات التهانيء تترى من كل جهات الارض من الماسون لجلالة الملكة

وينفق الماسون في بلاد الانكليز التي محافلها تحت رعاية البرنس اوف ويلس على مدرسة كبيرة للبنات نحو ستة عشر الف جنيه في السنة وقد احتفلوا بعيد مئة سنة مرّت على تلك المدرسة وكان برنس اوف ويلس رئيس الاحتفال وملك اسوج ونروج وكل رؤساء المحافل الماسونية الكبرى معاونين لهُ وقد جمعوا مالاً طائلاً لتلك المدرسة فبلغ دخلها سنة ١٨٨٨ واحداً وخمسين الفاً وخمس مئة جنيه . وقد بلغ ما دفعهُ الماسون الانكليز

على هذه المدرسة ومدرسة اخرى للصبيان ودار للمحتاجين في سبع سنوات نهايتها ختام سنة ١٨٨٧ ثلثمائة وسبعة وخمسين الفًا وتسع مئة واربعين جنيهًا

وقد ثابر الماسون الانكليز في سنة ١٨٨٩ على قديم خطتهم من اعانة اليتيم واعالة الفقير والحض على اطعام المسكين فوهبوا لابنيتهم الخيرية الثلاثة في خلال السنة ما ينيف على ٤٨٤٤٣ ليرة انكليزية قسمت عليها فاصاب مدرسة البنات فوق الاربعة عشر الفًا وتسعمئة وست وثمانين ليرة ومدرسة الصبيان نحو اربعة عشر الفًا وسبعمئة وثماني وعشرين ليرة والبناء للمتقدمين في السن من الذكور والاناث فوق الثمانية عشر الفا وسبعمئة وتسع وعشرين ليرة . وفي مدرسة البنات ٢٦٤ بنتًا يقدم لهنَّ كل ما يلزم من الكساء والطعام والكتب وغيرها وفي مدرسة الصبيان ٢٦٣ تلميذًا تعتني المدرسة بهم ايضًا وتتكفل بكل نفقاتهم وقد اجتمعت عمدة القسم الاخير من هذه الابنية في سنة ١٨٩٠ وقدم الكاتب تقريرًا عن الدراهم التي انفقت في سبيل تخفيف اثقال التعابى ومساعدة المرضى والمحتاجين فكانت نيفًا وثمانية آلاف ليرة انكليزية

هذا عدا ما فعلوهُ من الاحسان خارج هذه الاقسام الثلثة حتى اصبح اليتيم يقرُّ لهم انهم خير من آوى والضال يعترف انهم خير من هدى . ولا يزال هؤلاء الافاضل يسعون هذا السعي ويخدمون الانسانية خدمة صادقة لا لمجدٍ ينالونهُ او جزاء يكسبونهُ بل لوجه الله لا يريدون جزاءًا ولا شكورًا

وسنة ١٨٩٠ عزم البرنس اوف ويلس على زيارة هذا القطر فاعلنت الجرائد ذلك وقبل وصول سموهِ الى الاسماعيلية شكل حضرة الاخ المحترم رئيس محفل روح مصر بالزقازيق لجنة للسلام على سموهِ ولما وصل بهِ القطار الى الزقازيق بلغهُ الامر احد الاخوان فنظر الى اللجنة امامهُ وحيَّاها بالسلام الماسوني ثم سأل احد رجالهِ ان يبلغ الاخوان تحياتهِ ويتشكر

من محبتهم لهُ ويعتذر لهم من عدم تمكنهِ من زيارتهم لضيق الوقت معهُ ثم ودعهم بالسلام الماسوني وسار بهِ القطار الى مصر

واحتفل في ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٢ في القاعة الماسونية العظيمة باحياء ليلة يوبيل المدرسة الخيرية الماسونية حيث كان على كرسي الرئاسة الاخ الكلي الاحترام اللورد مونت ادجومب نائب سمو الاستاذ الاعظم وحضر هذا الاحتفال العظيم الشان نحو الف وخمسمائة اخ من رؤساء المحافل

اما مجموع ما ينفقهُ الاخوان الماسون بلندن على المدارس الخيرية فبلغ في سنة ١٨٩١ اكثر من اربعة وخمسين الفاً ومئة وسبعة وسبعين جنيهاً افرنجياً وذلك يزيد نحو عشرين الف جنيه على ما أُنفق في سنة ١٨٩٠

وقد مُنح الامر بافتتاح ٢١ مقاماً (شبيتر) في سنة ١٨٩١ ثلاثة منها في لندن وواحد عشر في بريطانيا العظمي وسبعة في المستعمرات الخارجية التابعة لاملاك بريطانيا العظمى

وفتح في سنة ١٨٩١ ٣٤ محفلاً منها ١٣ في لندن و ١٢ في بريطانيا و ٩ في المستعمرات

وسنة ١٨٩٦ طبعتُ كتاب الآداب الماسونية في اللغة العربية وجلدتُ نسخة منهُ وارسلتها مصحوبة بكتاب الى سمو البرنس اوف ويلس فتنازل وقبل الكتاب وامر بوضعهِ في مكتبتهِ الخصوصية وتشرفتُ بجوابٍ خصوصي منهُ رقيق العبارة بهذا الشأن ثم انعم عليَّ بنيشان اليوبيل الستيني الماسوني المرصَّع وعليهِ رسم جلالة الملكة والتاريخ

هذه بعض متفرقات نشرناها الآن فجاءت دليلاً على ما للماسونية من الفضائل . وسننشر ترجمة سموهِ مطولة في كتابنا الجوهر المصون في مشاهير الماسون

الولد سر ابيه

سيدي الوالد العزيز

عثرت على هذه النبذة فعربتها عن اللغة الانكليزية الى العربية ولعلها توافق كتابكم "فضائل الماسونية" فتنشر فيهِ ولكم الامر

حلوان في ٤ يوليو ١٨٩٩ ولدكم

اسكندر مكاريوس

النخوة والشهامة والمروءة

هذه نبذة تدلُّ على شهامة اخوان الماسونية الذين لم يضنوا بالنفس والنفيس حبًّا بمساعدة اخوانهم ومحافظة على عهودهم التي تعاهدوها

فقد نشرت جريدة الينوي اودفلو في عددها الخامس الصادر في ١٥ مارس سنة ١٨٩٥ ما ملخصهُ

دعي اعضاء محفل انجلو وُدهل واعضاء محافل اخرى وعائلاتهم الى احتفال في نادي بولفار هُلّ في شارع غارفيلد بولفار هواستد في شيكاغو وكان الاحتفال شائقًا وذلك في مساء ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٥ وكان الاخ الشريف المحترم اسحق غولدن رئيس الاحتفال . وقد صدحت الموسيقى في الساعة الثامنة بالانغام الموسيقية المطربة ثم تلا الاخ غولدن ملخص حادثة جرت فقال

في العاشر من شهر اكتوبر (ت ٢) سنة ١٨٩٤ بينما كان الاخ ا . ف . فتز جرالد غائبًا عن منزلهِ في اشغالهِ وليس في البيت سوى امرأتهِ

وولدها الصغير وكان نائماً في سريره قامت الوالدة لتفتح درجاً وبيدها مصباح منار بزيت الكروسين فالتهب بالقضاء والقدر وسقط الزيت على الثياب فاشتعلت النيران بسرعة لذهبت الى الباب تستغيث بالجيران ففطنت الى ولدها فعادت اليهِ ولفته " بملاءة " وحملته ولما وصلت الى الباب رأته مقفلاً فلفت الولد جيداً وخرجت من احدى نوافذ البيت وكانت النار قد علقت بها ولم تشعر لعظم حرارة منزلها وشغفها بخلاص ولدها واتت مسرعة ولم تصل الى بيوت الجيران الاّ والنار قد شوهتها فالقت الولد امامهم سالماً وكانت ذراعاها واحد جانبيها محترقة وكان لحمها يتساقط عند مسهِ فاطفأها الجيران ووقعت الى الارض من الالم . ثم جيء بمركبة فنقلتها الى مستشفى المجلود . وهذا بيانُ حالها

أُتي بمسز فتزجرالد الى المستشفى على مركبة بترول ملفوفة بشالٍ فنزع الشال وكان المنظر محزناً لان يديها من رؤُوس الاصابع الى العنق والكتفين والجوانب الى الخصر ومن نصف الثديين الى الوراء حتى منتهى قيراطين من العمود الفقري كانت كلها كتلة لحم محترقة تقع عند لمسها . وسماكة الحرق في بعضْ المواضع قيراطان وفي البعض الآخر لم يحترق سوى الجلد . ثم وقعت الاظافر . واكثر المواضع التي حرقت صدئت فيها المواد . وشعرت بعد دخولها المستشفى بست ساعات بحمى رافقها ألم شديد ونتج من ذلك تقرح في المعدة والامعاء وأُصيبت باسهال حاد وآلام تفوق الوصف ولاسيما لما كانوا يغيرون لها عن الحروق فانهم كانوا يمكثون ساعتين او اكثر وكانت تعاني كل انواع العذاب عند نزع الانسجة عن لحمها . ثم ان الدكتور وبستر ومساعديهِ رأَوا انهُ لا بدَّ من تعويض اللحم الساقط من جسمها بلحم حيٍ وعمل عملية جراحية لعلّ الله يمن بالشفاء فقدم الاخ فتزجرالد زوجها نفسهُ لقطع ما يلزم من لحم جسدهِ حباً بسلامة قرينتهِ التي ضحت حياتها لاجل ولدها ولكنّ الاطباء رأَوا انهُ يلزم اكثر مما يمكنهم ان يأخذوا منهُ

فتبرع بعض الراهبات الممرضات بالمستشفى باخذ قطع من لحمهن ايضاً حباً بتلك السيدة المشهورة ببرها ولطفها

ولما بلغ اخوان المحافل الماسونية ما كان حركتهم النخوة والشهامة الى مشاركة اخيهم وقرينتهِ وقبل ابتداء العملية جاؤُوا افواجاً افواجاً وهم ممتلئو الجسم اصحاء البنية واندفعوا بكل قواهم مظهرين عواطف الحب والولاء وعرضوا انفسهم على الاطباء ليقطعوا من اجسادهم ما شاؤُوا ومن اي جهة ارادوا لانقاذ حياة اختهم امرأة اخيهم

وفي ١٥ نوفمبر الساعة التاسعة صباحاً اتى الاخ فتزجرالد والاخوة المتبرعون لمساعدتهِ امام الجرّاح الذي اعد هو ومساعدوهُ كل اللوازم الطبية فمدّ فتزجرالد ذراعهُ وقال للطبيب خذ منها ما تشاء فقطع منها ثمانية قطع طول كل قطعة قيراطان وعرضها ثلاثة ارباع القيراط وكان يقول خذ بعد ولم يبدِ اقل اشارة تدل على الالم بل كان مسروراً لانهُ استطاع ان يضحي حياتهُ لسلامة امرأتهِ فاخذ الطبيب اللازم وقطع من الاخ نوثانجل ثماني قطع ايضاً ومن الاخ كلوس خمساً واتى بعدهم الاخوة الاحرار يخيّرون الاطباء باخذ اللحم من اجسادهم من اي جهةٍ ارادوا فكان الاطباء يقطعون اللحم وآخرون يخيطون مكان الجروح و يغسلونها بمزيلات الفساد وهلمّ جرّاً وما زالوا حتى عوضوا عن كل اللحم المحروق فكان جملة ما اخذوهُ نحو سبع مئة وخمسين قيراطاً مربعاً وهي تساوي نحو خمسة اقدام وكان جملة ما اخذ من كل رجل نحو قيراط او اكثر والذين اخذوا من لحمهم ثمانين رجلاً عدا راهبتين غير ماسونيتين

اما المرأة فكانت تعزيتها باظهار حنوّ اخوان زوجها وسرورهم وشجاعتهم وتشجيعهم اياها مما ساعدها كثيراً على احتمال تلك العملية الغريبة النادرة المثال ولحمها مكشوف للهواء ولم يملك الدكتور و بستر نفسهُ عن اظهار عواطف الشكر للاخوان الماسون والاطباء الذين ساعدوهُ وخصوصاً الدكتور

هوبرت والراهبات اللواتي لهنَّ الثناء المستديم على هذا العمل العظيم

وبعد ما اتمَّ الدكتور وبستر كلامهُ قال ان مسز جوالد شفيت بعد ذلك وهي امامكم بصحتها التامة فصدحت الموسيقى بالانغام المنعشة وابرقت اسارير الوجوه وصفق الحاضرون تصفيقاً شديداً بسرور

ثم رحَّب الاخ مايرون إيموس الاستاذ الاعظم السابق لمحفل كوك كونتي نمرة ٢٤٠ والنائب عن محفل انجلوودهل بالحاضرين والقت السيدة إلي ليفي خطبة لطيفة ابهجت الحاضرين

ثم تكلم المحترم كاس نورنتي فذكر في خطبته النجاح العظيم الذي نجحتهُ الماسونية في تلك المدينة . فقال انهُ في سنة ١٨١٩ كان عدد الاخوة الماسون خمسة لا غير وسنة ١٨٩٤ بلغ عددهم ما ينيف على ٩٠٠٠٠ تسع مئة الف عضو وعدد المحافل ١١٠٠٠ احد عشر الفاً ولا يزالون يزدادون يوماً فيوماً — واعمال هذه الجمعية معلومة لكم فانهُ حينما حدث الحريق الهائل في شيكاغو جمع من الماسون وحدهم في اقل من اسبوع اكثر من مئة وثلاثين الف ريال لاغاثة الفقراء والبائسين الذين حرقت امتعتهم . ثم تكلم عن اعانة الماسون لكثيرين من اعضاء المحافل المختلفة وقدر قيمة ما ينفق منها سنوياً لعمل الخير باكثر من ٣٠٠٠٠٠٠ ثلثة ملايين ريال في شيكاغو . وقال ان نفع هذه الجمعية لا ينحصر بعمل الخير فقط بل هي تعلم الامانة والاستقامة والحرية والصدق وغير ذلك من المبادىء الحميدة وتربط الاهالي جميعاً برباط المحبة الاخوية فلذلك ينتظم فيها الناس اكثر من سواها وخصوصاً لما ظهر لهم من حسناتها فاظهر الجمهور علامات الاستحسان

ثم رنمت السيدة هويت ترنيمة ماسونية مطربة وعرض الاخ ستوفر مناظر كثيرة من معرض شيكاغو فسرَّ الحاضرون وتكلم الاخ ايلا كوت عن الماسونية فقال انها جمعية قديمة وعدَّد مناقبها واتى على ما يجب على الماسوني عملهُ من اعانة الضعيف والامانة والبعد عن الزعل والحسد والشفقة على

الغريب والمسامحة والصداقة . ورنم الاخوان ترنيمة ماسونية ايضاً ولعبوا العاباً رياضية مدهشة

ثم جمع صندوق المبرات فجمع ست مئة ريال قُدّمت الى الاخ فتز جرالد الذي حرق منزلهُ لمشترى ادوات للبيت بدلاً من التي حرقت وتذكاراً لحب اخوانهِ لهُ ولقرينتهِ

ثم هنأ الاخوان بعضهم بعضاً وشكروا للاخوين الطبيبين وبستر وهربرت وغيرهما وانصرفوا يتحدثون بنجاة هذه المرأة الشريفة ومحاسن تلك الحفلة البهية

هكذا هكذا والاَّ فلا لا ليس كلُّ الرجال تدعى رجالاَ

اقوال حكمية يجب عَلَى الماسون اتباعها

اذا انتج لك عملك صديقاً وعدوًّا فانتَ في خسرٍ لان العدوّ اقوى على الاساءة من الصديق على الاحسان

الحكيم مَن يزيد حكمةً كل يوم

المسرف الذي يولم الولائم الكبيرة يستأجر الناس ليضحكوا عليهِ

قد يحيا الجبان خوفاً من الموت وقد يموت خوفاً من الحياة

لا صديق لمتلوّن ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لدنيء ولا زعامة لسيئ الخلق

ما عفَّ عن الدُّرَّة مَن يسرق الذرَّة

اذا رأيتَ من اخيك عيباً فان كتمتهُ عنهُ فقد خنتهُ وان قلتهُ لغيرهِ فقد اغتبتهُ وان واجهتهُ بهِ فقد اوحشتهُ . قيل واسلم طريق ان تكني عنهُ وتعرّض بهِ وتجعلهُ في جملة الحديث

المحفل الاكبر الانكليزي

ذكرنا لمعة من سيرة سمو البرنس اوف ويلس ولي عهد المملكة البريطانية والاستاذ الاعظم للمحافل الانكليزية كلها (صفحة ١٩٥) وبعض اليسير عن الماسوني الحقيقي الجنرال سميث (صفحة ١٤٣) وقد وردت علينا في ٧ يوليو تموز سنة ١٨٩٩ جريدة اميركان تيلر فقرأنا فيها ملخص الاحتفال الذي أقيم في لندن يوم الاربعاء في ١١ ابريل سنة ١٨٩٩ بتقليد موظفي المحفل الاكبر الانكليزي وظائفهم

انتخبَ البرنس اوف ويلس استاذًا اعظم للمحافل الماسونية العظمى كلها سنة ١٨٧٤م وكان كلُّ محفل اكبر قبل هذا التاريخ مستقلاً بنفسهِ ومعروفًا ومكرمًا عند سائر المحافل . ومن المعلوم ان لكل محفلٍ رئيسًا مستقلاً ومع حفظ هذا الاستقلال فان الرئاسة العظمى هي لسمو البرنس اوف ويلس فهو الرئيس العام لكل المحافل في لندن وفي المستعمرات الانكليزية كالهند وغيرها وحامٍ للرؤساء كلهم والمشارق كلها . ومنذ انتخب استاذًا اعظم الى الآن لا يزال انتخابهُ يجدَّد عامًا بعد عام نظرًا الى ما يأتيهِ من جليل الاعمال الماسونية (كما ترى في النبذة التي تلي هذه) . ولما كان قد تمَّ لهُ خمسة وعشرون عامًا على الرئاسة العظمى أُعطي خمسة وعشرون اخًا ممتازًا في الماسونية رتبًا ماسونية في الاجتماع الذي نحن بصددهِ اشارةً الى الخمس والعشرين سنة التي تمت على رئاستهِ للمحافل العظمى

ولقد كان هذا الاحتفال نادر المثال حضرهُ الكلي الاحترام الجنرال سميث الاميركي وكتبت الجرائد عنهُ كثيرًا ونحن نلخص عنها ما يأتي

اجتمع المحفل الاكبر الانكليزي في نادي الماسونية (فريماسنزتفرن) اجتماعهُ السنوي العمومي فغص المنتدى بالحاضرين على رحبهِ وجلس الازل اميرست نائب الاستاذ الاعظم في كرسي الملك سليمان والى جانبهِ الاساتذة

العظام من اماكن متعددة وبعد تلاوة الاوراق الماسونية عن الانتخاب الجديد وقف الاخ توماس فن واعلن قبول سمو البرنس اوف ويلس للرئاسة العظمى على محافل بريطانيا ومستعمراتها كلها للسنة الخامسة والعشرين والارل امهرست نائباً لهُ وهنأهُ ثم تقدم الرؤساء العظام والموظفون وقدموا لهُ واجب الاحترام وسمّى الارل ورويك وكيلاً و٢١ ضابطاً عظاماً وعين ١٨ في وظائف اخرى ثم تليت لائحة باسماء المدبرين لسنة ١٨٩٩ — ١٩٠٠ فصودق عليها. و بعد انتهاء الاعمال الرسمية خرج الجمهور الى غرفة المائدة حيث أُعدّت وليمة ملكية . وفي اثناء تناول الطعام نهض الارل امهرست فحدّق الجمهور اليهِ فقال

اراني غير مضطرّ الى ان اعدّد المناقب والصفات الحميدة التي لاستاذنا الكلي الوقار صاحب السمو الملكي فانكم تعلمونها وتقدّرون خدماتهِ الجليلة حق قدرها . خدامات قام بها زمناً طويلاً وكان فيها عنوان الحرية والمساواة والاخاء فلنظهر اعترافنا بالجميل فنشرب نخبهُ. فوقف الجميع وشربوا واياهُ نخب سموهِ مظهرين الاستحسان ثم وقف احد الاخوان العظام ودعا الجمهور الى شرب نخب الاخ امهرست نائب الاستاذ الاعظم فابدى الجمهور علامات الاستحسان ايضاً ونهض الارل امهرست وشكر لهُ وللاخوان وقال ان اكرام الضيف من اول الواجبات ومن القواعد الماسونية واننا سررنا بكل اخواننا الزائرين ويسرنا ان نراهم في احتفالات رسمية ولا سيما الذين يأتون منهم من خارج لندن وانني ارحّب مزيد الترحيب بهم واشرب النخب الاول باسم الاخ الشهير الشريف الجنرال جون كرسون سميث الذي امتاز بخدمة الانسانية كماسوني وجندي شجاع فارتقى باهليتهِ الى رتبة جنرال قبل بلوغهِ الثلاثين من العمر في حرب الولايات المتحدة الاميركية وانتخب رئيساً اعظم لمحفل ولايتهِ الاكبر وغيرهِ . وهو النائب لمحفل انكلترا لدى محفل الينويس الاكبر فنسر بمشاهدتهِ ونشرب نخبهُ ونخب نواب المشارق

العظمى (ضجة استحسان طويلة) وبعد ذلك نهض الكلي الاحترام الجنرال سميث فقال ايها الاستاذ الاعظم الكلي الحكمة والاخوة الاعزاء بصفتي نائبًا عن سمو البرنس اوف ويلس الكلي الحكمة (كفيل وداد) في مسيسبي وفلوريدا ومحافل الولايات المتحدة الغربية الكبرى وبصفتي استاذًا لمحفل الينويز الاكبر اقدم لاخوتكم التحيات القلبية بالنيابة عن مليون اخ ماسوني (بنّاء حرّ) حقيقي تضمهم الولايات المتحدة الاميركية تحت رايتها وقد اتيتُ الى هذا المحفل رأس محافل العالم والقلب ملئهُ سرور حقيقي لان تعاليم المحفل امتدّت الى محافلي وتعلمتُ الماسونية الحرة منكم وخبرتُ هذه التعاليم اربعين سنة وكلما ازددتُ معرفةً بها ازددتُ محبةً للجامعة القديمة (جلبة استحسان)

احب هذه الجامعة لانها تعلمني واجباتي نحو مهندس الكون الاعظم والواجبات الاكثر اهمية في العالم ألاَ وهي واجباتي نحو وطني والاخلاص الحقيقي لحكام البلاد

اتيتُ الى هذا المحفل الموقر الى هذه الارض مسقط رأس آبائي واجدادي الذين حاربوا في معركة واترلو (ضجّة استحسان) واقاربي الذين كانوا مع نلسن في معركة جبل طارق (استحسان) ووالدي الذي لم يمنعهُ كونهُ ابن ست وخمسين سنة ان يحمل بندقيتهُ ويدافع عن الحكومة العرفية زمن الحرب الاهلية (ضجّة استحسان) حقًّا ان اجدادي لم يعدوا بين اميرالية البحر ولا جنرالية البر وانما ايسر ان تعد نجوم السماء من ان تعد القلوب الحديدية التي لبحارتكم وعساكركم الذين كما تتألف المجرة في السماء من النجوم الكثيرة تألفوا وكانوا برج الابطال وحاربوا وفازوا لمجد انكلترا وعظمتها وخير الولايات المتحدة ورفعة شأنها وفي القائمة التي تألفت هذه المجرة منها اسماء اجدادي الذين افتخر بهم (ضجة استحسان) اقدم اليكم تحيات اميركا اخت بريطانيا التي هي مثلها مستعدة لحماية المدنيّة (استحسان) اقدم اليكم

تحيات اكابر رجالنا المتحدين معكم قلباً وقالباً هجوماً ودفاعاً (ضجّة استحسان طويلة) واشكركم على احتفائكم بي ووداد كم الخالص الذي قابلتم بهِ مندوبي المحافل وسأعود الى اميركا في ١٣ القادم حاملاً تحيات محفل انكلترا الاعظم وتوابعهِ وأسأل الله ان يباركهم جميعاً ويديم نجاحكم لمجد اسمهِ وخير القريب . (ضجّة استحسان طويلة) ثم صدحت الموسيقى وختم الاحتفال الارل امهرست الكلي الاحترام

الشفقة الماسونية العظمى

خرج البرنس اوف ويلس للتنزه مع حاشيتهِ الى شاطىء البحر وبينما هم يتحدثون امسك البرنس عن الكلام اذ استجلب ابصارهُ هيجان البحر المزبد وارتفاع امواجهِ ثم رأى عن بعدٍ قارباً صغيراً فيهِ رجلٌ وولدان صغيران وكانت الامواج المزبدة تقذف بالقارب من جهة الى اخرى نخاف الولدان وسقطا في ارض القارب جزعاً. ولم يقوَ الوالد على مصادمة التيار كثيراً . وكانت حياتهُ في خطر شديد ولما بلغ منهُ الكلال مبلغهُ ترك المجاذيف . ثم انهُ رأى جمعاً على الشاطىء فابدى اشارة الاستغاثة الماسونية لعلهُ يجد اخاً يساعدهُ في تلك الشدة وحالما وقع نظر البرنس على تلك الاشارة ترجّل عن جوادهِ ووثب بثيابهِ الى البحر ورأى اتباعهُ ما كان فنزلوا جميعاً في اثرهِ ولم يمضِ الكثير حتى انقذوا بهمتهم الشيخ وولديهِ

نقلتُ هذه النبذة عن كتاب الجواهر الماسونية ولا عجب اذا انتخب الماسون البرنس اوف ويلس للرئاسة العظمى ليس الى الخمس والعشرين مرة التي مرَّ ذكرها بل الى ابد الابدين أيتصوَّر انسان ان ولي عهد تلك المملكة بل المالك العظمي تحمله الشهامة والشفقة للمخاطرة بحياتهِ وانقاذ اخيهِ الماسوني وولديهِ بمثل هذه الاحوال اثابهُ الله في الدارين

قوة الرابطة الماسونية

ذكرت المجلة الماسونية التي تطبع في نيويورك حادثة مؤثرة تدل على الشهامة العظيمة والحب الاعظم الذي يمتاز بهِ قلب الاخ الماسوني والذي لا تقوى العوامل الخارجية على تغييرهِ قالت

كان في سنة ١٨٣٠ حربٌ عوان بين الدوق دوشستر واللورد كورنوالس فانتصر لكلٍ منهما حزبٌ وانتمى اليهِ عدد غفير من مريديهِ وكانت تجري بينهم معارك دموية شديدة فلا يقابل احد الحزبين الحزب الآخر الاَّ شهرا السيوف فتحاربا وانجلت الواقعة عن قتلى وجرحى على الجانبين

وخرج اللورد يوماً بعددٍ من جماعتهِ الى الصيد والقنص وآبوا كاسبين غانمين ولما عزموا على الرجوع في المساء لقيهم الدوق بجماعتهِ وكان خارجاً للقنص ايضاً فاحتدم القتال بينهما وكان رجال الدوق اشدَّ قوةً واكثر عدداً فانتصروا على جماعة اللورد ومزَّقوا شملها كلَّ ممزق بعد ان قتلوا عدداً وافراً وهرب الباقون . ومنهم فتًى في ريعان شبابهِ وكان قد اطلق النار على احد تابعي الدوق فارداهُ فنهض اخو المقتول يروم الاخذ بثار اخيهِ مصحوباً ببعض رفاقهِ فجدوا السير لادراك القاتل وكان اسمهُ توماس فرأى توماس مطارديهِ وسورة الانتقام تتلى في اعينهم ولما نفذت ذخيرتهُ رمى ببندقيتهِ الى الارض موقناً بالموت الاحمر واطلق ساقيهِ للريح وما زال يجدُّ السير

والمطاردون في اثرهِ الى ان اضنكهُ الكلال . ولم يعد قادرًا على نقل قدم واحدة فسقط الى الارض خائر القوى لا يعي شيئًا وفي بضع دقائق تبعهُ الخصم ورفاقهُ مشهرين سيوفهم ليقطعوهُ اربًا اربًا وكان لتوماس والدة مسكينة ليس لها من يعولها الاَّ هُ فتصور انها ستموت ولا محالة بعد فقدهِ فعنَّ لهُ ان يلتجئ الى اشارة الاستغاثة لعلهُ يجد بين طالبي روحهِ من ينتمي الى الماسونية فينقذهُ من الموت ورأى سيوف اعدائهِ فوق رأسهِ فابدى العلامة المستعملة عند الضيق الشديد وكان الخوف قد افنى قوتهُ فاغمض عينيهِ وسقط لا يعي شيئًا

وبعد بضعة دقائق افاق توماس ولم يصدّق انهُ بقي حيًّا ورجع اليهِ رشدهُ رويدًا رويدًا فرأى نفسهُ بين ذراعي عدوهِ اللدود اخي القتيل ورأى رفاق عدوهِ واقفين امامهُ لا يبدون حراكًا وبينما هو في تعجب من ذلك قال لهُ عدوهُ . انك قتلت اخي يا توماس ولم اكن لارتوي الاَّ بجرعةٍ من دمك غير اني رأيت منك ما دلني انك اقرب اليَّ من اخي الميت فابقيت عليك ومنعت رفاقي من اذيتك وانا عالم ان قتلك لاخي لم يكن الاَّ طاعةً لرئيسك فلا اريد ان تكون طاعتك للورد اقوى من طاعتي للفرائض الماسونية فانهض وخذ يدي فانت اخي . قال الراوي فتعانق الاثنان والدموع تذرف من اعينهما وطلب توماس الصفح عن فعلتهِ غير المقصودة واتفق الاثنان عندئذٍ على الصداقة والحب . وبعد مضي سنوات بلغ خبرهما البرنس اوف ويلس فاستدعي توماس وجونسن اليهِ في حفلةٍ أُقيمت لهذه الغاية وبعد ان تلا الخطيب قصتهما قلد البرنس جونسن نيشان المكافأة ورقاهُ الى ما استحقهُ ولا يزال اسمهُ مخلدًا ومحفوظًا في تواريخ الماسونية كبطلٍ حقيقي يفتخر بشجاعتهِ وبسالتهِ

حكمة

اذا كنت قادرًا على المساعدة ولم تفعل فانت ميتٌ بصورة حيٍّ

القدوة الصالحة

توفي احد الاخوة في مدينة نيويورك عن زوجة وولد صغير يدعي جورج وترك لهما مبلغاً من المال يكفي للقيام بمعيشتهما وكانت الام الفاضلة تعيش بالتقتير والتدبير وتربي ولدها على المبادىء الصحيحة مثل مخافة الله واتمام ما يجب عليهِ للقريب وغرست في قلبهِ الفضائل التي كانت تراها في زوجها . وكان ولدها واسمهُ جورج يميل الى سماع اخبار والدهِ ويتحسر على وفاتهِ قبل ان عاشرهُ زمناً وعرفهُ اكثر وكلما جلس مع والدتهِ كان يسألها ان تقصَّ عليهِ من اقوال ابيهِ ولما شبَّ وعرف ان اباهُ كان ماسونيًّا وقرأ قليلاً عن هذه الرابطة الفضلى رغب في الانضمام اليها . ولكن صغر سنهِ منعهُ فجعل ينتظر البلوغ الى السن الذي يخولهُ الانضمام اليها بذاهب الصبر ويود ان تطير بهِ الايام الى ان يبلغهُ

وكان مال الارملة قد قارب ان ينفق فعمد جورج الى البحث عن شغلٍ يتمكن بهِ من تحصيل ما يساعد بهِ والدتهُ . فرأى يوماً في بعض الجرائد اعلاناً من جمعية تجارية تطلب فتى بوظيفة محاسبٍ فاسرع جورج ودخل المحل لتقديم طلبهِ فرأى عدداً غفيراً من الفتيان الطالبين وقد تأبط بعضهم شهاداتهم المدرسية وتحارير توصية وشهادات سلوك الى غير ذلك فلم ييأس جورج ولم يهتم بشيء وفي الساعة المعينة انتظمت اللجنة الموكل اليها الفحص فاخذ الطالبون يتقدمون الواحد بعد الآخر وهم لا يعرفون النتيجة الى ان جاء دور جورج فدخل برزانة واحتشام ورأى في وسط الغرفة كتاباً مرمياً فتناولهُ ومسح عنهُ الغبار ووضعهُ على الطاولة وجعل رئيس الجلسة يسألهُ مسائل عديدة فاجاب عليها باحسن جواب . ثم قال لهُ اننا في احتياج الى فتى يستلم صندوق الشركة وستدخل في يدهِ مبالغ جسيمة من المال فمن اهم

شروط الطالب ان يكون مصحوبًا بشهادة تكفل لنا امانته وحسن سلوكه وصدقه وشهامته فهل لك شهادة كهذه . فقال جورج كلاَّ انني لم اطلب هذه الشهادة من احد وعندي ما يقوم مقامها . قال الرئيس وما ذلك قال جورج ان ابي كان ماسونيًّا فتبسم الرئيس . وقال وهل ينفعنا اذا كان كذلك ؟ قال ان الرجل لا يكون ماسونيًّا ان لم يكن حائزًا على الصفات التي ذكرتها انت . قال الرئيس ان قولك حسن ولكن اذا كانت هذه الصفات في والدك فنحن لا غرض لنا بهِ الآن وانما يهمنا امرك انت . قال جورج ولكن والدي ربَّاني على نفس خطتهِ وقد اكملت والدتي ما لم يمهله القدر ان يكمله هو . وقد قالت والدتي انني في كل شيء كأبي . قال الرئيس لا ننكر ذلك ولكنك انت لست ماسونيًّا ومن يكفل لنا انك لا تتغير في صفاتك وتنسى السيرة الحسنة التي كانت في والدك قال جورج لم اصر ماسونيًّا بعد لصغر سني وسوء حظي والانتظام بالماسونية اول شيء افعله باذن الله اما امر تغيير عاداتي فمستحيل لانه لو عرف والدي اني سأتغير يومًا ما ولا اقتفي آثاره في كل شيء لا ماتني صغيرًا قبل ان الطخ اسمه بالعار وكان الرئيس يعرف والد جورج وقد اعجبه من الفتى ذكاءه فانتخبه للوظيفة دون سواه وكان موضوع الامانة والاجتهاد والذكاء وقام باعمالهِ بطهارة ذمة ودقة وحسن انتظام وكتب الله للشركة نجاحًا على يدهِ فاتسع نطاقها واتسع شغل جورج وارتقى في مهنتهِ حتى صار له اسم في الشركة وكان اول ما فعله انضمامه الى العشيرة الماسونية فبلغ بها شأوًا بعيدًا وما زال يترقى لسعة ذات يدهِ واعمالهِ الخيرية فانهُ كان ينفق في سبيل البر والاحسان مالاً كثيرًا وكان مثالاً لمئاتٍ من الشبان الذين اقتدوا بهِ واتبعوا سيرته

حكمة

ربِّ ابنك على الطريق القويم والمنهج الحق فتر بي بهِ ألوفًا من امثالهِ

المشاركة في الحياة

من اغرب ما رواهُ التاريخ ومن اعظم الحوادث تأثيرًا الخبر الآتي فانهُ يدل على ان اخًا ضحى حياتهُ لمساعدة اخيهِ ويشهد لاطباء الاميركان بطول الباع والمهارة في صناعة الطب

مرض استاذ محفل في اوهايو بسمّ الدم وكان هذا المحترم محبوبًا من ابناء محفلهِ بل وسائر من عرفهُ او سمع عنهُ في تلك الولاية وخارجها . وكان كريم الخلق سمح اليد يشعر مع المصابين ويساعد المحتاجين ولما اشرف على الخطر تواردت الارامل والايتام على منزلهِ يسألون عن صحتهِ ويقدمون ابتهالاتهم الى الله ليشفيهُ وينذرون نذورًا قدر طاقتهم اذا شفي . وعقد عدد من نطس الاطباء جلسة وقرر احدهم ان لا امل بنجاة الاستاذ الاَّ بامرٍ واحد وهو امل ضعيف جدًّا والواسطة هي انهُ لما كان دم المريض قد سمّ اكثرهُ واستحال الى دمٍ فاسدٍ فلا بد من تفريغهِ من عروقهِ واملائها بدمٍ نقي من جسم صحيح . ثم قال الطبيب ان في العمل خطرًا جسيماً جدًّا ولكنهُ الطريقة الوحيدة الممكن عملها . ولا شك انهُ يصعب جدًّا ان لم نقل انهُ يستحيل وجود من يسمح بجزءٍ عظيم من دمهِ لمثل هذه الغاية . وفي مساء اليوم عينهِ عقد المحفل المذكور جلسة خصوصية فنهض الرئيس فيها وابان حالة الاخ المريض والواسطة التي ارتآها الطبيب وطلب من الاخوة ان يقدموا تضرعاتهم الحارة الى الله ليمن عليهِ بالشفاء . وكان احد الاخوة الحديثين حاضرًا وهو في مقتبل العمر قويُّ البنية مورَّد الخدود صحيح الجسم في اشدهِ فوقف في الوسط وقال ايها الاخوة انني اجود بما يلزم من دمي عن طيبة خاطر لانقاذ هذا الاخ . فاحدق بهِ الحاضرون وجعلوا يثنون على شجاعتهِ وشهامتهِ . ورأوا في قوة جسمهِ وريعان صباهُ ما يؤيد قولهُ . ثم اجتمعت لجنة الاطباء لفحص هذا البطل الشريف فوجدوهُ

صحيح الجسم نقيّ الدم وحكموا انهُ اهل للقيام بذلك . وعليهِ اخذ الاطباء في اليوم التالي في اجراء العملية بحضور جميع الاخوة

فبدأ الاطباء باخراج الدم من جسم المريض في دقة وانتباه حتى اخرجوا منهُ القدر اللازم ثم فتحوا عرقاً في ذراع ذلك البطل ووصلوا منهُ انبوباً الى جسم المريض فجعل الدم يتدفق من جسم الصحيح الى جسم المريض فيكسبهُ لوناً جميلاً وينعشهُ وما زال البطل هريسون يجود بدمهِ لاحياء اخيهِ وهو محاط باخوتهِ الذين يمدحون شجاعتهُ ويثنون عليهِ الى ان اعتراهُ دوار شديد فنظر اليهم نظرة الوداع واشار اليهم بعينهِ يريد الكلام فلم يقوَ عليهِ ثم اغمض عينيهِ واغمي عليهِ . وكان الاطباء ينتظرون ذلك فاوقفوا جريان الدم وانقسموا قسمين قسم إعتنى بالمريض وقسم بهريسون. اما الاستاذ المريض فتحسنت حالتهُ حالاً واخذ يتقدم الى الصحة بسرعة الى ان شفي تماماً وعاد الى حالتهِ الاولى . اما هريسون فتأخرت صحتهُ كثيراً واشرف على الموت وكان يقول دائماً لزائريهِ لست متألماً ولا متكدراً بل انا مسرورٌ لقيامي بهذا العمل والشكر لله ان دمي افاد اخي فاحياهُ . وانتقلت عواطف الشفقة من الرئيس الى هريسون وجعل الجميع يطلبون لهُ الشفاء وبعد ان بذل الاطباء كل همة في مداواتهِ اخذ يتعافى وبدأت صحتهُ بالتحسين وبعد ثلثة اشهر من تاريخ تلك الحادثة المؤثرة قام من سريرهِ لاول مرة وزار المحفل الذي كان قد استعدَّ لاستقبالهِ بما يليق بمن ضحى حياتهُ لاجل اخيهِ . ولما سئل عن السبب في اقدامهِ على هذا العمل قال لو مات الاستاذ لخسر المحفل اما اذا متُّ انا فلا تكون الخسارة مذكورة . فنهض الرئيس وقال كلاَّ بل خسارتك ايها الاخ الفاضل مما لا تعوَّض قطُّ ثم انهالت عليهِ الاكرامات والهدايا الثمينة ووسامات الشرف من جميع المحافل التي بلغها امرهُ ولم تتمّ تلك الليلة عليهِ الاَّ وقد تقلَّد رتبة الدرجة الثامنة عشرة التي استحقها باهليتهِ . فلتحيَ الماسونية وليحيَ ابطالها الامناء

التغيير العظيم

حدث منذ بضع سنوات ان اخوين ماسونيين في محفل في ناشفيل من ولاية تنسي تخاصما لاسباب لا محلّ لذكرها فآلمت مخاصمتهما اخوتهما ألماً شديداً ولاسيما لان عداوتهما كانت على اشتداد ولم يكن كرور الايام الاّ ليزيد نيرانها اضطراماً

وكان الاخوان من نخبة رجال الفضل وعمد العشيرة الماسونية وارباب المعارف والاطلاع غير ان اسباب عداوتهما كانت اصعب من ان تتمكن يد بشرية على ازالتها وحاول الاخوة تلطيف البغضاء والعدوان فذهبت اتعابهم ادراجاً وهباء . اما رئيس المحفل المحترم وهو رجلٌ فصيح اللسان قوي الحجة ورعٌ عالمٌ شهير فلم يقنط من اصلاح ذات البين فوجه مزيد اهتمامهِ الى مصالحة الخصمين فدعا يوماً اعضاء المحفل الى اجتماع خاصٍ وطلب حضور الاخوين . ولما اجتمع الاعضاء في اليوم المعين وافتتح المحفل حسب الطريقة المعتادة وقف الرئيس فتوجهت اليهِ انظار الجميع فامسك برهة عن الكلام وصمت الجميع . ثم طفق يتكلم فقال

ايها الاخوة . ان لدينا مسألة هامة جدًّا وامامنا عملاً دقيقاً جديرًا بانعام النظر ويجب علينا ان نخضع جميعنا لارادة الله ونطلب منهُ المعونة والارشاد . فانا اطلب منكم ايها الاخوة ان تجثوا معي جميعكم بنية صادقة وقلب خاشع لنبتهل اليهِ تعالى بصلاة حارة طالبين منهُ ان يفعل ما لا نقدر نحن ان نفعلهُ وينزع من محفلنا هذا روح الشر او العلقم الذي دخل كأس سرورنا ويعيد لهُ روح سلام من عندهِ لنكون جميعنا كما كنا قلباً واحدًا نقيًّا طاهرًا مسرورًا . ولما اتمَّ هذه الكلمات جثا على ركبتيهِ بكل احترام هو والاعضاء وغرقت افكارهم في تضرع حار . وكان المنظر مؤثرًا والحالة مهيبة والموقف رهيباً . موقفٌ يناجي بهِ الانسان خالقهُ . موقفٌ تشعر

الجبلة فيهِ انها بحضرة جابلها ومحييها . وبعد ان انتهي كلٌّ من صلاتهِ الصغيرة عاد الاخوة الى الانتظام بسكوت وسلام . ثم نهض الرئيس فقال لم ادعكم ايها الاخوة لمحاكمة او فصلٍ او قطع ولا لامور تشين محفلنا خصوصاً والماسونية عموماً . وانما دعوتكم ايها الاخوان لتوطيد دعامة أمن وسلام متداعية الى السقوط . دعوتكم لتمكين حبل الالفة وقد كاد ينقطع . دعوتكم لتذكار المحبة الاخوية والالفة الماسونية ولصدّ مكايد الشر التي تجتهد الآن لتقف في طريقها . ثم افاض بعبارات رقيقة وحجج دامغة وكلام يأخذ بمجامع القلوب حتى ذرف كثيرون العبرات من شدة التأثير . ولما انتهى من خطبتهِ التفت الى احد الاخوين وقال لهُ ايها الاخ ا . قد فعلنا نحن ما يجب علينا وقد بقي عليك انت والاخ ب ان تُتمما العمل

وفي الحال نهض الاخ ا وقال ايها الاخ ب قابلني امام المذبح فصاح الاخ ب نعم اقابلك واقبلك قبلة المحبة وننسى في هذه المقابلة جميع ما مضى

ولما اقتربا امام المذبح تصافحا وتلاثما وقبل ان ينطق احدهما بكلمة صاح الرئيس لنصلي ايها الاخوة ولم يكن شيءٌ الذ من تلك الساعة ولا اكمل من سرورها في تلك الحالة التي وصفناها فان الرئيس وقف وقال بصوت جهوري

" قد اتممت ايها الاله القادر على كل شيءٍ ما لم يكن بامكاننا اتمامهُ فلك نقدم كل الشكر "

فامنّ الجميع على دعائهِ هذا ووقع الاخوة كلٌّ على عنق اخيهِ يقبلهُ بفرحٍ عظيم

ولم يكن في حياة هذا المحفل الذ وابهج من ذلك الاجتماع السعيد والاجتماعات التالية لهُ التي يتذكر فيها الجميع افضال الشرائع الادبيـة الماسونية التي يحق الافتخار بها وليس بها فقط بل بمن يعرف ان يخضع لها ايضاً

الجنرال غرانت وبرايانت الماسوني

كتب الماجور برايانت باكر احد موظفي كارولينا الجنوبية سابقاً ما يأتي
أسرت انا وسوايَ من فرقتي في الحرب التي شبَّ ضرامها في فرجينيا بعد ان قتل كثيرون من ابطالنا وكُبّلنا بالحديد ووُضعنا في موُخر الجيش وأُخذ ما معنا من الاوراق . وكانت براءتي الماسونية في جيبي فاخذها الحرس. واتاني في اليوم التالي رسول يستدعيني بامر الجنرال غرانت لامثل امامهُ في مركزهِ العام فايقنت انني هالك وان الجنرال يدعونني لأُرمى بالرصاص فاعتراني الرعب والجزع لانني سألقى حتفي دون ان ارى فرقتي واولادي فازودهم نظرة الوداع . وكنت انا الوحيد الذي طُلبت من بين الكثيرين ولذلك اوجست خيفةً وذعراً ولكنني اطرحتُ الخوف جانباً وسرتُ والحرس الى ان وصلت الى خيمة فأُمرتُ بالدخول فدخلتُ اليها والخوف آخذ مني كل مأخذ حتى ان ركبتاي اصطكتا واشتدَّ خفقان قلبي ثم رُفع سجف الخيمة التي دخلتها وتركني الحرس امام الجنرال غرانت قائد الجيوش الاميركية فلم انبس ببنت شفة في حضرتهِ ولحظ مني الجنرال ذلك فنهض عن كرسيهِ ونقدَّم اليَّ وصافحني وطلب مني ان اجلس واستريح وجعل يحادثني بحلو كلامهِ وعذب الفاظهِ فاظهر من الرأفة والحنان ما خيَّل لي انني في منزلي بين اهلي وعشيرتي واخلص اصدقائي . ثم سألني " من اية فرقة انت واين تسكن وهل انت ماسوني " فاجبتهُ بما سرهُ . فنهض الى مكتبة وكتب امراً باطلاق سبيلي واعطاني مبلغاً من المال وسألني ما اذا كنتُ في احتياج الى شيء آخر فشكرتهُ الشكر الماسوني الواجب وخرجت من لدنهُ بأمانٍ فأُطلق سبيلي وعدتُ الى عائلتي التي لم اكن اصدّق اني اراها بعدُ. ولا ازال اذكر مكارم اخلاق الجنرال والجمعية السعيدة التي كانت السبب في ابقائي حيًّا وحفظ كرامتي

الاسترحام الماسوني

لما رجع الجنرال براج متقهقرًا سنة ١٨٦٣ من مرفريسبرج بعد تلك المعركة الشديدة المعروفة بذلك الاسم ترك احد اطباء جيشهِ واسمهُ الدكتور اقنت مع بعض المساعدين لهُ والممرضين ليعتنوا بالعدد العظيم الباقي من الجرحي والمرضى الذين لم يتمكن من نقلهم مع الجيش المتقهقر وباتوا في اسر الجنرال روسكرانز وعرف الدكتور اقنت انهُ ومرضاهُ سيعانون من العذاب ضروبًا والوانًا في قبضة الجنرال العدو غير انهُ وجد لهُ املاً وطيدًا بالماسونية فلما التقى بهِ حياهُ تحية الماسونية. ودهش لما رأى الجنرال يحييهِ بالمثل. ثم خلى بهِ الدكتور اقنت فاخبرهُ عن حالة مرضاهُ واعوازهم الشديد الى المعونة والراحة فتبسم الجنرال وقال كن براحة بال فاني اهبك تمام الحرية بمداواة مرضاك ونسهر عليهم ونحرسهم الى ان يشفوا تمامًا وهذه جميع مستشفياتنا مفتوحة لك وانت فيها آمرٌ مثلي. ولم تكن مواعيد الجنرال عرقوبية فانهُ وفاها وكان الدكتور اقنت حالما يرى مريضًا يستوجب الارسال الى المستشفى يرسلهُ اليهِ فيعتنى بهِ اشد العناية ولما اتمَّ الدكتور اقنت خدمتهُ ونقه جميع مرضاهُ طلب مقابلة الجنرال فلما مثل بين يديهِ اخبرهُ انهُ لم يعد عندهُ ولا مريض واحد وان الباقين ينتظرون اوامرهُ. فقال الجنرال وهل اذا اطلقت سراحكم تعدونني ان لا تعودوا الى قتالي بعد فاقسم لهُ الدكتور ان ولا واحد منهم يعود الى قتالهِ او يعمل على الاضرار بهِ وانهم يعدون حياتهم منهُ. فاكتفى الجنرال بقسم الدكتور فاطلق الجميع بعد ان زودهم بما يحتاجون اليهِ من مأكل وسواهُ. وليس هذا الحادث وحيدًا في بابهِ فكثيرًا ما يُسمع بامثالهِ في اخبار الماسون الحقيقيين الذين يقومون بحق العهود والمواثيق التي يقسمونها في بنويتهم ويحافظون على اتمامها مدى الحياة

اليتيم السعيد

انتقل منذ بضع سنوات رجلٌ بعائلتهِ وامتعتهِ من ولاية كاليفورنيا الى المسيسيبي واستوطن ضفة نهر المسيسبي ولم تكد الاقامة تطيب لهُ حتى دهمتهُ مصيبةٌ كبرى واصابت عائلتهُ الحمى الصفراء فماتت زوجتهُ واولادهُ بها ومات هو ايضاً اخيرًا ولم يبقَ من تلك العائلة سوى ولد صغير عمرهُ ست سنوات. وكانت ثروة الوالد قد نفد معظمها في مصاريف الانتقال ثم في تمريض المتوفين والقسم القليل الباقي تناولتهُ ايدي الغرباء فبقي الولد يتيماً فقيرًا شريدًا وحيدًا يندب سوء حالتهِ ويذم الدهر الذي اخنى عليهِ وجعلهُ يقارع صعوباتهِ واكدارهُ . وكان الوالد عضوًا من البنائين الاحرار في محفل كاليفورنيا فلما بلغت الاخبار المحفل ظلبوا ان يؤتى بالولد اليتيم اليهم . ولم يكن السفر سهلاً على ذلك المسكين بغير رفيق ولا مرشد ولا معتنٍ بهِ وهو في العمر الذي ذكرناهُ وصفر اليدين فانتحب وبكى وجلس حزيناً كعادتهِ . فشفق عليهِ بعض الجيرة الذين رأوا من والدهِ قبل وفاتهِ ما حببهُ اليهم فحملوا الولد الى محطة سكة الحديد وهناك علقوا في عنقهِ تذكرةً كتب عليها ما يأتي

" ان هذا الولد ابن استاذ ماسوني وهو يتيم ليس لهُ مساعد ولا نسيب ويقصد الانتقال الى محفل ابيهِ في كاليفورنيا وعليهِ فقد سلم الى عناية الله ومعونة كل اخٍ ماسوني في العالم "

اما الولد فلم يكن يدري شيئاً من قوة هذا الطلسم المربوط في عنقهِ وعليهِ ابتدأ في سياحتهِ غير عالم بما يلاقيهِ في اليوم التالي . لكنهُ ما عتم ان رأى قوة تلك القلادة العجيبة ولم يعد يرى نفسهُ وحيدًا يتيماً وقد أخذ تلك التذكرة التي تسهل لهُ المرور الى قلب كل ماسوني وكفلت لهُ السرور والخير في جميع طرقهِ. وكان الفتى يتعجب من رجالٍ اقوياء اشداء يمرون من

امامهِ فيخاف من عظم اجسامهم ويرتعب من مشاهدتهم ثم بعد حين يراهم في غاية الرقة واللين يلاطفونهُ ويتوددون اليهِ ويطعمونهُ من اكلهم ويزوّدونهُ بالمال والفواكه والحلويات . حتى ان السيدات المسافرات كنَّ ياخذنهُ في احضانهنَّ ويكللنَ وجههُ بدموع الشفقة وقبلات الحنو . ولم يشعر الولد بادنى انزعاج او تعب الى ان بلغ كاليفورنيا مسقط رأسهِ فاحتاط اخوة ابيهِ بهِ وربوهُ واعالوهُ الى ان بلغ اشدهُ وانضم الى الجمعية التي كان والدهُ استاذًا فيها ولا يزال الى الآن يجهر بالحق وينادي بالمبدإ القويم والرابطة المتينة ويبتهل الى الله بالدعاء للعشيرة المتحدة بالامانة والشفقة والاخاء

اوّليات

الفكر والقوة يديران العالم اما الارتياب والكسل فيميتانهِ

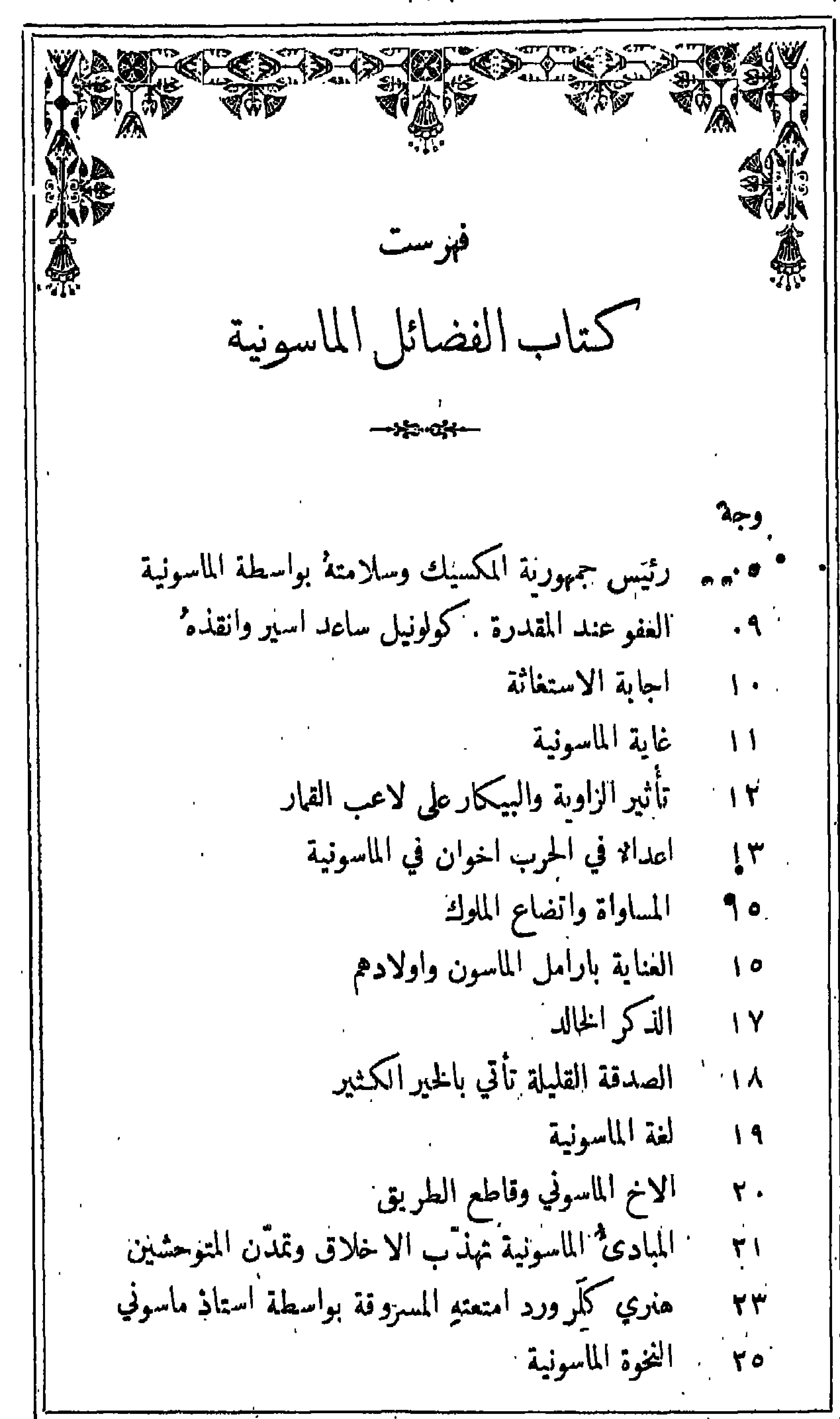
الاحمق يعجل في الحكم اما العاقل فيتروى ويفحص

ان شئت ان تضمن لك يومًا في السماء فافعل على الاقل عملاً واحدًا حسنًا مع من لا يحبك

لا يليق ان تشبع بطنك وترى اخاك جائعًا فان كثيرين من اغنياء هذا العالم فقراء في العالم الآتي

كل درجة يترقى بها الاخ الماسوني لا يكون لها الاَّ النتائج الحسنة على الاخ المعطاة لهُ فهي ترفع رائد الفكر الى مركزٍ اسمى وتطهر العقل وتجذب عواطف النفس الى التلذذ بصفات الكائن الاعظم غير المحدود منبع العطاء والجود وبذلك يزيد اتحاد الاعضاء لتكوين جسم واحد

احرص على اسمك في الارض من ان يهان فلا يهينك في العالم الآتي اما اذا لطخنهُ باوزارك رمى بك من حالق



فهرست

كتاب الفضائل الماسونية

وجه

وجه

وجه